١٠ قروش

كتابي

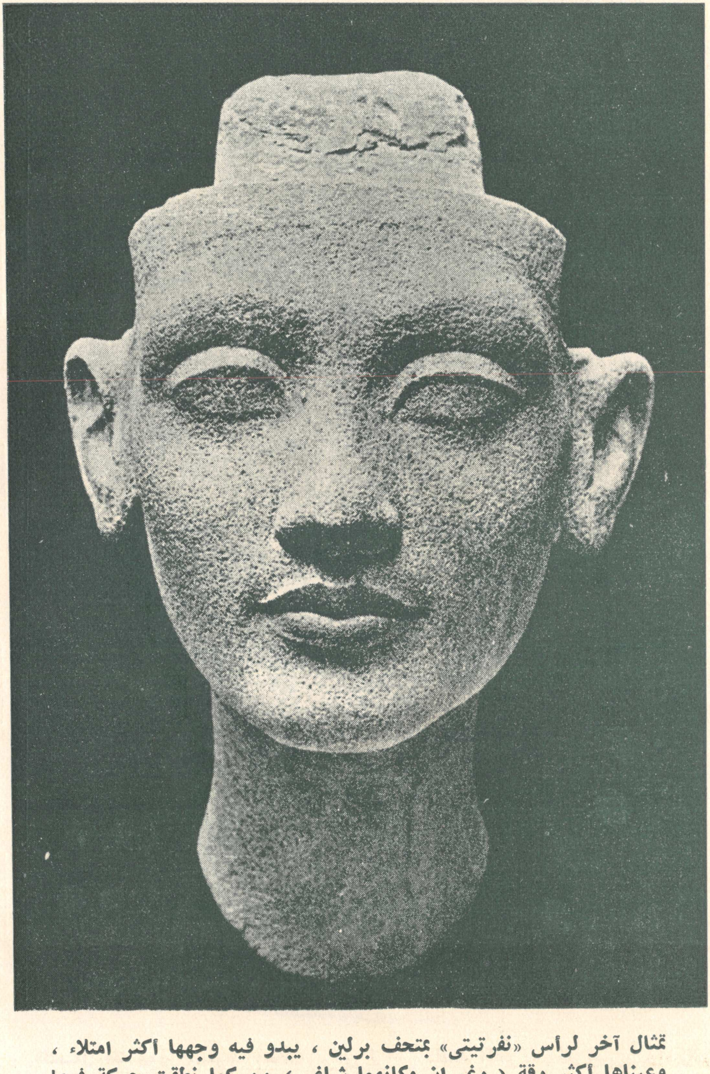


"إفطار فوق العشب"
لوحة للرسام "مانيه"

حلمي مراد



التمثال المشهور المحفوظ بمتحف برلين لرأس الملكة المصرية «نفرتيتى» ، زوجة الملك «أمينوفيس» الرابع .. وقد أبدع الفنان اذ أنطق الحجر بهذه الابتسامة الغامضة ، وهذا الجمال والجلال (اقرأ فى هذا العدد الكتاب الذى يقرأه العالم هذا الشهر عن تاريخ مصر)



تمثال آخر لرأس «نفرتيتى» بمتحف برلين ، يبدو فيه وجهها أكثر امتلاء ، وعيناها أكثر رقة (رغم ان مكانهما شاغر) ٠٠ كما نطقت حركة فمها بالطهر والحساسية البالغة ٠

كتابى

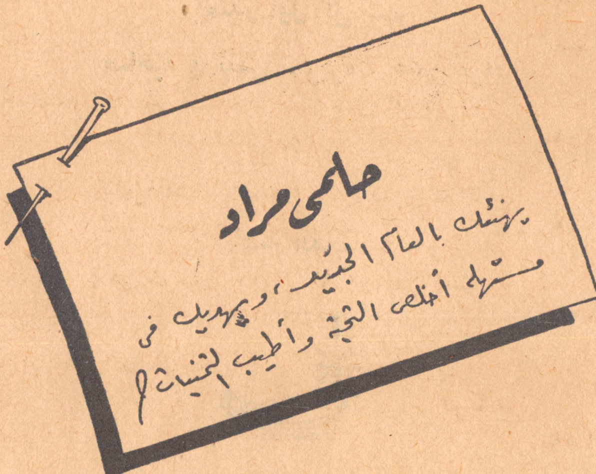
كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب السادس والأربعون (السنة الرابعة) : يناير ١٩٥٦
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦


حلمي مراد
يهنئك بالعام الجديد ، ويهديك في
مستهله أخلص التحية وأطيب التمنيات !

محتويات الكتاب

الموضـــوع

القصة التى حوكم مؤلفها بسببها !

عزيزى القارىء :

◆ **أحب** أن أحدثك فى هذه السطور عن القصة الطويلة الممتازة التى أعددتها لأقدمها اليك فى « مطبوعات كتابى » فى منتصف هذا الشهر ٠٠ ولعلك تذكر أننى لخصت لك فى عدد سابق ـ ضمن فصول كتاب « أندريه موروا » الممتع : « أقنعة الحب السبعة » ـ الفصل الذى حلل فيه قصة «جوستاف فلوبير» المشهورة (مدام بوفارى) ، باعتبارها نموذجا خالدا للون من ألوان الحب السبعة ، هو الحب الذى تدفع اليه الرغبة فى الفرار من الواقع ، والتغلب على الضجر !

وأمامى الآن أحـــدث كتاب للروائى الانجليزى المعاصر « سومرست موم » ، وقد حلل فيه « ١٠ قصص عالمية » يعتقد أنها أعظم ما أنتج الفكر البشرى فى جميع العصور ٠٠ وفى مقدمة هذه القصص العشر التى اختارها ، قصة ٠٠ (مدام بوفارى) أيضا !

ومنذ شهور قامت احدى المجلات الادبية الفرنسية باجراء استفتاء اســتطلعت فيه رأى الادباء عن أحسن عشر قصص طويلة فى الادب العالمى ، فكانت قصة (مدام بوفارى) من هذه القصص العشر !

فما هى هذه القصة التى أثارت كل هذا الضجيج ؟ ٠٠ ومن هو مؤلفها ؟

جراح « النفوس » البشرية !

◆ **هو** « جوستاف فلوبير » ٠٠ كان أبوه جراحا شهيرا فى مدينة (روان) ، فكان أول ما تفتحت عليه عيناه فى دنياه ،

مآسى العراك مع الموت بين جدران مستشفى أبيه ! .. **ويؤثر هذا الجو فى عقل « فلوبير » الباطن ، حتى يكبر ويغدو رجلا ، فيكتب الى خليلته الفاتنة « لويز كوليه » يوما رسالة يقول فيها : «ان منظر المرأة العارية يجعلنى أتخيل هيكلها العظمى !»**

ويشغف « فلوبير » منذ صباه بالتعمق الى باطن « النفوس » البشرية أيضا ــ لا الاجسام وحدها ــ وتأمل الهيكل العظمى « للأفكار » الشريرة التى تختبىء فى أعماق أنقى الناس سريرة فى الظاهر !

ثم يشب الفتى عن الطوق ، وقد أولع بقراءة شكسبير ، وهوجو ، وبيرون ، وروسو .. الخ .. وحين يحظى بفرصة زيارة هوجو فى مكتبه ، يصف أثر الزيارة فى نفسه بقوله : « **حدقت فيه مشدوها ، كما أحدق فى اناء مملوء بملايين الجواهر ، مدققا النظر فى يده اليمنى التى كتبت تلك الروائع الجميلة ، قائلا لنفسى : « هذا هو الرجل الذى جعل قلبى ينبض ، أشد نبض عرفته منذ ولدت ! »**

راهب الأدب !

◆ **ويرسله** أبوه الى باريس ليدرس القانون ، رغم نفوره منه ، لكنه يصاب فى حادث يسبب له مرضا عصبيا ، فيهجر دراسته .. ولا يلبث أن يحترف الادب الذى يعشقه ! .. يحترفه باخلاص وتفان مثاليين لم يسمع أحد بمثيلهما ! .. **اخلاص وتفان يجعلاه يرى أن هدف الحياة ليس هو أن يعيش ، وانما أن يكتب ! .. والواقع انه ما من راهب فى زنزانته ضحى بمسرات العالم فى عزم وتصميم ، بدافع من حبه لله ، مثلما ضحى فلوبير بمباهج الحياة ، بدافع من طموحه الى أن يخلق عملا فنيا !**

وفى سن الثامنة والعشرين يكتب فلوبير قصته الطويلة

« غواية القديس انطوان » ٠٠ وحين يفرغ منها يستدعى أديبين من أصدقائه كى يتلوها عليهما ، خلال أربعة أيام ، لمدة ثمانى ساعات كل يوم ! ٠٠ حتى اذا أتم تلاوتها ، وحبس أنفاسه فى انتظار أن يسمع حكمهما ، صدماه بهذا الرأى المفجع : « خير لك أن تلقى بها فى النار ولا تتحدث عنها الى أحد ! »

واحتدم الجدل بين الاصدقاء الثلاثة طوال ساعات ، وأخيرا أذعن فلوبير لحكم صديقيه ، واقتنع بصواب هذا الحكم ٠٠ وفى اليوم التالى تطرق الحديث بين الثلاثة الى السبيل القويم الى كتابة قصة ناجحة ، فاقترح الصديق على فلوبير أن يكتب قصة من الأدب الواقعى ، على منوال قصص « بلزاك » ٠٠ وروى له فكرة قصة واقعية كان بطلها طبيب جراح فى مستشفى (روان) يدعى « يوجين ديلامار » ٠٠ فأعجبت الفكرة « فلوبير » ووعد بالتفكير فيها جديا ٠٠

محاكمته على اثر نشر القصة !

◆ وعلى اثر ذلك سافر بصحبة أحد الصديقين فى رحلة سياحية طويلة الى الشرق ، طاف خلالها بمصر ، ولبنان ، ورودس ، وتركيا ، ثم اليونان ٠٠ فلما عاد منها عكف على كتابة القصة الموعودة ، وكان ذلك فى عام ١٨٥١ ، فلم يفرغ منها الا بعد خمس سنوات كاملة !

لكن القصة لم تكد تنشر حتى قدم فلوبير الى المحاكمة ، بتهمة أنه خرج فيها على آداب المجتمع المتعارف عليها وصور بطلتها فى صورة الزوجة الخاطئة ، الماجنة ، المنحلة الخلق ! ٠٠ وبعد مرافعات ومساجلات عنيفة بين ممثلى الاتهام والدفاع ، برىء المتهم وأخلى سبيله ٠٠ فخرج من ساحة العدالة ظافرا ، ليدخل ساحة التاريخ ! ٠٠ فقد تبارى النقاد فى تمجيد القصة والاشادة بها ، وتهافت عليها ملايين القراء ، فكفلت لمؤلفها منذ ذلك التاريخ مكانة معترف بها بين العظماء الخالدين من أدباء العالم

وكتاب القصة الطويلة المعدودين !

تلك هى « قصة القصة » الخالدة الجبارة التى اخترتها كى أقدمها لك ـ بنصها الكامل ـ فى عدد منتصف يناير الحالى من « مطبوعات كتابى » ، مذيلة بالنص الكامل لمحاضر جلسات محاكمة مؤلفها ، والمرافعات الشائقة لممثلى الاتهام والدفاع فيها ٠٠ ولما كانت هذه النصوص الكاملة تستغرق من صفحات كتابى ما يزيد على الاربعمائة صفحة ، فانى أرانى مضطرا الى تقديمها فى جزئين متواليين ، يصدران فى منتصف يناير ومنتصف فبراير باذن الله ٠

والله ولى التوفيق

حلمى مراد

« كتابى » يشترى الاعداد الستة الأولى من القــراء

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الستة الاولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد أن يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الاعداد المذكورة ٠٠ **فقد رأت ادارة « كتابى » أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الستة الأولى تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة ٠ فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن ، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا أو بالبريد المسجل ٠**

الاشتراك فى « كتابى »

◆ **ترسل** جميع الاعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل ٠ وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا ـ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن الخ ٠٠) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية Money Order عن طريق مكاتب البريد وتحتسب القيمة بما يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و ٧٠ قرشا (عن نصف سنة) ٠ وفى الحجاز والكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وأمريكا وفرنسا واستراليا قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) خالصة أجر البريد ، وفى ألمانيا ١٦٠ قرشا (عن سنة) بخلاف أجر البريد الجوى

كتابى

اعداد نفدت

الكتب الستة الأولى ، والادارة مستعدة لشرائها ٠

كتابى السابع « **عشيقة نابليون** » ، والثامن « **مذكرات كيوبيد** » ، والتاسع « **صنم تحطم** » ، والعاشر « **حديقة الله** » ، والحادى عشر « **عندما تحقد المرأة** » ، والثانى عشر « **لعبة الحب والموت** » ، والثالث عشر « **توبة خاطئة** » ، والرابع عشر « **أيها الربيـع ترفق** » ، والخامس عشر « **الشيـطان على الأرض** » ، والسادس عشر « **ليدى هاملتون** » ، والسابع عشر « **الارملة المرحة** » ، والثامن عشر « **حياة جورج صاند** » ، والتاسع عشر « **حياة سارة برنار** » والعشرون « **رباعيات عمر الخيام** » ، والحادى والعشرون « **حياة بتهوفن** » ، والثانى والعشرون « **حياة موسولينى** » ، والثالث والعشرون « **كوخ العم توم** » ،والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » ، والخامس والعشرون « **البوهيمية** » ، والسادس والعشرون « **فتاة لها ماض** » ، والسابع والعشرون « **ترويض النمرة** » ، والثامن والعشرون « **فن الحب** » ، والتاسع والعشرون « **الجريمة والعقاب** » ، والثلاثون « **المنافق** » (**طرطوف**) ، والحادى والثلاثون « **أميرة مصر** » ، والثانى والثلاثون « **الامطار** » ، والثالث والثلاثون « **أفروديت** » ، والرابع والثلاثون « **أقنعة الحب السبعة** » ، والخامس والثلاثون « **سالومى** » ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥

◆ **وتطلب** من ادارة كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول) وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجرة البريد (المسجل) ما عدا العددين ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر ، والعدد العشرون ، وثمن كل منهما عشرون قرشا ٠٠ وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ **ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على أحد بنوك القاهرة ، ولاتقبل العملة الاجنبية أو أذون البريد الخارجية٠ وتحرر الأذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا**

مطبوعات كتابى

صدر منها حتى الآن :

١ ـ قصة مدينتين
٢ ـ ذات الثوب الأبيض
٣ ـ الخـالدون
٤ ـ الخاطئـة
٥ ـ حياة امرأة (الجزء الأول)
٦ ـ حياة امرأة (الجزء الثانى)
٧ ـ الخطيئة الأولى وفتاة من الأقاليم
٨ ـ أوديب

وثمن كل من الأول والرابع والسابع ، عشرون قرشا خالصا أجرة البريد المسجل (نظرا لوشك نفادها) ، والثانى والثامن ١٢ قرشا ، والثالث والخامس والسادس ١٠ قروش



نافذة «كتابي» تطل على العالم :

رأيت وسمعت لك في أوربا

للمحرر

بين الحى اللاتينى ٠٠ ومتحف اللوفر

◆ فى العدد الماضى زرنا معا ، من معالم باريس ، أقدم أحيائها جميعا وهو حى « الجزيرة » ٠٠ فتنقلنا فيه بين قصر العدالة ٠٠ وسجن « الكونسييرجيرى » ٠٠ وكنيستى « نوتردام » و « سانت شابيل » ٠٠ ثم خرجنا من الحى لنزور ضريح الامبراطور نابليون فى « الانفاليد » ٠٠ ويممنا بعد ذلك شطر حديقة « اللوكسمبرج » الخلابة ، جنة الطلبة ٠٠ والعشاق !

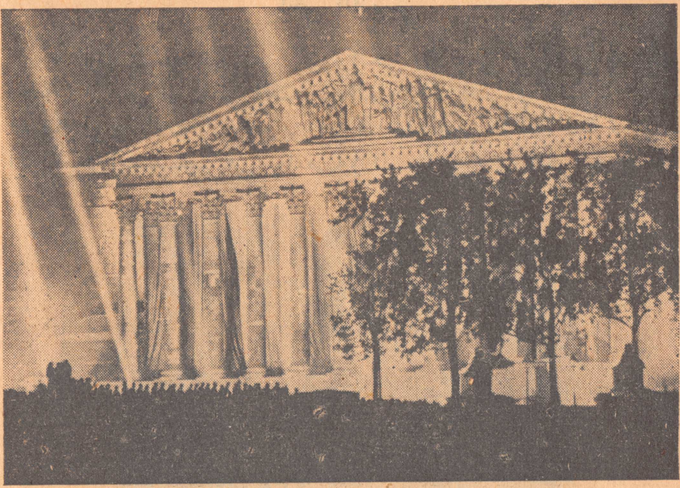
وفى هذا الفصل الذى أقدمه لك فيما يلى ، نمضى معا الى « الحى اللاتينى » ، حى الطلبة ٠٠ والشعراء ٠٠ والكتب القديمة ! ٠٠ فنتسكع فترة بين مقاهيه ومكتباته ، ثم نعرج على جامعته العالمية العريقة : « السوربون » ٠٠ ومنها الى « البانثيون » ، الصرح الهائل الذى يضم رفات تسعة وخمسين من عظماء فرنسا !

فاذا فرغنا من هذه الجولة مضينا الى متحف اللوفر ، الذى يزوره « ملايين » السائحين كل عام ، والذى لا يكاد يجرؤ زائر لمدينة النور على مغادرتها بغير أن يراه ! ٠٠ لكنى قبل أن أطوف بك فى أبهائه وقاعاته وطوابقه المختلفة ، أحب أن أقص عليك طرفا من تاريخه الحافل ، الذى يرتبط بكثير من الاحداث الهامة التى شهدتها فرنسا !

والآن ، فلنبدأ من حيث انتهينا فى الفصل السابق ، أمام قصر اللوكسمبرج :

قصر اللوكسمبرج

◆ وفى جانب من حدائق اللوكسمبرج يقوم القصر المعروف بنفس الاسم ٠٠٠ وللبقعة التى شيد عليها القصر تاريخ حافل : فقد كان فى مكانها قبل العصور الوسطى معسكر رومانى ، هجره الرومان على اثر غزو البرابرة ٠٠ ثم اتخذ ارهابى يدعى « فوفير » من اطلاله قلعة له ، يشن منها هجماته على البلاد المجاورة ٠ وفى سنة ١٢٥٧ تمكن رهبان « شارترو » من اقناع الملك بالتخلص من الارهابى المذكور ، ثم طاردوه واحتلوا مكانه ٠٠



مبنى « الجمعية الوطنية » كما يبدو فى الليل وقد سلطت عليه الأضواء

وبعد وفاة الملك هنرى الرابع ، ابتاعت الملكة مارى دى مديسيس تلك البقعة وشيدت عليها قصر اللوكسمبرج الحالى ، الذى استغرق بناؤه خمسة أعوام (من ١٦١٥ الى ١٦٢٠) ٠ ثم انتقلت اليه الملكة فى عام ١٦٢٥ ، **لكن خلافاتها مع الملك لويس الثالث عشر أدت الى نفيها من البلاد فى سنة ١٦٣١ ٠ وقد ظل قصرها المذكور مملوكا للاسرة المالكة حتى نشبت الثورة ، فاستخدم لفترة ما كسجن ، كما أوى اليه فى فترة أخرى رؤساء الدولة على التعاقب ٠٠ ثم صار مقرا لمجلس الشيوخ ٠٠ وهو الآن مقر « مجلس الجمهورية »** ٠٠ وتقع فى مواجهة القصر بحيرة جميلة تسبح فيها الزوارق الصغيرة ، فتضفى على الحدائق رونقا بهيجا

الحى اللاتينى

◆ **والآن** تعال معى نزور الحى اللاتينى ، ولعله أشهر أحياء باريس فى نظر القارىء العربى ، بحكم كثرة ترديد اسمه فى مقالات الكثيرين من كتابنا الذين عاشوا فيه سنوات أثناء دراستهم فى جامعة (السوربون) العريقة ، التى



تمثال « انتصار الجمهورية » المقام فى ميدان « الوطن » وهو من تصميم المثال « دالو » ، وحوله نافورة



واجهة دار أوبرا باريس التى تعتبر من أفخم دور الأوبرا فى العالم

تعتبر من أهم معالمه – وفى مقدمة من أولعوا به وأكثروا من التحدث عنه المرحوم الدكتور زكى مبارك ..

وترجع تسمية الحى بهذا الاسم الى أن اللغة اللاتينية كانت هى السائدة فى الدراسة – بل وفى الاحاديث العادية بين الاساتذة والطلاب ! – الى أن نشبت الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩ .. وقد اشتهر الحى الى ماقبل قرن ونيف بطرقاته الضيقة وأزقته التقليدية التى لاتنفذ اليها الشمس ، حتى جاء « بغدادى باريس » المدعو « هوسمان » فى عهد نابليون الثالث ، فأزال تلك الحوارى من الوجود وشق بدلا منها شوارع كبرى فسيحة أهمها « بوليفار سان ميشيل » الذى

يعتبر اليوم الشريان الرئيسى للحى اللاتينى ، (والذى يطلق عليه الطلاب على سبيل الاختصار : « بول ميشى ») ٠٠ ويزدحم الشارع المذكور بالمارة وبالمقاهى المتراصة على الأرصفة الى درجة تجعله أشبه بخلية النحل !٠٠ ومن أشهر مقاهى البوليفار مقهى (ديبون) وهو شبيه بمحل (الاميريكين) فى القاهرة، وله فروع فى كل حى من أحياء باريس تقريبا ٠٠ وقد اتخذ المحل لجميع فروعه شعارا طريفا ترجمته : « عند (ديبون) كل شيء لذيذ » ، والعبارة بالفرنسية تؤلف « سجعة » لطيفة هى **CHEZ DUPONT TOUT EST BON**



سلم دار أوبرا باريس من الداخل ، وقد بدا جانب من روائها الهندسى والزخرفى



فرقة الباليه بمسرح الاوبرا : لوحة عالمية للرسام « ديجا »

الجد واللهو .. جنبا الى جنب !

◆ **وبالحى** اللاتينى مدارس وجامعات كثيرة غير (السوربون) - التى سنتحدث عنها فيما يلى - وقد شيد بعضها منذ القرون الوسطى ثم جدد فى القرن الماضى ، ومن أهم هذه المعاهد : كلية «ليسيه لويس الأكبر» ، وهى تابعة لليسوعيين (الجزويت) ، وكلية «ليسيه القديس لويس» .. الخ

ويمتد بوليفار سان ميشيل من ضفة السين المقابلة لسجن الكونسيرجيرى وكاتدرائية نوتردام ، الى حيث يتصل ببوليفار (مونبارناس) .. **ولعل أجمل ما فيه ، وما فى**

الحى اللاتينى بوجه عام ، هوانك تجد فيه الجد واللهو جنبا الى جنب ، فى تآلف رائع ! فبقدر ازدحامه بالمقاهى والمارة والمتسكعين ، يزدحم بالمكتبات الكبرى الحافلة بآلاف الكتب ، القديمة والحديثة ، التى قد لا تجد نسخا من بعضها في أى مكان آخر فى العالم ! .. حتى انك لتكاد تجد بين كل مقهى ومقهى مكتبة !.. وبعض هذه المكتبات أقرب الى ان يكون دارا للكتب، اذ يتألف من عدة طوابق ! كما ان لكل مكتبة منها فرعا خارجيا على الرصيف ، هو عبارة عن مناضد طويلة ذات ارفف كثيرة ، صفت فوقها مئات الكتب من كل نوع ولون، وفى كل باب من أبواب المعرفة



ميدان الأوبرا الفسيح بباريس ، ويرى فى وسطه السلم المؤدى الى محطة المترو تحت الأرض



تمثال الحرية المقام عند « كوبرى جرينل » بباريس

والثقافة يخطر على البال ·· بل وبكل اللغات الحية ، وليس باللغة الفرنسية وحدها

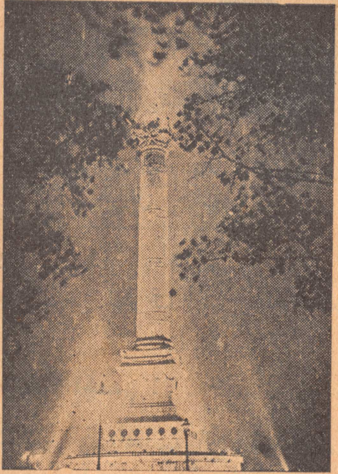
·· حتى مقاهى الحى اللاتينى يختلط فيها الجد واللهو ، ويتآلفان هذا التآلف الرائع ، فالى جانب الجماعة التى تتطلع الى مواكب الطالبات الحسان - من كل جنسيات الأرض ! - تجد على المنضدة المجاورة جماعة أخرى تتحدث فى الأدب والفن وأحدث مذاهبهما ! ·· وقد كان الحى اللاتينى منذ نحو خمسين عاما أو أكثر قليلا موطن الشعراء «الرمزيين» وحوارييهم، الذين تطرف بعضهم - مثل الشاعر « فرلين » - فى نزعاتهم الشاذة الى درجة تقرب من تطرف أتباع المذاهب الشاذة من طلبة اليوم !

غذاء العقل ·· وغذاء الجسم !

◆ **والآن** ، وقد قضينا شطرا من الصباح متسكعين بين مقاهى الحى اللاتينى ،وشطرا آخر متسكعين بين مكتباته ، نلتهم بأعيننا ألوف الكتب « المغرية » التى نود لو اتسعت ميزانية جيوبنا لاقتنائها جميعا ، واتسعت فسحة العمر لقراءتها كلها ! ·· لعلك تحس معى بلذعة الجوع فى المعدة - فلقد انتصفت الساعة الثانية دون ان نشعر !

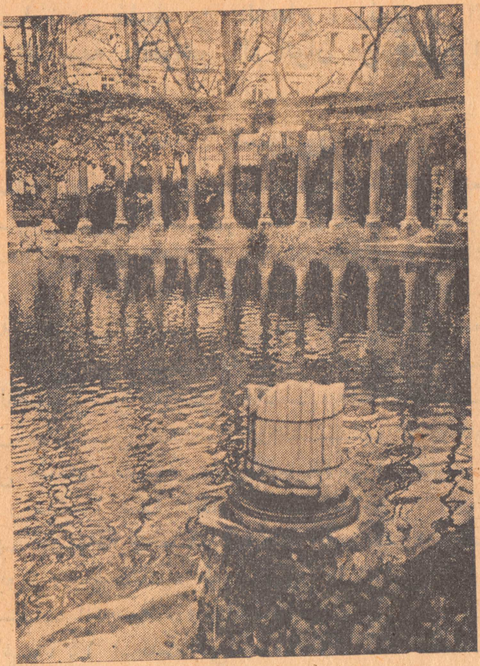
ـ فتعال معى نتناول غداءنا اليوم فى مطعم قد لا يتاح مثيل له الا فى لندن أو نيويورك ٠٠ فى مطعم « صينى » !

ومضينا الى شارع صغير يقع خلف بوليفار سان ميشيل ، وهناك استقبلنا سقاة المطعم الصينيون بترحيب يمازجه الحياء المأثور عن قومهم ٠٠ ثم جاءوا لنا بقائمة أطعمتهم التقليدية ، وأعدوا لنا الصحاف وأدوات المائدة ، **فاذا فى مقدمتها طبعا العصاتان الخشبيتان اللتان يؤكل بهما الارز فى بلادهم ٠٠ لكننا فشلنا فى استعمالها ، فلجأنا الى الأدوات الافرنجية ٠ ثم جىء لنا بأقداح الشاى الصينى الذى هو عندهم بمثابة الخمر الخفيفة الفاتحة للشهية ، فاذا طعمه لا يسر الخاطر ، اذ كان أقرب الى الشاى الخفيف جدا ، بغير سكر ٠٠ ولا حتى ملح !**



العامود المقام فى وسط ميدان (الباستيل) ، حيث كان يقوم السجن المشهور الذى اقتحمه الثوار يوم ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩ ثم هدم بعد ذلك

وكانت المفاجأة ، أو خيبة الأمل ، الثانية انهم لم يقدموا لنا خبزا ـ البتة ! ـ وقالوا حين سألناهم ان أطعمتهم لا يؤكل معها خبز ، اذ يغنى عنه الارز ٠٠ وهى حجة منطقية طبعا من وجهة النظر الغذائية أو الصحية ، لكنها موجعة لنا نحن الشرقيين الولوعين



بحيرة رائعة يحيط بهـا سور من الأعمدة ذات الطراز الفنى الرفيع ، بحديقة « بارك مونسو »

بالخبز أكثر مما ينبغي !

لكن الطبق التالى كان شهياحقا ، وغريبا ! ٠٠ كان خليطا من أطعمة مختلفة قد قطعت الى أجزاء صغيرة متشابهة يقل كل منها عن حجم الفـولة ! **ورغم ان طعمها كان لذيذا فقد استبد بنا الفضـول لمعرفة نوع كل طعـام منها ٠٠ فاذا**

هى عبـــارة عن خليط من :الدجاج ، ونوع من الأحيـــاء البحـرية الشبيهة بالقواقع ،ثم ألوان من جذوع الخضروات المعروفة فى الصين !

جامعة « السوربون »

◆ **الساعة** الآن قد جاوزت منتصف الثالثة ، فتعال نغادر المطعم الصينى لنزور أشـهر جامعة فى العالم : السوربون!٠٠ وقد شيدها فى عام ١٢٥٣ ـ بمعاونة واعانة من الملك ـ رجل من رجال الدين كان يتـولى منصب قسيس الاعـتراف فى « كليـــة القديس لويس » ،ويدعى «روبرت دى سوربون» ٠ وكان قد عانى فى شـبابه الباكر الصعوبات التي تواجه الطالب الفقـير فى باريس ،فأسس هذه الجامعـــة لتهيىء للمحتاجين سـبل استكمال دراسـتهم ٠ وكان الفريق الأول من طلبتها سـتة عشر طالبا فقـيرا دخلوها ليدرسوا اللاهوت ويعيشوا فيها كطلبة القسم الداخلى ، وهكذا قدمت الجامعة لهم الضيافة والعـلم فى وقت واحـد ٠ وقـد ظلت « السوربون » بعد ذلك ، طيلة عصور ما قبـل الثورة ، مركز الدراســات الدينية ، ونواة جامعة باريس ٠

وفى عام ١٤٦٩ ادخلت فى الجامعة أول آلة للطباعة ٠٠ وفى عهد لويس الحادى عشر ، اختير يوم ٢٨ يناير عيدا سـنويا للجامعة ، يحتفل به الطلبـة وأساتذتهم ٠٠ وعندما انتخب السياسى الداهية الكاردينال ريشليو عميدا للسـوربون ، ألفى ابنيتها فى حالة سـيئة يرثى لها ، فأمر بتجـديدها جميعا بما يتفق ومكانتها ، على حسابه الخاص ! ٠٠ وفيما بين عامى ١٨٨٥ و ١٩٠١ اضيفت الى الجامعة بضعة أبنية جديدة٠

وفى مكتبة السوربون نحو ٦٠٠ر٠٠٠ مجلد ، ويتسع أكبر مدرجات الجامعـة لنحو ٢٧٠٠ شخص ، ويقـام به كثير من الاحتفالات الجامعيـة ٠ وتزين القاعة لوحة رائعة يطلق عليها



سلم يصل بين شارعين من شوارع حى
« مونمارتر » المشيد على « هضبة الشهداء »

« الغابة المقدسة » ، السوربون محاطة بآلهة : الفصاحة ، والشعر ، والفلسفة ، والتاريخ ، والعلوم ، والقانون ، والتشريح ، والجيولوجيا ، وعلم وظائف الأعضاء ، والعلوم الطبيعية .. الخ

وقد تدهش اذا علمت ان هذه الجامعة العريقة ذات الشهرة العالمية ، لا تضم غير كليتى الآداب والعلوم ! .. ومما يشرح الصدر حقا ، ويعطيك فكرة عن مدى تقدير القوم لأدبائهم ، ان ترى فى فناء كلية الآداب تمثالا نصفيا لشاعرهم الخالد « فيكتور هيجو »



المنزل الذى كان يقطنه الأديب الفرنسى الكبير « بلزاك »

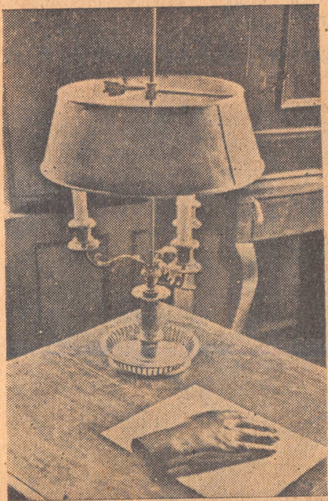
مقبرة العظماء

◆ **وعلى بعد** دقائق من السوربون يقع مبنى «البانثيون» أو مقبرة العظماء . وصاحب الفكرة فى انشاء البانثيون كان الملك لويس الخامس عشر ، ففى سنة ١٧٤٤ كان الملك مريضا فى حالة سيئة ، فنذر — فيما لو شفى — ان يشيد فى مكان المبنى المتداعى لكنيسة « القديسة جنيفييف » — حامية باريس — صرحا جديدا شامخا ، يليق بالقديسة .. فلما شفى الملك كلف الفنان « مارينى » عميد مدرسة الفنون الجميلة ، وشقيق مدام دى بومبادور ، أن يضع المشروع موضع التنفيذ ، فعهد هذا بالفكرة الى المهندس المعمارى « سوفلو » — الذى يطلق اسمه الآن على الشارع الذى يقع فيه البانثيون — فأعد هذا تصميما مزج بين الفن القوطى والفن الاغريقى الرومانى

على ان الملك لم يمد يده بالمال اللازم لتشييد الكنيسة الجديدة ، فانقضت عشر سنوات و « مارينى » عاجز عن البدء فى التنفيذ ، واذ ذاك خطرت له فكرة عمل «يانصيب» كبير لجمع المال اللازم للمشروع — (وقد اضطر فيما بعد الى عمل اليانصيب مرتين اخريين كى ينفق منه على اتمام البناء الرائع)

وهكذا أرسى حجر الاساس للكنيسة فى عام ١٧٥٨ ، لكن سوء تمهيد الأرض قبل البدء فى اقامة البناء ادى الى ظهور شروخ فى الجدران بعد ٢٨ عاما ، فانبرى خصوم المهندس « سوفلو » لمهاجمته والتنديد بتصميمه .. وكان وقتئذ مريضا ، فعجلت الحملة بوفاته ! .. واذ ذاك استأنف احد تلامذته الاشراف على المشروع ، فأتمه فى عام ١٧٨٩ .. العام الذى نشبت فيه الثورة الكبرى !

ولم يمض عامان حتى قررت الجمعية التأسيسية تحويل كنيسة القديسة جنيفييف الجديدة الفخمة الى معبد اثرى يضم رفات عظماء رجال ذلك العصر ، تخليدا لذكراهم . وكان خطيب الثورة « ميرابو » قد مات قبيل ذلك التاريخ بمدة وجيزة ، فكان أول عظيم يحظى بهذا الشرف .. ثم الحق به جثمان « فولتير » بعد زمن قصير (وكان قد انقضى على وفاته ١٣ عاما) .. ثم اطلق على المعبد اسم « البانثيون » ، وهو اسم قديم معناه « معبد جميع الآلهة »



مصباح المكتب الذى كان يعمل «بلزاك» على ضوئه ، والى جواره نموذج مجسم ليد الاديب التى كتبت روائعه !

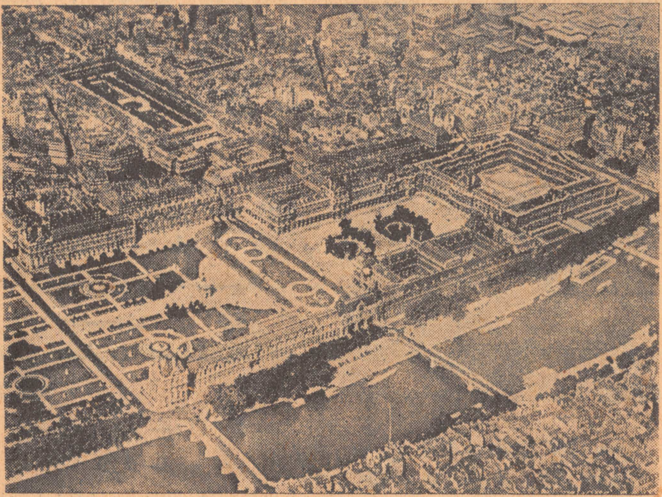
لكن البانثيون أعيد « كنيسة » كما كان ، فى عام ١٨٠٦ ، بأمر من نابليون .. ثم جاء الملك لويس فيليب

فجعله « معبدا للموتى الامجاد » ٠٠ ومرة ثالثة أعاده نابليون الثالث كنيسة من جديد ٠٠ ثم ردته الحكومة مقبرة للعظماء فى سنة ١٨٨٥ ، ونقلت اليه رفات « فيكتور هيجو » ٠٠ ومنذ ذلك الحين ظل على هذا الاعتبار

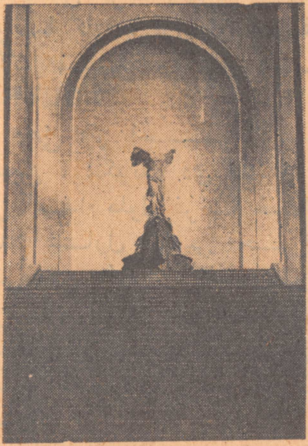
ومن العظماء الذين دفنوا فى البانثيون ـ عدا من ذكرنا ـ جان جاك روسو ، اميل زولا ، رئيس الجمهورية « كارنو » الذى اغتيل فى ليون عام ١٨٩٤ ، والزعيم الاشتراكى « جان جوريس » ، وأربعون من كبار قواد الامبراطورية الاولى وزعمائها ٠٠ ويبلغ عدد جميع المدفونين فيه ٥٩ عظيما

أكبر قصر فى العالم !

◆ **ونكتفى** من الحى اللاتينى بهذا القدر ، كى نمضى لزيارة



مبانى متحف اللوفر ، كما ترى من الطائرة



تمثال « النصر » ، كما يرى فى أعلى سلم عريض بأحد أجنحة متحف اللوفر

صرح هام من معالم باريس طبقت شهرته الآفاق ، هو متحف « اللوفر »

وقصر اللوفر الذى يحتله المتحف المعروف باسمه اليوم، هو أكبر قصر فى العالم على الاطلاق ، فهو يتألف من عدة اجنحة ـ أو بالاحرى قصور ـ تتوسطها ساحة مربعة فسيحة تزيد مساحتها عن أكبر ميدان، ويطل احد اضلاعها على نهر السين

ولتشييد قصر ـ أو قصور ـ « اللوفر » قصة طويلة ، طريفة ، أوجز لك خلاصتها فيما يلى : فقد شيدت نواة قصر اللوفر فى عام ١٢٠٠ بأمر الملك فيليب اوغسطس ، على ضفة نهر السين ، كى تكون قلعة تحمى أضعف نقطة فى خطوط الدفاع عن باريس • وكانت مساحتها ربع مساحة القصر الحالية • وعلى اثر ذلك نقل الملك الى القلعة الجديدة كنوز التاج ، وترسانة الأسلحة ، وقسم «الأرشيف» بالقصر الملكى، وكان الملك يقطن يومئذ فى مبنى قصر العدالة الحالى بحى الجزيرة •

ومن العسير تحديد منشأ تسمية قصر اللوفر بهذا الاسم، وان كان الثابت ان الاسم اطلق عليه واعلن رسميا منذ عام ١٢٠٤ • وقد تكون صحيحة الرواية التى ترجح ان

الملك من فرط اعجابه بالقصر الذى اعتبر من أجمل المبانى فى فرنسا كلها ، أراد ان يصفه بأنه « عمل فنى » فعبر عن ذلك بلفظ مختصر هو L'ŒUVRE ثم حرف اللفظ الى LOUVRE

وعلى اثر احراز نصر (بوفين) فى عام ١٢١٤ ، سجن « الكونت دى فلاندر » فى القلعة ، ثم لحق به الكثيرون من أعداء ملوك فرنسا خلال القرنين التاليين ٠٠ حتى جاء الملك شارل الخامس فحول القلعة الى قصر للسكنى ثم نقل مقره اليه ، وكانت حدود باريس قد امتدت الى أبعد من تلك البقعة فلم يعد مكان القلعة مركزا ستراتيجيا لازما للدفاع عن العاصمة ٠٠ وفى عهد الملك المذكور شهد القصر أبهى الحفلات وأعظم الولائم ومظاهر البذخ التى اقيمت بين جدرانه !

يهجرونه ١٥٠ عاما !

◆ **لكن** القصر هجر بعد ذلك لمدة قرن ونصف ، حين آثر الملوك التالون أن يقيموا فى قصورهم الخاصة التى ألفوها ووجدوا فيها راحتهم ، سواء فى باريس ذاتها أو على ضفة اللوار ٠٠ الى ان جاء الملك « فرانسس الأول » فرأى ان يقيم فى قصر اللوفر ليكون قريبا من شعبه ويحظى برضائه ٠٠ وعمد الى ازالة السرداب القديم الذى يقع أسفل الساحة الوسطى ، كما هدم اسوار



« مراب ، وزوجته » ، للرسام « كوينتان متسيس » : بمتحف اللوفر

القلعة السميكة وانشأ فى مكانها حدائق . وفى سنة ١٥٤٦ أمر احدعباقرةالمهندسين المعماريين فى عصره بأن يبنى قصرا يكون بمثابة جناح جديد للقصر القديم ، لكنه مات قبل ان يتم البناء ..

وواصل الملكان اللذان أعقباه ـ هنرى الثانى والثالث ـ الاشراف على اتمام القصر الناقص ، ثم شيدا قصرا آخر مكملا له ، فتم الجناحان الجنوبى والغربى من « اللوفر » ، اللذان صمما على طراز فن « عصر النهضة » ، الى جانب الجناحين القديمين اللذين شيدا على الطراز القوطى



«يعقوب والملاك» : لوحة مشهورة للرسام « ويلاكروا »

ويزعم التاريخ ان الملك شارل التاسع اطلق النار على انصار « الهيوجونوت » ـ خلال الفتن الدينية التى نشبت فى القرن السادس عشر ـ من الشرفة المشهورة بأحد جوانب القصر .. والرد الوحيد على هذا الزعم ، ان الشرفة المذكورة لم تكن قد شيدت فى ذلك التاريخ (عام ١٥٧٢) !!

يهجرونه مرة أخرى .. الى (فرساى)

◆ **ثم راق** للملكة « كاترين دى مديسيس » ـ أرملة الملك هنرى الثانى ـ ان تقيم مع ابنها فى « اللوفر » ، ولكن على ان يكون لها جناح أو قصر مستقل ، فأمرت بتشييد القصر الجديد فى ارض (التويلليرى) ، على بعد ٤٠٠ متر من اللوفر . ولكى

تحمى نفسها من تقلبات الطقس وهى تتنقل بين الاجنحة او القصور المختلفة ، أمرت باقامة ممر مسقوف بمحاذاة الضلع الموازى لنهر السين ٠٠ ثم جاء «هنرى الرابع» فأتم هذه الابنية واضاف اليها جناح « البافيون دى فلور » فى الركن الذى كان يفصل بين الممر وقصر التويلليرى

وفى عهد لويس الثالث عشر ، عام ١٦٢٤ ، مد الجناح الغربى من القصر الرئيسى وأقيم فى وسطه جناح اضافى اطلق عليه « جناح الساعة » ، لكن العمل فيه لم يلبث ان توقف بعد ثلاث سنوات تحت ضغط الارهاق الذى اصاب ميزانية القصر الملكى ٠٠ ثم جاء لويس الرابع عشر فضاعف امتداد الجناح الجنوبى من القصر وبدأ فى انشاء جناحين جديدين ، كما أنشأ « جناح مارسان » فى الركن الشمالى من قصر التويلليرى ٠٠ وفى سبيل اتاحة مساحة كافية للابنية الجديدة ازيلت المنازل والدور المجاورة للقصر ، ثم امر الملك بهدم الجناحين القوطيين اللذين كانا النواة الاولى لقلعة اللوفر القديمة واكمال حلقة المبانى الجديدة ذات الطرز المتناسقة

لكن البلاط الملكى لم يلبث ان هجر « اللوفر » ، فى عام ١٦٨٠ ، حين آثر الملك لويس الرابع عشر ان ينتقل للاقامة فى قصر جديد أمر بتشييده فى ضاحية (فرساى) ٠٠ وبذلك تركت الابنية الجديدة فى « اللوفر » ناقصة لم تشيد سقوفها !

وعلى اثر ذلك غزت القصر الناقص المهجور جماعة من الفنانين البوهيميين ، غطت سقفه بالخيام ونقلت اليه ادواتها وحواملها وجوالات ألوانها ، فغدا مظهر القصر مدعاة للرثاء والحسرة بحيث كان من يراه يتمنى لو هدم وسوى بالارض ، لولا معارضة المدعو « مارينى » ـ عميد مدرسة الفنون الجميلة وشقيق مدام دى بومبادور ـ الذى اشرنا اليه فى معرض الحديث عن مقبرة البانثيون ـ فاليه يدين الجناح بفضل الابقاء

عليه خلال تلك المحنة .

وظلت تلك الجماعة من الفنانين البوهيميين تحتل ذلك الجناح المهجور خلال حكم لويس السادس عشر . وحين نشبت الثورة الكبرى اقيمت المقصلة فى الميدان المواجه للقصر لمدة نحو تسعة أشهر ، (من ٢٢ أغسطس سنة ١٧٩٢ الى ١٠ مايو سنة ١٧٩٣) - وخلال تلك الفترة نقلت الى ميدان الكونكورد ليوم واحد ، فى يناير سنة ١٧٩٣ ، يوم اعدم بها الملك لويس السادس عشر !



انتصار الالهة « فلورا » ، لوحة بمتحف اللوفر للرسام «بوسان»

قصة قصر التويلليرى

◆ **وقبل** أن نتم سرد قصة الاطوار التى مر بها قصر اللوفر خلال السبعة قرون ونصف قرن التى انصرمت منذ انشئت نواته الاولى عام ١٢٠٠ ، نتوقف برهة لنسترجع الذكريات الحافلة التى رددت صداها جنبات ذلك الجناح من اجنحته الذى شيدته الملكة الارملة «كاترين دى مديسيس» كما أسلفنا الاشارة ، وهو الجناح الذى عرف باسم « قصر التويلليرى »

فقد تتابع على الاقامة فى القصر المذكور عدد كبير من الشخصيات الهامة فى التاريخ الفرنسى ، ومن هؤلاء «جاستون اورليان» شقيق لويس الثالث عشر ، و « دوق أنجو » شقيق لويس الرابع عشر ، ثم لويس الخامس عشر قبل ان يبلغ سن الرشد ، ولويس السادس عشر بعد اضطرابات اكتوبر ،

ونابليون الاول فى عهده كقنصل ثم كأمبراطور ، ولويس الثامن عشر ، وشارل العاشر ، واخيرا نابليون الثالث ٠ كما ولد فى القصر المذكور ابن نابليون ـ « النسر الصغير » أو ملك روما كما اطلق عليه

وحين احترقت دار اوبرا باريس القديمة ، نقلت الاوبرا بجميع برامجها مؤقتا الى احدى قاعات قصر التويلليرى ، فظلت فرقة « الكوميدى فرانسيز » تمثل رواياتها زمنا فى تلك القاعة ٠٠ وهناك مثلت مسرحية « ايرين » التى توج « فولتير » بسببها ملكا للمسرح الفرنسى ، فى ليلة ٣٠ مارس سنة ١٧٧٨ ، قبل وفاته بأسابيع ٠٠ وقد كان تمجيد فولتير فى تلك الليلة خاتمة الاحداث الهامة التى شهدها قصر التويلليرى قبل نشوب الثورة

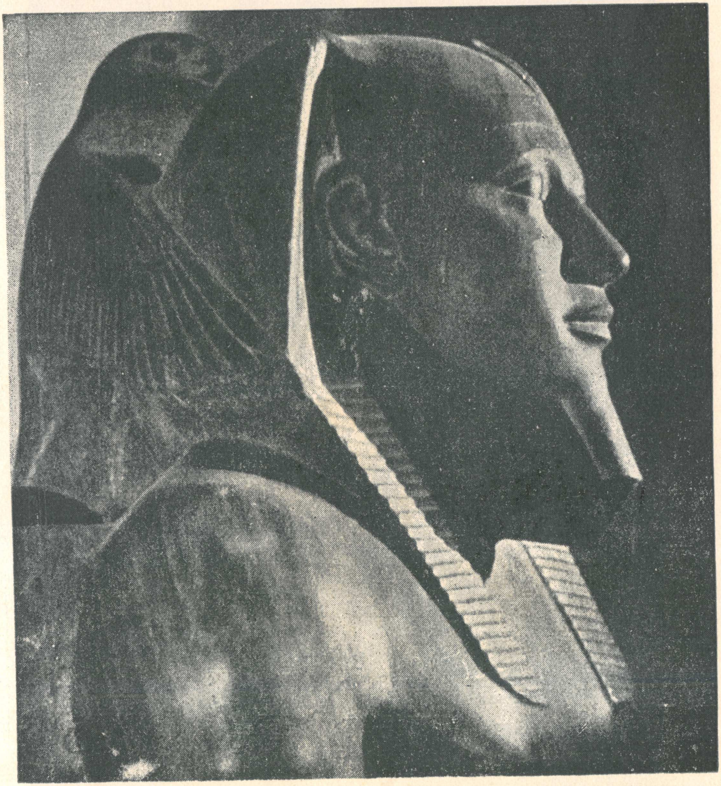
وفى ٢٠ يونيه سنة ١٧٩٢ اقتحمت الجماهير الثائرة القصر ، واجبرت الملك على أن يضع على رأسه قلنسوة الثورة الحمراء ، ويشرب نخب الحرية !٠٠ وفى ذلك اليوم كان الضابط الشاب نابليون بونابرت ـ كما روى بعد ذلك فى « مذكراته » ـ مدعوا للعشاء فى شارع سانت اونوريه ، حين رأى جمهوراً من نحو ستة آلاف متظاهر ينطلق فى اتجاه القصر ، فتبعه الى حيث شهد الحادث السالف الذى جرى فى شرفة التويلليرى المجاورة لنهر السين

وفى يوم ١٠ اغسطس التالى ، هاجمت القصر مظاهرة مسلحة ، قتلت رجال الحرس السويسرى وخلعت الملك عن عرشه ٠٠ وفى « القاعة الخضراء » بالطابق الاول من جناح « فلور » صارت لجنة الأمن العام تعقد اجتماعاتها خلال عصر الارهاب !

وفى يوم اول فبراير من عام ١٨٠٠ دخل القنصل نابليون بونابرت قصر التويلليرى ٠ ومنذ ذلك اليوم حتى عام ١٨٧٠ ظل القصر مقرا لرئيس الدولة ٠٠ وخلال تلك المدة اقتحمت الجماهير القصر مرتين ، اثناء ثورتى عامى ١٨٣٠ و ١٨٤٨ ٠٠ وفى يوم

٤ سبتمبر سنة ١٨٧٠ غادرت الامبراطورة اوجينى ـ زوجة نابليون الثالث ـ القصر لآخر مرة ، فى طريقها الى بلجيكا ٠٠ مارة بالممر المسقوف المحـاذى للسين

وفى العدد القـادم أحدثك باذن الله عن باقى قصـة متحف اللوفر ، وعن الجناح المصرى بالمتحف ٠٠ ثم نغادر اللوفر لنزور بقية معالم باريس



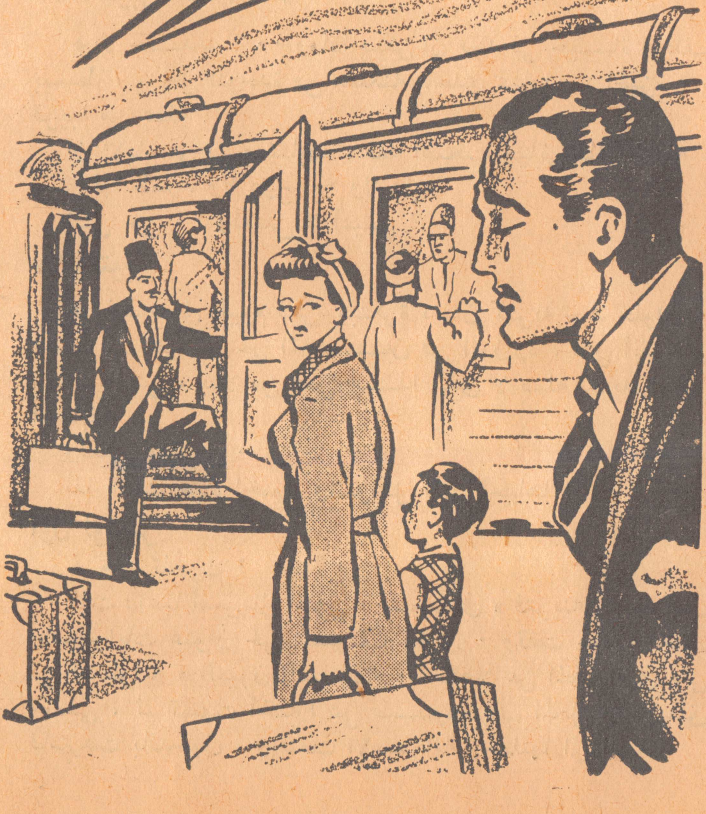
قطاع من تمثال بالمتحف المصرى للملك « خفرع » مشيد الهرم الأوسط من أهرام الجيزة . وخلف رأس الملك صقر يمثل الاله «حورس» حامى الملك . ويرجع تاريخ التمثال الى حوالى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد



تمثال بمتحف (بوسطن) بأمريكا ، للملك منقرع مشيد الهرم الأصغر ، وقد أحاطت زوجته خصره بذراعها وربتت على ذراعه بيدها الأخرى فى حنان مثالى ، والتمثال يرجع الى عهد الاسرة الرابعة (حوالى عام ٢٤٥٠ق م)

العيون السوداء!

قصة مصرية في يوميات : للمحرر



من يوميات شاب حالم

- ١ -

٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٦

◆ لا جـديد ! .. وماذا يمكن أن يجد فى حيـاة موظف بسيط ، يزامل الوحدة فى مسكنه باحدى عمارات (الجيزة) ، قريبا من عمله ؟

ان الايام تمر بى متشابهة ، فقد أضحت حياتى قاتمة خاملة ، ليس لها طعم ، ولا روح .. ولا غاية

اننى حى .. ولكننى لا أعيش !

٢٧ أكتوبر

◆ خطرت لى اليوم فكرة مبتكرة بشأن كهربة خط حلوان . فكرت أن أعرضها على المختصـين فى الوزارة ، لعلى أنقل الى القسم الفنى ، بدلا من عملى هـذا الذى لا صلة له بدراستى السابقة

ولكننى عدلت ..

لقد ألفت حياة الخمول والتواكل التى أحياها !

أول نوفمبر

◆ مالى تذمرت !

كنت ذاهبا أمس الى المقهى ، فلمحت فى « فترينة » أحد محال الاسطوانات عنوان لحن استوقف نظرى . وقفت جامدا أحدق فى اسطوانة « العيون السوداء » ، ذاهلا عن المطر الذى بلل معطفى ، ثم تنبهت أخيرا على صـوت باب المحل وهو يغلق فأسرعت بالدخول ، وابتعت الاسطوانة وحملتها الى البيت



لاشك أن منظرى كان مضحكا وأنا أحنو عليها طوال الطريق وأضم عليها أصابعى ، خشية أن تنزلق !

وأسرعت الى الجرامفون أنفض عنه الغبار ، وأديرها عليه

عجبا ٠٠ من كان يظن أننى أبكى !

لم يكد صدى النغم الأخير يموت فى أذنى ، حتى أحسست بالدموع تتجمع فى عينى ، فتركتها تفيض ٠٠ لقد أثار اللحن أشجانى من جديد ، وأعاد الى حواسى صورا كانت قد بهتت وحالت ألوانها ، بعد أن أتحفت حياتى بلحظات خالدة ، منذ ستة أعوام ٠٠

ووجدت نفسى أحن الى الماضى بكل ما فيه من لذات وآلام ، نعمت بها وشقيت ، أياما لن أنساها !

هيه ٠٠ لا أقل من أن أنبش الذكريات ، وأعود ٠٠ الى الماضى !

- ٢ -

٧ يوليو سنة ١٩٣٩

◆ عدت الى « البلد » منذ يومين لقضاء فترة الصيف فيها مع أسرتى ، لأول مرة منذ أربع سنوات ٠٠ منذ غادرتها الى القاهرة لدراسة الهندسة ، التى لم يبق على انتهائى منها سوى عام

وبدأ الأقارب والأصدقاء يفدون على منزلنا مهنئين ،

متزاحمين على دعوتى للغداء والعشاء و ٠٠ دون أن يتركوا لى فرصة للتملص أو الاعتذار ٠ ما أعجب شعور الناس هنا فى أقاليم الصعيد ! لقد تحيرت دموع الشكر والخجل فى عينى ، حين لمست هذه الرابطة المتبادلة بين الاسر ٠ ان هذه الصداقة المشبعة بالشوق والاخلاص ، والفرح للآخرين ، تتوارى فى القاهرة خلف أقنعة المآرب والشهوات ، وتغرق وسط ذلك الخليط المتنافر من مختلف الاجناس والاوساط ٠٠

ما ألذ أن يعيش الشخص فى وطنه حقيقة ٠٠ ولو أياما كل عام

١٦ يوليو

◆ بدأت أستقر ، وأخلد للراحة السخية التى تمنحها هذه الجهات ٠ انى أنعم هنا بلحظات استجمام ولذة هادئة ، كلما فرغت لمطالعاتى المحببة ٠ يخيل الى أن المتعة التى أتلمسها بين صفحات الكتب تهبنى صفاء ذهن عجيبا ، لا يعكره «البارازيت» الذى يتخلل جو القاهرة المكهرب ٠٠

١٩ يوليو

◆ دعيت مع أسرتنا الى سهرة يقيمها الليلة والد رأفت — صديقى منذ الطفولة — احتفالا بالعام الأول للطفل الذى رزقته ابنته اعتدال ٠ بدأت أضيق بهذه الحفلات المملة ٠ أود لو أعتذر عن الذهاب ، لكنى أخشى أن يعتبر ذلك « حركة سخيفة » منى !

٢٠ يوليو

◆ كيف خطر لى أن أعتذر ؟! ٠٠ لو فعلت ما نجوت من الندم ، فقد كانت السعادة تنتظرنى هناك دون أن أدرى ٠ بدأت أعتقد ان المفاجأة السارة التى يهيئها لنا القدر فى لحظة

انشراح ، تجىء أروع من كل ما نسعى اليه شهورا طويلة !

٠٠ كيف أبدأ ؟

كان البيت يموج بالأسر المتحابة التى دعيت ٠٠ وقد ازدحمت ببعضها شرفته ، وبقى الآخرون فى الصالون يتسامرون ويضحكون ، يسودهم ذلك الضجيج الذى عرفت به حفلاتنا ٠ ولم أكد أجلس حتى ذكرنى المقعد الذى قدم لى ، باحدى صور الطفولة ٠ كم أنهكنا تلك المقاعد فى صغرنا ، حين كان لا يحلو لنا اللعب ، أنا و « سلوى » ــ الأخت الثانية لرأفت ــ الا فى الصالون ، وعلى البيانو الذى يحتل أحد أركانه !

وتذكرت « سلوى » ٠٠ انها لم تحضر مع أسرتها يوم جاءوا عقب وصولى ٠٠ فأين هى ؟

درت بعينى فى أنحاء المكان ، ولكن احدى الفكاهات التى كان القوم يتندرون بها ، أنستنى ما كنت بسبيله ٠٠

٠٠ حتى اقترحت احدى المدعوات أن تسمعنا « سلوى » قطعة على البيانو ، وأيد الجميع الاقتراح ٠٠ فجاءت سلوى من احدى الغرف وقد أحرجها التصفيق ، ورفع الى وجهها حمرة عذبة ! ٠٠ لم أكن رأيتها منذ أربعة أعوام ، منذ تركتها صبية فى الخامسة عشرة ، فاذا بها الآن قد نضجت واستطال قوامها ٠٠ ولم تكد تقترب من البيانو الذى كنت أجلس بجواره حتى ٠٠ آه ، لقد صدمتنى فيها عينان يشع منهما نور ونار !

ورحت أرمقها وهى تعزف لحن « العيون السوداء » ٠٠ وأنا أتلقى الصدمات تلو الصدمات ! ٠٠ كانت أناملها تقطف من البيانو فى رشاقة ، صدى الانغام التى خلتها تترقرق من أهدابها الطويلة الفاحمة ، فتغشى الحس واهنة خائرة ، حتى يسكن اليها ويستنيم ، فتعنف وتثور ، وتدب فيها الحياة قوية جامحة ثم ٠٠ يعود السكون من جديد

عجبا ! ٠٠ من كان يظن أننى أتلعثم أمام سلوى ؟

لم يكد صدى النغم الأخير يموت فى آذاننا حتى أحسست

بالكلمات تتزاحم على لسانى ، فتقدمت من سلوى محييا ومهنئا .. ولكننى لم أنطق بغير بضعة ألفاظ خافتة ، تبخر باقيها على وهج نظراتها فتلعثمت .. ولحظت هى منى ذلك فارتبكت قليلا وهى تبتسم ، وترد تحيتى بهمهمة لا معنى لها ، بينما راحت عيناها الخجلتان تتلمسان شخصا آخر يكلمها ..

بدا واضحا ادراكها انها قد غدت عذراء ، وغدوت رجلا !

وأعد العشاء ، فوجدتنى أحرص على الجلوس الى جوارها ، متجاهلا المقعد الذى قدم لى فى مكان آخر !.. كانت جرأة أعجب الآن كيف واتتنى ، وان كنت لم أعبأ وقتئذ ، بل اكتفيت بأن أجلت بصرى بين الحاضرين متلمسا أثرها ، فتبينت أن أحدا لم يلحظنى ، اذ كانوا مستغرقين فى الأحاديث والضحكات ، وعيونهم تهضم الطعام الشهى الذى حفلت به المائدة !

وشبع الكل ما عداى وسلوى ، فقد كان كل همى أن أنتهز فرصة ارتفاع أصوات نفر من المدعوين ، فى حديث صاخب ، لأهمس لها بأية كلمة أو تعليق أجده على لسانى ، كى أشبع بصرى من وجهها وأدفىء روحى بالفتنة التى تشتعل فى عينيها ..

وكانت اذا ما أعيتها الردود ، تذكر فجأة ان أمامها طعاما لم يؤكل ، فتهرب من الجواب وابتسامة حيية تتعثر على شفتيها .

ما أغرب الشعور الذى تخطف حواسى فى تلك اللحظات ! انه شعور الانسان بفرح طاغ وراحة خفية ، لامكان ازدياد التفاهم بينه وبين الشخص الذى يخصه باعجابه ، وينعم بقربه

لقد صحوت مع الفجر منذ لحظات ، فوجدتنى أتحسس راحة يدى . خيل لى أنها اختزنت الدفء الذى سرى اليها من يد سلوى حين اتكأت عليها عند الباب ، وقت الخروج ، فترة أطلناها عمدا وأنا أهمس لها : « الى اللقاء » !

وخرجت وقتئذ ، وكيانى يعانى حمى فضول عجيب لا يزال يغشانى : ترى هل كتب لروحى الحائرة ، الظمأى الى عاطفة تطهرها وتغسل وحشتها المقبضة ٠٠ أن تجد راحتها أخيرا ؟

٢٣ يوليو

◆ قنعت اليوم من سلوى ـ حين كنا فى منزل أهلها ـ بما نالنى من « رشاش » أحاديثها ونظراتها ٠٠

وقنعت هى منى بالمثل !

كم أتوق الى أن أسمع منها مرارا ذلك اللحن الروسى الذى يتفق مع طبيعتى الثائرة : لحن « العيــون السوداء » ٠٠ انها فاتنة وهى تعزفه

٢٩ يوليو

◆ يا للنحس ! لم أكن بالبيت حين حضرت سلوى اليوم مع أسرتهـا لزيارتنا ! ٠٠ ولم أكد أعــلم حتى اعترتنى نوبة من الكآبة والضيق ، فاعتزمت الا أبرح البيت الا للضرورة ، طوال الأوقات التى يحتمل حضــور « أحد » فيهـا ٠٠ لئلا تتكرر المأساة !

٢ أغسطس

◆ انتهزت اليوم فرصة حضور أحد الزائرين فى غيبتى ، ونبهت عــلى أهل البيت أن « يتعلموا النظـام » ويتعاملوا مع الجميــع على أساس تبادل الاخطــار بالزيارة قبلها بيوم أو يومين !

٢٧ أغسطس

◆ يخيل الى أن القدر قد كف عن مناوأتنا وبدأ يقــرب بيننا ، ويحثنا على أن نسهل مهمته ٠ فقد جمعتنى المصادفات مع

سلوى واخوتها عدة مرات ، فى مناسبات مختلفة : فى الطريق ، وفى سينما البلدية ، وفى منزلهم ، ومنزلنا ·· وفى كل مرة كنا نتبادل جميعا الأحاديث فى أى موضـــوع ، فأحس لمجرد سماعى صـــوتها ، وملء عينى من البشـــاشة التى تفيض من وجهها ، براحة تزيل ما قد يكون بنفسى من الضيق ، وتضفى على مرحا وجـــذلا لا عهد لى بهما ·· فأقضى بقية اليوم نشطا طروبا

ما أعذب هذا الشعور ··

٨ سبتمبر

◆ اســـتطعت أمس أن أحظى ببضـــع دقائق قضـــيناها منفردين ، حين كنا فى السينما وتركنا رأفت فى « الانتراكت » ليتحدث مع صـــديق له · كان الهـــواء نديا يرطب الوجوه ، فأحسست بانتعاش غريب شـــجعنى على أن أهمس لسلوى ، وبصرى يجوس حائرا فى عينيها :

— ألا أستطيع دخول « الغرفة المظلمة » ؟

— ماذا تقصد ؟ أية غرفة مظلمة ؟

— قلبك ·· لست أطمـــع فى غير لحظة فقط ، لأرى كيف انطبعت صورتى فيه !

قالت وهى تضحك لتخفى حياءها العذب :

— انها فى دور « التحميض » ، لم تنطبع بعـــد ، فاحذر من اقتحام الباب والا « أخذت نور » وفسدت !

وجاء رأفت ··

وبدأ الفيلم ··

لكننى لم أفهم منه شيئا !

١٥ سبتمبر

◆ فاجأت اليوم سلوى وحيدة فى صالون منزلها ، تعـــزف

« العيون السوداء » ، وتصفر مع البيانو بصوت خافت طروب ٠٠ فجلست ـ دون أن أنبهها لوجودى ـ أستمع للأنغام الثائرة ٠٠ وجمح خيالى فهيأ لى أشتاتا من الصور الممتعة : أنا و « زوجتى » سلوى وحيدين ، فى أصيل أحد أيام الشتاء ، فى قارب صغير يحتضنه النيل ، وأيدينا تتلاقى تحت مائه البارد ـ خفية عن العيون ! ـ فتبعث الدفء فى جسدينا ٠٠ وأنفاسنا تتعانق فى الهواء فتنفث فيه حرارة تعقد فوق رأسينا سحابة ، نختلس خلالها قبلة طويلة ، لا نفيق منها الا وقد بلغنا الشاطىء واندفعنا نجرى صوب البيت فى نشوة ومرح ٠٠

وانتهت سلوى من العزف ففوجئت بشخص يصفق لها !٠٠ واستدارت ، لترانى شبه حالم ، وأنا أسائلها مبتسما عن ٠٠ صورتى فى قلبها !

وأجابت ، طالبة منى أن أمهلها أسبوعا آخر ٠٠ ثم مضت لتنادى أخاها ، كى يجلس معنا !

ما أشق الانتظار ٠٠

١٨ سبتمبر

◆ لا أستطيع صبرا ٠ لقد غدا حبى لسلوى الغذاء الذى يقتات منه وجدانى ، والنبع الذى أسقى منه آمالى وأطماعى وثقتى فى مصير باسم يقترن بمصيرها ، ومستقبل كله خير ونجاح مطرد ٠٠

أود أن أطمئن الى انها تبادلنى نفس الشعور ، وتطمع فى نفس المصير ٠٠ فمتى ؟

١٩ سبتمبر

◆ ان حبى للحياة يزداد باطراد ٠ لقد غدت فى نظرى شيئا يستحق الكفاح والصبر ، فى انتظار المجهول ٠٠ عجيبة حقا هذه الأحاسيس التى حفلت بها نفسى منذ بدأت أقطف من عينى

سلوى نظـــرات التفاهم !٠٠ يخيل الى أن عالما جـديدا جذلا ينكشف أمامنا لأول مرة ، حين نحب ٠٠ وان شعاعا من النور يضيء حياتنا ، منبعثا من قلب المـــرأة الطاهرة عندما تحب ، فتتوارى الرذيلة التى لا تختمر الا فى الظلام ، ونحتقر ضعفنا وماضينا العابث ٠٠ ظامئين الى بعث جديد !

كم أتوق الى أن يكون قلب سلوى لى ، مبعث ذلك النور ٠٠

٢١ سبتمبر

◆ لقد دخلت « الغـــرفة المظلمة » ! ٠٠ فتحتها لى ســلوى بنفسها ، فرأيت صورتى فيها ، منطبعة بوضوح ٠ حين أنبأتها بقرب سفرى الى القاهرة لقضاء العام الأخير من دراستى ، وبأن لا مفر من أن تطمئننى ، أو تطردنى من سمائى التى أحلق فيها كي أنشد الســلوى على الأرض ، حيث كنت ٠٠ صارحتنى بالحقيقة الحلوة : ان صورتى فى أعز ركن من الغـرفة المظلمة ، وانها تتمنى لو طال وجودنا معا !

وسكتت ، لم يطاوعها الحياء على أن تنطق بأكثر من ذلك ٠٠ وكان فى هذا كل كفايتى من الزاد ، طوال العام الذى أمامى

وعدنا بعد حين ، وقد وضعنا في قلبينا أساس عش مشترك جميل ، بعد أن اختلسنا من « شلة » الأقرباء الذين كنا نتنزه معهم ، لحظات ممتعة تحدثنا فيها عن ذلك كله ، حديث روحين تآلفا على نغم واحد ، وراحا ينشدان اقتران نجميهما فى سماء الغد المجهول ٠٠

٢٥ سبتمبر

◆ خطر لى اليوم خاطر عجيب ، حين بلغت القاهرة وركبت الترام الى مسكنى : هذه المقاهى المكتظة بالناس ، التى يموت فيها نشاط الشباب ، ويخمد فيها ذكاء الرجال ، ويتبلد فيهـا تفكير الشـيوخ ، ليست الا ثمرة تقاليدنا الفاسدة ٠ لو كانت

كل أوساطنا تستسيغ أن يختلط الرجل بالمرأة فى المجتمعات لقضاء أوقات الفراغ فى رفقة طيبة ، لامتنعت مآسى اللقاء وراء الستار ، ولما صارت حياتنا معتمة مملة : الرجل فى المقاهى يقتل الساعات فى غير جدوى ، والمرأة فى البيت يقتلها الضيق والسأم ، وكلاهما بعيد عن الآخر ، جامد الذهن ، فاقد الحيوية والحافز على الكفاح ٠٠

لن أكون من زبائن المقهى قط !

هذا ما قررته ٠٠

أول يناير

◆ كيف فعلت هذا ؟! ٠٠ انها غواية من الشيطان ، تلك التى ساقتنى ليلة أمس الى (الليدو) لأعيش لحظات فى ذلك الجو الراقص الطروب الذى يولد فيه العام الجديد ٠٠ فكان أن نقلتنى بضع كؤوس من الشراب أغرانى عليها فريق من « شبابنا الناهض » ٠٠ الى أحد أوكار الرذيلة ٠٠ ولم أفق الا فى الصباح !

أفقت ليطالعنى وجه صبوح ٠٠ وجه سلوى المطل من صورة لها على مكتبى !

لم أستطع مقابلة النظرات الحزينة العاتبة التى خلتها تهطل من عينيها ، لتغسل حبنا الذى دنسته خطيئتى ٠٠

ان ذلك لن يتكرر ٠٠ لقد أقسمت ، وقرنت قسمى بوضع صورتها فى جيبى ، غلافا لقلبى ٠٠

٣ أبريل

◆ مرت بى الليلة احدى أزمات الضيق التى تنتابنى كلما أرهقتنى الدروس ، فألقيت الكتب جانبا وقمت الى « الجراموفون » أدير عليه اسطوانة « العيون السوداء » ٠٠ وللحال ذكرت سلوى

وقفز الى خاطرى يوم الامتحان ٠٠ لم يبق الا شهران وأنتهى من الدراسة لأعود الى ٠٠ نفسى ، وأشرع فى بناء العش الجميل الذى رسمنا تصميمه معا منذ شهور ٠٠

ووجدتنى آخذ صورتها من جيبى وأمضى فى لثمها ، وقد دبت فى صدرى مطامع عجيبة ، وانبعث فى رأسى عزم جبار ٠٠ وأحسست بالفارق بين هذه الحياة ، وذلك الركود الذى كان يكتنف روحى السقيمة ٠٠ فيما مضى

ولم أعرف انى أستطيع الغناء الا وقتئذ ، حين انكببت على دروسى وقد اشتعل ذهنى بوقود جديد ، ورحت أردد احدى أغانينا المصرية المحبوبة !

١٠ يونيو

◆ صحوت اليوم وبى احساس من ينهض من مرض طويل ، ثم تنبهت بعد لحظات لأدرك أنى قد فرغت من الامتحان ! ٠٠ ما ألذ أن يخلف الشخص وراءه سنوات من الدراسة المتصلة المرهقة ، ليتطلع الى مرحلة أخرى من الطريق ، وآفاق جديدة ٠٠

لقد اعتزمت العودة الى « البلد » غدا ، قبل ظهور النتيجة ، فانى لا أطيق الانتظار ٠٠ يا الهى ، ترى كيف أرى سلوى بعد هذه الشهور الطوال ؟

١٢ يونيو

◆ يا لنظراتها الظمأى وهى تلقانى ! ٠٠ قرأت فيها ان حبى قد وجد فى قلبها منبتا خصبا ، فتعمقت جذوره وترعرع ٠٠ ولا شك انها قرأت فى نظرتى نفس الصفحات ، فقد أرخت عينيها والغبطة تطفر من أهدابها ، وتشيع فى وجهها حمرة ساذجة ٠٠

كم هى فاتنة !

٢٣ يونيو

◆ لم تكد الدنيا تسعنا من الفرح ، حين زففت الى سلوى خبر نجاحى .. ترى متى أوفق الى عمل يمهد أمامى السبيل الى رضا والديها ، ولو تأخر الزفاف سنوات ؟

٢٧ يونيو

◆ ثار والدى فى وجهى اليوم حين أنبأته بتفضيلى العمل فى احدى الشركات على الوظيفة الحكومية التى بدأ يبحث لى عنها ، ويوسط الناس

عبثا يحاولون .. فلن أقبل وظيفة آلية ، تقبر فى ذهنى كل نشاط وطموح . ان آمال سلوى تفوق هذا المستقبل الراكد المحدود ..

٥ يوليو

◆ حدث اليوم ما دفع الى مخيلتى مزيجا من الخواطر السوداء . كنت أرفع عن « الجرامفون » اسطوانتى المحبوبة ، حين انزلقت من أصابعى ، وانكسرت ! .. أحسست لحظتئذ كأن طائر الشؤم قد انتزع قلبى من مكانه ، وعجزت عن مغالبة موجة القلق التى طغت على طوال الصباح !

ولكنها كانت أوهاما .. لم يلبث أن وصلنى خطاب من احدى الشركات الهندسية التى كنت قد طلبت العمل فيها منذ أيام .. لقد قبل طلبى ، ولم تبق الا الاجراءات اللازمة ..

انه المستقبل الذى كنت أطمع فيه !

٧ يوليو

◆ لقد تحطمت القيثارة فجأة .. على غير انتظار !

جاءتنى سلوى دامعة لتنبئنى بما حدث : لقد جاءها أبوها مع الفجر ليهنئها على « النصيب » الموفق الذى طلب يدها ، فقبله

باغتباط . يكفى انه موظف كبير يتقاضى مرتبا دسما ، وله رصيد فى البنك .. فضلا عن أنه يناهز الأربعين ، فهو رجل رزين .. وله فى البلدة كلمة مسموعة ، و ..

ولم تملك سلوى أن تمضى فى تعداد مناقب « العريس » المنتظر ، فغاض صوتها وانخرطت فى البكاء ..

يخيل الى أن نوعا من الكبرياء يولى الانسان قوة مفتعلة حين يرى من هو أضعف منه ، أولى بالرثاء .. فقد مضيت أسرى عنها ، وأسقى فى قلبها الرجاء ، وأنا فى أعماقى فريسة لليأس !

كلا ، لن أتخلى عن حبنا ..

سأواصل النضال !

٨ يوليو

◆ كم أنا تعس !

قابلت أباها الليلة ، وصارحته بحبى لسلوى ، ولكنه رفض .. أبى أن يقيم وزنا « لهذه الخيالات التى تمادى فيها شباب اليوم ! »

.. وكاد لسانى يصارحه أيضا بحبها لى ، لولا انى ذكرت أحاديث الناس عن الفتاة التى تحب ، كأنها أجرمت ! فأشفقت على سلوى من عاقبة معرفة أبيها بهذا « الفجور » .. ولم أجد بدا من اكمال عبارتى بالتساؤل عن .. موافقة سلوى على هذا الزواج ؟

يا الهى .. كيف استطعت أن أستمع الى هذا « التاجر » وهو يتحدث ؟! : « ان الأمر لايحتاج الى موافقتها ، فالرجل لائق ، وموارده كفيلة باسعادها »

.. كان يتكلم ببساطة عن مميزات « الصفقة » ، وعن موعد تسليم « البضاعة » !

لقد تحدد القران بعد شهر ..

ولم أسمع أكثر من ذلك !

٩ يوليو

◆ كان مأتما حزينا !

لقد دفنا معا حبنا الموءود ، وأهلنا عليه الذكريات ٠٠

وكان المشهد صامتا موحشا ، وليس فى المكان سوانا ٠٠ فان الميت مكروه ، حظى بسخط المجتمع ٠٠ والناس !

ووقفنا أنا وسلوى نشيعه ٠٠

وران علينا السكون ٠٠

كنا نذكر المكان ، فقد وقفنا عنده منذ شهور ، يوم رسمنا الأساس لعشنا الجميل ٠ ولكن الرسم قد زال ، قبل أن يرتفع البناء ! يبدو أن النيل قد تسلل فى غيبتنا الى الجرف ، ولعق كل شيء ، فقد زالت أيضا الحشائش الندية التى كانت تطرز الشط يوم قطعت جذعا منها ولففته حول أصبع سلوى ٠٠ فتفاهمنا !

لم تعد الحشائش ترعى عهدنا ذاك ، فقد جرفها النهر مع ما جرف ، ومضى !



لم نكن يومئذ وحدنا ، ولكننا اختلسنا تلك اللحظات ، فى غفلة عن العيون ٠٠

واليوم ، التقينا منفردين ، ولكن أرواحنا لم تكن معنا ٠٠ لقد انفلتت الى الماضى لتحيا فيه من جديد ، بضع لحظات ٠٠

قلت ونحن واقفان : « لقد انتهى كل شيء ٠٠ ليعد كل منا الى دنياه ، علها تنسيه الفردوس »

قالت : « محال أن أغالط نفسى ، ربما استطعت أنت

النسيان ، فأمامك دنيا أخرى ، ومستقبل ، وأطماع ، وستجد حتما من تسعدك ٠٠ ولكن حالى تختلف ٠ ان الزواج هو كل دنيا المرأة ومستقبلها وأطماعها ٠٠ وقد اختيرت لى دنيـاى ، وانتهى الامر !٠٠ انى تعسة يا فكرى ٠٠ من كان يظن أننى أتزوج رجلا تفصل بينه وبينى عشرون عاما ، ولم أره الا منذ يومين ؟٠٠ انى أعلم ما سـيجول فى أفكار الناس ويدور على ألسنتهم ، حين يروننى ليـلة الزفاف : سيجزم الكل أنى تزوجته لماله ، وانى لن أحزن يوم يموت !٠٠ هل تذكر الليالى السعيدة التى كنا نطيل فيها النظر الى السماء ، ونرمز لهنائنا بألمع نجمين ؟٠٠ انى لا ألمح الليلة نجمى بين النجوم ٠٠ لا أرى أمامى الا الظلام ، الظلام دائما ٠ أوه يا فكرى ، كم أنا خائفة !»

وحجبت وجهها بيديها وهى تدفنه فى صدرى ٠٠

وتركت رأسها ينام على ضلوعى ، وأنا أودع شـعرها قبلات صامتة ، لم تحسها ٠٠ حتى هدأت ، ورفعت وجهها الى ٠٠

كان قد تندى بنجوم صغيرة ، لم تلبث أن هوت٠٠وانطفأت!

وترنحت على شفتيها ابتسامة شاحبة ونحن نفترق ٠٠

ثم مضت ٠٠ ومضيت

انها محقة : ما أظلم الطريق ٠٠ أمامى أنا الآخر !

-٣-

٢ نوفمبر ١٩٤٦

◆ ٠٠ ولم أكن واهما ، يوم أحسست ذلك منذ أعوام ٠٠

فان روحى ماتزال تتخبط فى الظلام !٠٠ لقد تنفس الفجر منذ لحظات ، وأنا فى مقعـدى لم ألمس الفراش ٠ انى أذكر ما حدث : كنت ذاهبا ليلة أمس الى المقهى الذى اعتدت أن أقضى فيه أكثر من سـاعات عملى فى المصـلحة ٠٠ حين لمحت الاسـطوانة ، فابتعتها وحملتها الى البيت ، وحملتنى هى الى الماضى ، وعدت منه متعبا ، فأدرت « الجراموفون » من جديد ٠٠

وأطفأت النور ٠٠ وأغمضت عينى ٠٠

لم أكن أنوى أن أنام ٠٠ قصدت فقط أن أريح أعصابى ، وأتحرر من المرئيات التى تفسد على خلوتى مع « العيـــون السوداء »

ولكنى أغفيت ٠٠

ورأيت سلوى فى أحلامى مرارا ٠٠ رأيتها واقفة أمام المرآة تصلح شعرها الفاحم الذى أودعته قبلاتى الصـــامتة ، يوم افترقنا ٠٠ منذ خمسة أعـــوام ٠ وفجأة تطل على من اطار النـــافذة ، وقطرات المطر تسيل من عينيها خلف الزجاج ٠٠ ثم تهبط الى جـــوارى لتزف الى أنها قد غدت حرة ، وستكون لى ٠٠ وتردف قولها بقبلة ، فتلفح أنفاسها وجهى و ٠٠ أفيق منتشيا ، لأجد الغرفة غـــارقة فى ظلام خانق ، وليس بها سواى !

يا الهى ، كم يلذ لى أن أتعذب بالذكريات !

٧ نوفمبر

◆ كلا ، لم أعد أطيق ٠٠

لقد أمعن القدر فى لهوه السمج !

بينما كنت أودع صديقا لى ، رأيتها الليلة فى القطار ، واقفة بالنافذة تبتاع حلوى « لطفلها » !٠٠ وجرى الطفل ليلحق بأبيه فى ديوان قريب ٠٠

اذن فهم عائدون بعد اجازة العيد ؟

أشفقت أن نلتقى ، بعد فراق أعوام ، فتعاودها أطياف ربما قد نســـيتها !٠٠ ولكنى لم أقو على الابتعـــاد ، فان روحى ـ الظمآى منذ بعيد ـ قد استمرأت أن ترتوى من العيون التى أمامها ٠٠

ورأتنى سلوى !

قلت وأنا أقمع الانفعال فى صوتى : « أنت ٠٠ هنا ؟ »

قالت ويدها تختلج فى يدى : « وى يا فكرى ٠٠ أهـــكذا تنسانى ؟ »

ـ انك سعيدة ، والا لما ظلمتنى . قولى ان قلبى لم يطاوعنى على أن أدع الماضى يلاحقك ويعكر دنياك الجديدة كلما صفت ، وبدأت تنسين ..

ـ ولكن دنياى لم تصف! .. لقد أجبرت قلبى على أن ينسى ، من أجل زوجى ، فهو يحبنى ، ويتفانى فى ارضائى .. ولكن ذلك كله لم يجد ! ان سدودا قوية تفصل بيننا فى الطباع ، والافكار ، و .. كل شىء .. انه لا يفهمنى ولا أفهمه .. فهو ليس من دنياى !

لم أحرك عينى عن وجهها وهى تتكلم ، كانت قسماته تختلج وتنطق بالألم..وعيناها ، أين الفتنة التى كانت تشتعل فيهما ؟ لقد انطفأت ، ولمعت مكانها الدموع !

ووجدتنى أقول : « كلها أوهام يا سلوى .. اننا فى فجر الشباب نكون أغرارا ، نسلم قيادنا للأخيلة ونسرف فى الاحلام .. لا نكاد نلمح بريقا حتى نظن وراءه السعادة ، بينما هذه تكمن وراء المادة والمال !.. ما الحب الا سراب زائف .. »

ولكنها قرأت فى عينى أنى أكذب ، لأواسيها ، فحاولت أن تبتسم .. لكن الابتسامة تخاذلت على شفتيها وهى تهمس خلال صفير القطار : « وداعا يا فكرى .. لاتقلق .. انى بخير »

وعاد زوجها ، فاستدارت اليه بوجه بشوش .. وأمسكت بالطفل تحنو عليه ..

كم هى نبيلة .. وشقية !

* * *

وحين ابتعد القطار ، وسار بى الترام فى طريق (الجيزة) الغارق فى الوحشة والسكون ، كانت المدينة تلقى وراءنا ضحكاتها الساخرة ..

ما جدوى النفاق .. ان فى قلبينا حقدا دفينا ، على المجتمع .. والناس !

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء :

قرأت معى فى الاعداد الماضية قصص:
• أموك : لستيفان زفايج • قلب عذراء : جون جالزورثى • مرتفعات وذرنج : أميلى برونتى • التلميذ : بول بورجيه • أحدب نوتردام : فيكتور هوجو • جريمة حب : بول بورجيه • جين اير : شارلوت برونتى • أيام بومباى الأخيرة : لورد ليتون • مانون ليسكو : الاب بريفو • حديقة الله : روبرت هتشنز • عندما تحقد المرأة : جورج أونيه • آسيا : ايفان تورجنيف • الشيطان على الارض : برتراند رسل • رسالة من مجهولة : ستيفان زفايج • الحب الاول : تورجنيف • تاييس : أناتول فرانس • بلاد العميان : هـ.ج. ويلز • نادى الانتحار : روبرت لويس ستيفنسون • كوخ العم توم : هارييت بيتسر ستو • الزوج والعشيق : سومرست موم • البوهيمية : هنرى مرجيه • فتاة لها ماض : بول بورجيه • شيرى : كوليت • الجريمة والعقاب : دستويفسكى • لحن كرويتزر : تولستوى • أميرة مصر : جورج ايبرز • الامطار : سومرست موم • افروديت : بييرلويس • جيجى : كوليت • الشيطان فى الجسد : ريمون راديجيه • ليبوريللا : ستيفان زفايج • كانديد : فولتير • أشجان فرتر : جيته • فرانشسكا : موباسان • لوريت : الفريد دى فينى • المعطف : ن • جو جول • يوميات زوجة • الافق المفقود • النار الخالدة

•• وهاك اليوم : « الوحل » !



قصة كبرى للروائى الفرنسى اميل زولا

الجهل!

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

قصة المجتمع .. عندما يتمرغ فى الوحل !

◆ لم يكن الروائى الفرنسى الخالد « اميل زولا » قصاصا فحسب ، وانما كان من أبرع من أجادوا رسم الشخصيات والأوساط ، فى الادب الفرنسى الحديث .. وهذا الرجل الذى قدم للعالم شخصيتى « نانا » و « تيريز راكان » ، يصور فى الرواية التى أقدمها لك فيما يلى شخصية ثالثة ، كتب لها الخلود .. شخصية « رينيه » المرأة التى بعثت فيها عواطفها المتقدة المشبوبة من النزوات ، بقدر ما وهبتها الطبيعة من جمال..فلم تقنع بنصيبها من مباذل المجتمع الفرنسى الذى ساده الفسادفى عهد نابليون الثالث ، بل راحت تتوق الى مغامرة جديدة لا تكون قد سبقتها اليها امرأة أخرى .. مغامرة تتقد بنيران الجريمة ، وتفوح منها رائحة الفجور ! .. ويصل « زولا » الى أوج المجد وهو يقدم هذه الشخصية فى اطار تناثرت فيه الصور التى تروى أبشع حالات الفساد والانحلال التى يمكن أن يصل اليها مجتمع .. حتى لا يتمالك المرء أن يجد نفسه مسوقا الى المقارنة بين المجتمع الفرنسى فى عهد نابليون الثالث ، والمجتمع المصرى فى عهد فاروق البائد !

.. ولكنى لن أفسد عليك متعة ارتياد مجاهل الرواية بنفسك ، فتعال نقرأها معا ..

الفصل الأول

◆ **كانت** العربة الخفيفة لا تكاد تجد ـ فى عودتها الى الدار ـ فرجة بين العربات المتزاحمة على حافة البحيرة ، فلم تلبث ان اضطرت للوقوف .. وكانت الشمس تجنح للمغيب فى سماء اكتوبر الغائمة ، ملقية على المركبات ضوءا أحمر شاحبا ..

وقال « مكسيم » لزوجة أبيه الشابة ، التى تجاوره فى العربةالخفيفة : « انظرى يا رينيه .. هاهى ذى «لور دوريينى» فى تلك العربة ! »

واشرأبت « رينيه » ، وأنعمت التحديق تغالب قصر

نظرها ، ثم قالت : « **ظننتها اختفت من المجتمع ٠٠ لقد غيرت لون شعرها ٠٠** »

فقال « مكسيم » ضاحكا : « **أجل ، فان عشيقها الجديد يكره اللون الأحمر !** »

وتمطت « رينيه » وقد استيقظت من الحلم الحزين الذى أسكتها طيلة الساعة الماضية ٠ كانت فى ثوب بنفسجى من الحرير البولندى ، ذى زوائد عريضة ، وسترة بيضاء قصيرة ذات قلابات بنفسجية ٠٠ وشعرها ذو اللون الغريب الذى اختلطت فيه السمرة بالصفرة بالشحوب ، يستتر تحت قبعة رشيقة مزينة بالورود الصناعية ٠٠ وظلت تمد بصرها وقد تغضن جبينها الناصع بخط مجعد واحد ٠٠ واذ أيقنت انها لن ترى بجلاء ، تناولت نظارة كنظارات الرجال ، وأمسكتها فى يدها بدلا من ان تضعها على انفها ، وأخذت تتأمل مليا « لور دورييني » البدينة ٠٠ والمركبات ما زالت واقفة لفرط الزحام ٠٠ وهنا وهناك ترف أطراف من ثياب النساء ٠٠ والنظرات الصامتة تتبادل خلال النوافذ ٠٠ وقد كف الجميع عن الكلام مللا من الانتظار ، فساد صمت لا تعكره سوى ضربات حوافر الجياد الضجرة ٠٠ وأخذ الضجيج الذى تعج به غابات « بوا » يخفت رويدا ٠٠ كانت باريس بأسرها هناك ، رغم ان موسم النزهات انقضى ، وآن للشتاء ان يسود ٠٠

وما لبثت العربات ان عاودت المسير ، فخفضت « رينيه » نظارتها عن عينيها ، واضطجعت بين حشيات العربة ، وشدت أطراف جلد الدب الذى زودت به العربة ، اذ أحست برعدة ٠٠ وشرعت الريح تهب من الشمال ٠ كان اليوم الحار الذى خلع على الغابة طابع الربيع فى شهر اكتوبر قد انقلب فى نهايته ينذر بمساء قارس البرد ٠٠

وظلت « رينيه » فترة منكمشة فى ركنها الدافىء بالعربة ،

ثم رفعت رأسها نحو « مكسيم » الذى كان يتفرس فى النساء اللاتى شغلن العربة المجاورة ، وسألته : « **قل لى ، هل ترى حقا ان « لور دوريينى » فاتنة ؟٠٠ لكم تغنيت بمديحها يوم دار النقاش حول بيع ماساتها بالمزاد ! ٠٠ وبالمناسبة ، هل رأيت القلادة والوسام اللذين اشتراهما لى أبوك فى المزاد ؟** »

فضحك « مكسيم » فى خبث وقال : « **لكم يحـــذق تدبير الامور ٠ انه يدبر الأسباب ليدفع ديون « لور » وليمنح زوجته ماسات** » !

فهزت كتفيها وتمتمت مبتسمة : « يالك من وغد » !

وعادت الى وجومها ، تتأمل أصابعها الرشيقة وهى تعبث بوبر جلد الدب ٠ وما لبثت أن ألقت نظرة الى الخارج ، فاذا الى جانب المركبة مركبة أخرى ضمت سيدتين ما ان تبينتهما « رينيه » حتى هزت رأسها لهما محيية ٠ كانت احداهما « الماركيزة ديسبينيه » التى كان زوجها ياورا للامبراطور ، ثم أثار فضيحة اذ تحالف مع المتذمرين من أبناء الطبقة الراقية القديمة !٠٠ وكانت الماركيزة من نجوم المجتمع فى عهد الامبراطورية الثانية ، أما زميلتها « مدام هافنيه » فكانت زوجة أحد رجال الصناعة المشهورين الذين حولتهم الامبراطورية الى ساسة !

واذ همت « رينيه » بأن تعود الى انكماشها ، انطلقت من « مكسيم » ضحكة ، فقالت له : « لا تضحك ، فانى أشعر بضيق » ٠٠ واذ ذاك رمقها فى سخرية ثم قال مداعبا : « ما أشقانا ٠٠ وما أشد غيرتنا ! »

فهتفت فى ازدراء : « **أنا ! ٠٠ اغار ؟ ٠٠ وممن ؟ ٠٠ من تلك البدينة « لور » !؟٠٠ اننى قط ما فكرت فيها ٠ واذا كان زوجى قد دفع ديونها حقا ، وأنقذها من الرحيل ، فلن يدل هذا الا على انه أقل شغفا بالمال مما كنت أخال ٠٠ اننى أترك**

لعزيزى « ارستيد » كل حرية ! »

وابتسمت فى غير اكتراث ، ولكنها سرعان ما عادت الى اساها ، وتلفتت حولها فى حيرة المرأة التى لا تدرى أية ملهاة تلوذ بها لتسرى عنها ، ثم تمتمت : « أواه ٠٠ ليتنى أغار ٠٠ ولكننى لست أغار ، وانما أنا أشعر بسأم »

واخلدت الى الصمت ، محدقة فيما أمامها ، وكأن الافق الرحب يذكرها بما فى حياتها من خواء وفراغ ، ثم عادت تكرر فى شكوى : « اواه ٠٠ لشد ما أنا ضجرة ٠٠ ضجرة حتى الموت ! »

– ليس فى هذا ما يثير العجب ، فان أعصابك مضطربة ولا شك ٠٠

فاضطجعت « رينيه » فى جلستها وأجابت : « اجل ٠٠ ان أعصابى مختلة » ٠٠ ثم سرت فى صوتها نبرات الامومة وهى تقول : « لقد كبرت فى السن يا صغيرى العزيز ، فسوف أبلغ الثلاثين عما قريب ٠٠ انه لأمر فظيع ! ٠٠ لا شىء بات يبعث الاغتباط فى نفسى ٠ انك فى العشرين لا تعرف ٠٠ »

فقاطعها الشاب قائلا : « **هل جئت بي لأسمع اعترافاتك ؟٠٠ لعلك تشكين من انك تنفقين أكثر من مائة ألف فرنك على ثيابك فى العام ، وتقيمين فى بيت فخم ، ولديك جياد بديعة ٠٠ ونزواتك قانون ، والصحف تتابع أنباء أثوابك الجديدة وكأنها أحداث !٠٠ والنساء يحسدنك ، والرجال ينزلون طواعية عن سنوات من أعمارهم ليقبلوا أطراف أصابعك !٠٠ ألا دعى التواضع واعترفى بأنك من أعمدة الامبراطورية الثانية ! ٠٠ وانك أينما ذهبت : الى قصر « التويلرى » ، أو بيوت الوزراء ، أو دور أصحاب الملايين ، كنت ملكة ذات سلطان ٠٠ ما من منبع للسرور الا ارتويت منه ٠٠ ومع ذلك تشعرين بالملل ! ٠٠ ما الذى تبتغين اذن ؟٠٠ أى شىء تحلمين به ؟** »

فهزت كتفيها ، دلالة على انها لا تعرف ٠٠ ومع انها كانت منكسة رأسها ، الا ان « مكسيم » استطاع ان يتبين انها كانت مكتئبة ، حزينة ، فعاد يقول : « انظرى الى هؤلاء النـاس العائدين الى باريس ٠٠ كلهم عند قدميك ٠٠ انهم يحبونك كما لو كنت ملكة عليهم ٠٠ وهذا عاشقك مسـيو « دى موسيه » لا يتورع عن أن يبعث لك بقبلة فى الهواء » !

وبالفعل ، كان ثمـة فارس ينحنى لرينيه ٠٠ وكان « مكسيم » يتكلم فى لهجة ساخرة ، بيد ان « رينيه » أشاحت عنه ، فقال : « ما الذى تبتغين ؟ »

فرفعت رأسها وفي عينيها بريق يوحى بفضول ينشد اشباعا ، وقالت : « أريد شيئا آخر ٠٠ ولكن ، ما هو هـذا الشىء ؟ »

ولم تمض فى الحديث ، بل تلفتت حولها ٠٠ كان الليل يرخى سدوله ، وراحت تتفرس في المرئيات وهى تلتف فى طلائع الظلام ، بنظرات زائغة ، شـاردة ٠٠ وما لبثت ان التفتت فجأة وقالت بصوت تقطر منه دموع الضيق : « **أبغى شيئا يختلف عما عهدت ٠٠ ولكن، انى لى ان أعرف كنهه ؟! ٠٠ لست أدرى سوى اننى سئمت حفـلات الرقص ٠٠ سئمت مآدب العشاء ٠٠ سئمت هذا النـوع من التسلية ٠ انه رتيب الى درجة مضجرة ٠٠ والرجال لم أعد أطيقهم ٠٠ اجل، انهم لا يطاقون !** »

وضحك « مكسيم » ، بينما تبدت خلف مظهر سيدة المجتمع الارسـتقراطية بوادر حنين ملهوف ٠٠ وزمت شفتيها كطفل عنيد ، ثم قالت : « لست أسلكك فى عدادهم ، فأنت جـد صغير ٠٠ ولكن ، لو اننى استطعت لرويت لك كيف كان « ارستيد » ثقيل الظل فى أيامنا الاولى ! ٠٠ وكذلك سواه من الرجال الذين كانوا يهيمون بى ٠٠ اننا ـ أنا وأنت ـ أصدقاء ، فلا بأس عندى من ان اصارحك ٠٠ انه لتمر بى أيام أسـأم

فيها حياة المرأة الثرية ، الاثيرة بكل اعجاب وحب ، وأتمنى لو أصبح مثل « لور دوريينى » ٠٠ واحدة من اللاتى يعشن كالعزباوات ٠٠ أواه ، لم تعد فى الحياة ملهاة تدخل السرور على نفسى ٠٠ لقد قلت اننى اتوق الى شىء مغاير ، لا أعرفه ٠٠ أتفهم ؟٠٠ شىء لا يمكن ان يحدث لامرىء آخر ، وليس مما يمكن مصادفته كل يوم ٠٠ شىء يبعث متعة نادرة ، غير معروفة ! »

ولا مراء فى ان « مكسيم » كان يدرك ان من الخطل اعتبار الحياة مبعثا للسرور ٠٠ فقد كانت له هو الآخر تجاربه ، رغم صغر سنه ، ولقد خبر فترات الشعور بالضيق ، والبرم ٠٠ ولكن حبه للحياة كان قويا ، وعدم اكتراثه يذهب الى أبعد الحدود ٠٠ وقال أخيرا :

ـ أجل ، انك على حق ٠٠ أنا أيضا كثيرا ما أحلم بشىء مغاير ٠٠ لكم أود لو كنت على غرام مع راهبة !٠٠ ألا تجدين متعة فى ذلك ؟ ٠٠ اما فكرت يوما فى حب رجل لا تستطيعين ان تفكرى فيه دون ان ترتكبى جريمة ؟

بيد انها استرسلت فى الوجوم حتى أدرك انها غير منصتة لحديثه ٠ وبدت نائمة ، رغم انها كانت مفتوحة العينين ٠٠ كانت مستغرقة فى التفكير ٠٠ **فكرت فى ملاهى الأمس ، وتلك المتع التى كانت تبهرها ، وما كانت تلقاه من ارضاء مبادر لكل ما تشتهى ، ثم ٠٠ تواتر الحب والخيانة بشكل رتيب ٠٠ ثم واتاها قبس من الأمل ، خطر لها على ضوئه ، وهى ترتجف حنينا ، ذلك « الشىء المغاير » الذى لم يستطع ذهنها ان يحدده ٠٠ فاذا اغراء عارم تتصاعد رائحته ، واذا ألف شعور مثير تسرى فى دمها : من أحلام لم تتحقق ، ومباهج لا اسم لها ، وألوان من الشوق متضاربة ٠٠ كل الغوايات الجامحة التى تثيرها غابة (بوا) فى قلب مضنى !**

ورفعت رأسها وتطلعت بعينيها الرماديتين الى الشاب ،

والمركبة ماضية بهما ٠٠ حتى بلغت طريق «الملكة هورتينس» ، وصارت على خطوات من « بوليفار مالزيرب » ، فوقفت أمام منزل قام بين فناء وحديقة ، وقد ازدانت بوابتاه الحديديتان بزخارف مذهبة ، انعكس عليها الشعاع المنبعث من المصابيح الغازية ٠٠ وقفز « مكسيم » الى الأرض برشـــاقة اذ همت المركبة بأن تلج الفناء ، فأمسكت « رينيه » بيده قائلة : « ان موعد العشاء فى الســابعة والنصف كما تعلم ، فلا تجعلنا ننتظرك ٠٠ ولسوف يأتى آل « ماروى » ، ويود أبوك ان تبدى انتباها نحو لويز ! »

فهز الشاب كتفيه قائلا فى تذمر : « ياله من شىء يبعث الضجر !٠٠ اننى لا أكترث للزواج ٠٠ أى جميل تسدينه الى يا امرأة الأب العزيزة اذا أنت أنقذتنى من لويز الليلة ! »

فشدت على يده ، على طريقة الرجال ، وقالت فى جـرأة وانفعال :

ـ لو لم أكن قد تزوجت أباك ، فما احسبك الا كنت تطارحنى الهوى !

* * *

◆ **وحين** دخلت « رينيه » وجـدت وصيف زوجهـــا « باتيست » فى البهو ، وقد بدا رائعا فى ثوبه الأسـود ، وقامتــه المديدة ، وكأنه ديبلوماسى انجليزى ، فسألتـه عن زوجها ٠ وما ان أنبأها بأنه منهمك فى ارتداء ثيابه ، حتى صعدت السلم فى بطء ، وهى تنزع قفازيها عن يديها ، وتتأمل البهو الفخم وما بدا فى أبسطته وستائره ورياشه من مظاهر البذخ ٠ وكانت ثمة مرآة هائلة فى صـدر الطابق الأول ، أخذت صورة « رينيه » تتأرجح عليها وهى تصعد الدرجات ، فساءلت نفسها : أتراها جميلة حقا كما يقول عنها الناس ؟ وساعدتها وصيفتها فى التهيؤ للسهرة ٠ وما ان تركتهـا

حتى اسندت ذراعيها الى حافة النافذة ، وأخـــذت تطل على الحديقة التى لفتها كآبة الخريف ٠٠ وعلى حين غرة منهـــا ، ألفت ذهنها يفكر فى زواجها من ذلك الأرمل الذى باع نفسه ليغدو زوجها ، واستبدل باسم « روجون » ـ اسمه الأصلى ـ اسم « سكار » ٠٠ فأخذها وصاغها للدور الذى تقوم به فى هذه الحيـاة المترفة ! ٠٠ وفطنت الى نفسها ، فاذا بها قـد انتقلت الى الماضى ، تحلم بالأيام السالفة حين كانت تلعب مع اختها « كريستين » ٠ وخطر لها انها لن تلبث ان تستيقظ من أحلام السنوات العشر الأخيرة وقد ذهبت بعقلها احـــدى المضاربات المالية التى يغامر فيها زوجها !٠٠ وخيل اليها ان الأشجار تزفر فى أسى ٠٠ **وأحست بما فى الحياة التى تحياها من عار ، وما توحي به المعتقدات التى نشأت عليها ـ معتقدات الطبقة الوسطى الشريفة ـ من عقاب لمثلها ، فأقسمت لليـل الأسود ان تصلح من نفسها ، وتقتصد فى الانفاق على ثيابها ، ولا تنشد من أسباب التسرية الا ما كان بريئا ، كما كانت تفعل أيام المدرسة !**

وأقبلت « سيليست » ـ الوصيفة ـ اذ ذاك ، تنبئها بأن السـيد يدعوها للهبوط ، اذ بدأ ضيوفهما يتوافـدون ٠٠ فارتجفت « رينيه » ، وألقت نظرة عابرة على المرآة ، ثم نزلت، فاذا معظم الضـيوف قد وصلوا بالفعل ، وبينهم اختهـــا « كريستين » ـ وكانت فتاة فى العشرين ترتدى ثوبا بسيطا من الحـــرير الأبيض ـ وعمتهـــا « اليزابيث » الأرملة ، و « سيدونى روجون » شقيقة زوجها العجفاء ، التى يبـدو وجهها كقناع من الشمع لا ينم عن عمرها ! ٠٠ ومسيو « دى ماروى » ـ الذى تحرر أخيرا من الحداد على زوجته ـ وابنته « لويز » ، وهى طفلة فى السابعة عشرة ، ضـامرة الجسم ، محدودبة الظهر قليلا ٠٠ ثم عدد من الرجال الوقورين الذين ازدانت صدورهم بالأوسمة ٠٠ وفريق من الشـباب أحاطوا

بخمس أو ست سيدات رائعات الأناقة ، بينهن الزميلتان اللتان لا تفترقان : « مركيزة ديسببينيه » و « مدام هافنيه »

وكان رب البيت « ارستيد سكار » يقف لدى الباب يحيى الوافدين .. وكان قصير القامة ، زرى الشكل ، ينحنى كالمهرج ، ذا صوت حاد ، وقد انتفخ مزهوا بشريط وسام الشرف : « اللجيون دونير » ! .. **وأثار ظهور « رينيه » غمغمة اعجاب ، فقد كان ثوبها الحريرى ذو اللون الأخضر الباهت ، آية فى الابداع .. وكان رأسها ونحرها تحفتين رائعتين ، وقد بدا صدرها عاريا حتى أعلى ثدييها ، كما تعرت ذراعاها .. وتجلى جمالها ، فى تحرره النسبى ، فتنة للأنظار ! .. وخفت اليها « مركيزة ديسببينيه » فتناولت راحتيها وتأملتها من رأسها الى قدميها ثم غمغمت : « ما ابهاك يا عزيزتى ! »** .. وتسابق الضيوف يقدمون التحية للحسناء الفاتنة ، ولفتت القلادة والوسام نظر « مدام هافنيه » فأقبلت تفحصهما .. كان بيع مجوهرات « لور دورييني » على كل لسان ، وقد عرف المجتمع ان « سكار » اشترى هذه المجوهرات لزوجته .. وصاحت به المركيزة اذ عرفت انه دفع ثمنا لها خمسة وستين ألفا من الفرنكات : « تعال اهنئك ، فأنت زوج صالح ! » .. وكان معه اذ ذاك بناءان أصابا ثراء ، وقد تهيأ ليعقد معهما فى الغد احدى صفقاته ..

وفى تلك اللحظة أقبل « مكسيم » فى ثياب غلفت قامته الرشيقة باحكام . ثم اكتمل المدعوون ، فدعاهم « باتيست » الى قاعة فخمة ، مدت فيها موائد حافلة .. وأخذ الوصيف يقوم بمهمته فى توجيه الخدم ـ الذين تولوا توزيع الطعام ـ فى مسلك الديبلوماسى الوقور ! .. وقال مسيو « هيبل دولانو » ـ أحد مديرى الأقاليم : « ألن نحظى برؤية صاحب الفخامة الليلة ؟ » .. فأجاب « سكار » فى تعاظم : « ان أخى

جد مشغول ، وقد أوفد سكرتيره مسيو دى سافريه ليعتذر لنـا »

وانحنى شاب صغير كانت احدى السـيدات تحاول الاستئثار به ، وقال : « أجل ، فلسوف يعقد مجلس الوزراء اجتماعا فى الساعة التاسعة من هذا المساء »

واختلطت اذ ذاك أصوات المدعوين ، وقد تباينت أحاديث كل فريق •• وفى وسط الجلبة ، كان صوت « مكسيم » يرتفع ببعض فضائح المجتمع المخزية •• وصوت مسـيو « توتان لاروش » ـ وهو أحد أعضاء المجلس البلدى ـ يتحدث عن قرض البلدية وعن الاصلاحات الجديدة التى تعتزم اجراءها لتجميل باريس ••

شخص واحد ظل يرقب ما يجرى بنظرات فارغة •• تلك هى « رينيه » التى كانت تؤدى واجبهـا كمضيفة ، وعلى أساريرها ابتسامة مصطنعة •• وبينما شرع مسيو «سكار» يحول دفة الحديث الى الانتخابات والسياسة •• صـاح « مكسيم » فجأة من أقصى الحجرة ، مستمرا فى سرد فضائحه : « أليس صحيحا يا بابا ان سيلفيا الصغيرة كانت تبيع السجاير فى مرسيليا فى سنة ١٨٤٩ ؟ » •• وضج الجميع بالضحك ، بينما تظاهر « ارستيد سكار » بأنه لم يسمع ، واهتم بالاصغاء الى مسـيو « توتان لاروش » الذى راح يؤكد له بأنه ولا بد فائز فى الانتخابات ، ثم أردف : « ان على أصحاب الثروات ان يتجمعوا حول العرش » •• ولم تعد « رينيه » تطيق مزيدا ، فهتفت فى ابتسامة فاتنة : « ألا رفقا بنا •• دعونا من أحاديث السياسة ! »

★ ★ ★

◆ **ودار** الشراب •• وكانت شفتا « رينيه » وأنفها تنم عن ضيق وانفعال ، وقد أخلدت الى الوجوم •• **وأخذت تسرى فى**

جسدها قشعريرة كلما انطلقت عاصفة من الضحك من الركن الذى توسطه « مكسيم » ! ٠٠ وأخيرا نهضت فى انفعال ، فحذا الجميع حذوها ، وانتثروا فى قاعة الجلوس ٠٠ وما لبث الرجال ان انسحبوا الى غرفة التدخين ٠ فانتحى مسيو « دى موسيه » بمكسيم جانبا ، يسأله عن سبب وجوم « رينيه » وجفوتها ـ اذ كان مدلها فى هواها ـ واستطرد يحدثه : « ماذا ترانى فعلت ؟ ٠٠ انك لتسدى لى صنيعا لو سألتها عن سر فتورها ، وانبأتها بأننى أتعذب من أجلها ! »

وسار « مكسيم » مجتازا قاعة الجلوس الى باب فى مؤخرتها يفضى الى حجرة مستديرة صغيرة ، ذات جو فيه غواية ورشاقة ٠٠ وكانت « رينيه » تحب تلك الغرفة ، وتقضى فيها سويعات النهار الخاملة ٠٠ فوجدها «مكسيم» هناك مع بعض صديقاتها ، فلما رأته خفت اليه ٠٠ وقالت هامسة فى سخرية ولوم : « لم يكن العبء ثقيلا على ما يبدو ٠٠ لقد كان مسلكك ولويز أثناء العشاء معيبا ، من فرط ألفتكما ! »

فضحك قائلا : « لقد كنا نتبادل الحكايات ٠٠ ما كنت أحسبها ظريفة الى هذا الحد ٠٠ انها كالصبية ! »

ونقل اليها شكاة « دى موسيه » ،فحولت بصرها عنه وقالت : « اذهب فقل له انه مزعج » !

وعاد « مكسيم » يجوس بين الضيوف ٠٠ كانت معظم السيدات قد انصرفن ٠٠ ووجد « لويز » تبحث عن أبيها ، فسرعان ما نسيت بحثها وتسللت مع الشاب الى الحديقة وهما يتضاحكان فى غير حرج٠٠ولم يفطنا فى غمرة «انسجامهما» الى ان « رينيه » وقفت متوارية فى الحجرة الصغيرة ترقبهما ٠٠ وخلفها مبنى زجاجى لتربية الأزهار النادرة التى تحتاج الى جو دافىء ، وتمثال من الجرانيت الأسود لأبى الهول ٠ **وكانت الأفكار الحائرة قد انقشعت عن ذهن « رينيه » ٠٠ لم تعد تجهل ذلك « الشىء المغاير » الذى كانت تهفو اليه ، بل**



تولاها ادراك واضح لرغبتها : كان جو بيت الأزهار الحار يبعث فى النفس شهوة جامحة نحو الحب والمتعة ·· أجل ، ثارت في أعماقها نزوات المرأة المتعطشة الى الهوى ·· وأيقظ قلبها حنين صارخ ·· لقد أرشدها منظر «مكسيم» و «لويز» فى ضحكهما ودعاباتهما الى ·· « الشىء المغاير » ! ·· ولم تفطن الى أصوات الضيوف وهم ينصرفون ، فقد تمثلت أمامها صورة لمتعة لم تعرفها من قبل ·· متعة تبعث فيها الجريمة حرارة وعنفا يفوقان كل العواطف المهتاجة التى كوت جوانحها يوما !

الفصل الثانى

• كان « ارستيد روجون » قد هبط باريس فى صبيحة يوم ٢ ديسمبر – منذ سنوات طويلة – كما يحط الطائر الجارح على ميدان معركة انتهت حديثا ! ·· وكان يومئذ مايزال شابا ، وقد ضيع على نفسه – باقامته فى الجنوب – فرص الفوضى التى تتابعت على فرنسا ، فأقبل على باريس فى عجلة ليتدارك ما فاته ، ساخطا على الريف الذى دفنه بعيدا عن مواطن الغنم !

واذ ارتاد « الميدان » ، وعرف احتمالاته ، رجع الى الريف فسوى اموره ، ثم ارتد الى باريس فى أوائل سنة ١٨٥٢ مصطحبا زوجته « انجيل » ، واستقرا فى مسكن متواضع

بشارع « سان جاك » ومعهما ابنتهما الصغيرة « كلوتيلد » التى كانت فى الرابعة من عمرها ـ تاركين فى ريف الجنوب ابنهما « مكسيم » ـ وفى ليلة الوصول بالذات ، ترك الرجل زوجته ترتب المسكن ، وانطلق يجوس خلال المدينة ويتمثل المعركة التى جاء يخوضها من أجل الثراء ، والجاه ٠٠ وفطن الى نفسه ، فاذا به فى ضاحية « سانت أونوريه » ، حيث كان يقيم أخوه « اوجين روجون » الذى كان يعلق عليه أمله ، والذى كان قد انتهز فرصة الانقلاب الذى قامت عليه الامبراطورية الثانية ، فاستطاع ان يرفع نفسه من محام صغير الى « سياسى » خطير الشأن !

على ان غريزة المقامر جعلت « ارستيد » يعدل عن زيارة أخيه فى تلك الليلة ٠٠ ولكن لم يكد يبزغ صباح اليوم التالى ، حتى كان عنده ، ينحى عليه باللائمة اذ تركه فى الريف ، وبخل عليه بالنصيحة فلم ينبهه إلى الانقلاب قبل وقوعه ، ومن ثم أشرقت الامبراطورية الثانية قبل ان ينفض يديه من الولاء للجمهورية ، مما عرضه للمتاعب !

وتأمله أخوه برهة ، ثم أجابه : « **كل الأخطاء يمكن اصلاحها ٠٠ لقد جئت تسألنى منصبا ٠٠ والواقع اننى كنت أفكر فيك ، لكنك ولا ريب تقدر اضطرارى الى الحذر ٠ ان ما تبغيه هو مركز تستطيع ان تصيب فيه ثراء دون ان تعرض نفسك أو تعرضنى للخطر ٠٠ دعك من المقاطعة أو الاحتجاج فليس ثمة من يسمعنا ٠ اننى أعرف انك ذكى ، فلا يمكن ان تقضى على نفسك بغباء ٠٠ وأرجو ان لا تبحث بنفسك عن عمل ، بل امكث فى البيت ، ريثما ادبر أمر تعيينك فى المنصب الذى أعدك به !** »

* * *

◆ **وبعد** انقضاء شهر ، عين « ارستيد » مساعدا للموظف

المختص بالمساحة فى المجلس البلدى ٠٠ وكانت صدمة خيبت رجاءه ، لكن « اوجين » صاح فيه غاضبا : « أأحمق أنت ؟ ٠٠ لعلك كنت تريد منصبا يمكنك من ان تتمرغ فى النعيم وتتقلب بين أحضان النساء ٠٠ أو لا تعرف الصبر ؟ ٠٠ اننا نختار أنصارنا من أشد الناس جوعا ، فلا تقلق ، بل انتظر ريثما نعد المائدة ٠٠ أو اذهب بنفسك الى المطبخ واغنم لنفسك ما تشتهى ٠٠ ألا تفهم ؟ ٠٠ استغل منصبك بذكائك ، فلن يقتضيك هذا سوى ان تفتح أذنيك ، وان تتعرف طريقك ٠٠ اننا مقبلون على فترة سيكون الثراء فيها فى متناول كل فرد يعرف كيف يدبر اموره ، ولكن ٠٠ حذار ٠٠ أية فضيحة ستجعلنى أقتلك ! »

وبدأ « ارستيد » يدرس الجو خلال الشهر الأول من توليه ذلك المنصب ٠٠ وفى نهاية الشهر ، اقترح « اوجين » عليه ان يغير لقبه ، كى لا يدرك أحد قرابتهما ٠٠ فاشتق من لقب زوجته اسم « سكار » ٠٠ وبينما نجح « اوجين » فى الفوز بمقعد فى الهيئة التشريعية ، كان « ارستيد » يسخط على حظه ، وعلى المرتب الذى لا يهيىء له ولزوجته وابنته حياة رغيدة !

وفى أوائل سنة ١٨٥٣ ، عين « ارستيد » مندوبا للجنة تنظيم الطرق ٠ وهنا ، انتبه الى نصيحة أخيه ، ففتح اذنيه وراح يعقد أواصر الود مع موظفى البلدية وأعضاء مجلسها ٠٠ واسترعت اهتمامه مشروعات اعادة تخطيط العاصمة لتصبح قبلة أوربا بأسرها ٠٠ كانت الشوارع تشق بجرأة وسرعة ، وعمارات بأسرها تزال فى لمح البصر ٠٠ ولجان التعويض تعمل فى نشاط ٠٠ الخ

وكانت اخته « سيدونى روجون » قد فقدت زوجها ، واستقرت فى مسكن ذى ثلاث حجرات ، يعلو متجرا تظاهرت بأنها تستخدمه لبيع الخردوات ، لكن الستائر المسدلة على

النوافذ كانت تضفى على هذه التجارة جوا من الغموض !٠٠ وقد أشاعت « مدام سيدونى » بين الجيران انها تحمل سلعها الى دور الأثرياء ٠٠ وان العملاء الذين يترددون عليها ، انما يفدون الى المسكن لانه يتصل بالمتجر ـ الذى كان بابه مغلقا دائما ! ـ بسلم داخلى ٠٠

٠٠ والى « سيدونى » اتجه « ارستيد » حين تأهب لخطته ٠٠ وكانت اخته فى تلك الاثناء قد أضافت الى نشاطها تجارة المعازف ، فامتلأ المتجر بمختلف أنواع « البيانو » ٠٠ كما انها كانت قد ألمت ـ من أسرة نبيلة اخنى عليها الدهر ـ بطرف من قضية استأثرت باهتمامها ٠ وكانت القضية تدور حول مبلغ كبير من المال اقترضته بريطانيا من فرنسا فى عهد أسرة « ستيوارت » ، تصل قيمته وفوائده الى ثلاثة بلايين من الفرنكات !

ووجدت الاخت فى أخيها بغيتها ـ اذ كان قد قضى عاما فى دراسة القانون ـ اما هو فكان ينشد عونها للحصول على رأس مال يبدأ به مشروعاته ، التى تتمثل فى شراء بعض المنازل التى يعلم ان مشروعات التنظيم ستزيلها ، ثم يسعى لدى لجان التعويض لتقدر لها أضعاف قيمتها ! ٠٠ وهزت « مدام سيدونى » رأسها فى أسف بعد ان انصتت الى الخطة ٠٠ حتى اذا هم بالانصراف ، تمتمت فى حسرة : « آه !٠٠ لو لم تكن متزوجا ! »

* * *

◆ **ومرت** الشهور ٠٠ ونشطت المضاربات والتجارة غير المشروعة فى باريس ، و « سكار » يرقب مطارق الحظ تطرق الذهب لسواه ، وهو مغيظ ، محنق !٠٠ ثم زادت نقمته ، يوم وقعت زوجته « انجيل » فى براثن مرض راح يستفحل ٠٠ وفى دهاء ، استغلت مدام « سيدونى » الفرصة لتهمس فى اذنى أخيها محسورة : « آه ! ٠٠ لو لم تكن متزوجا ! »

وأثارت فضوله ذات يوم – وكان هذا ما هدفت اليه – فمضت تحدثه عن فتاة فى مقتبل الشباب ، جميلة ، يريد أهلها ان يزوجوها ليستروا زلة أوقعها فيها سوء حظها ٠٠ وأضافت ان للفتاة عمة حمتها من أبيها الذى كان من علية الطبقة الوسطى ، وان هذه العمة أبدت استعدادا لشيء من البذل والتضحية ، بالمال ، فى سبيل الحصول على زوج للفتاة !

وأهمل « سكار » زوجته حتى قضى عليها الداء ٠٠ ثم أرسل ابنته « كلوتيلد » الى أخ له طبيب فى الريف ٠٠ وبارشاد أخته انتقل الى مسكن مؤثث ، أرقى مستوى من مسكنه ٠٠ وهناك أفضت اليه « مدام سيدونى » بتفصيلات قصة الفتاة التى كانت تلوح له بها : كان مسيو « بيرو دى شاتل » فى الستين من عمره ، آخر سليل لاسرة عريقة من ثراة الطبقة الوسطى ، وقد استقال من المنصب القضائى الذى كان يشغله عندما قام الانقلاب ، اذ كان من المتحمسين للجمهورية ، واعتكف فى داره بضاحية (ايل سان لوى) بباريس ٠ وكانت زوجته قد توفيت مخلفة له « رينيه » – التى بلغت اذ ذاك الثامنة عشرة – و « كريستين » الطفلة ٠٠ وقد تولت الاشراف على تربية الطفلة أخت له لم تنجب أبناء ، بينما ألحقت «رينيه» بمدرسة داخلية ٠٠ وعندما توفى زوج الاخت – مخلفا بعض أراض وعقارات – انتقلت هى لتعيش مع أخيها وتعنى بداره وابنتيه ٠٠

واذ بلغت « رينيه » التاسعة عشرة ، تركت المدرسة ، لتقيم مع أبيها وعمتها ٠٠ وشد ما كانت صدمة العمة حين تبينت ان الفتاة قد زلت ، مغترة بوعود رجل تخلى عنها ! ٠٠ فآلت على نفسها ان تحمى الفتاة من أبيها ، وان تجد لها زوجا يستر عارها ٠٠ وقد لجأت الى « مدام سيدونى » تستعين بها فى هذا الشأن

واجتمع « ارستيد » بالعمة ٠٠ وفى لهجة رجال الأعمال ،

فاوضها .. واستطاع ان يحملها على ان تقدم له « دوطة » قدرها مائتا ألف فرنك !.. ووكل مسيو « بيرو » اخته كى تبرم الصفقة ، اذ أبى عليه شممه ان يقابل « ارستيد » .. وفى دهاء ، قال هذا للعمة « اليزابيث » :

– فى رأيى ان تظل الآنسة « رينيه » صاحبة السيطرة على ثروتها ، وأبقى أنا مسيطرا على ثروتى .. وينص على هذا فى العقد ..

وارتاحت العمة الساذجة ، فقالت له : « لسوف يمنح أخى ابنته ضيعة فى (سولونى) قيمتها ثلاثمائة ألف فرنك ، وبيتا فى باريس قيمته مائتا ألف فرنك .. وسأهديها فيما بعد قطعا كبيرة من الأراضى بقرب (شارون) ، تبلغ قيمتها مائتا ألف فرنك ، على ان تؤول ملكيتها لأول طفل ترزق به .. فلست أريد أن يكون ابن سواك عالة عليك » !

واندمج « ارستيد » فى الدور الذى رسمه لنفسه ، فتظاهر بأن الامانة تدفعه الى ان يذكر للعمة « اليزابيث » ان له طفلين من زوجة توفيت ، واستطاع ان يكسب عطف السيدة .. وما ان « أبرمت الصفقة » بعد أيام ، حتى سعى الى أخيه « اوجين » ينهى اليه النبأ . وأدرك « اوجين » لمحة من الحقيقة ، فهتف : « مرحى ! .. انك لبارع .. سأكون شاهدك فى حفلة عقد القران .. واذا دعت الضرورة فسأحضر لك أنصار الحكومة من أعضاء الهيئة التشريعية ، لأعزز مركزك .. »

ولم يلتق « سكار » برينيه الا فى الأمسية السابقة على الزفاف ، وكانت « رينيه » قد تخلت عن أساها المصطنع ، واستردت مرحها مذ دبر زواجها .. وكانت طويلة ذات جمال جذاب فاتن .. ومع ما كان عليه « سكار » من ضآلة الجسم وقبح الهيئة ، الا انها لم تشعر بكراهية نحوه ..

وأضفى حضور « اوجين » حفلة الزفاف على المناسبة قبسا من العظمة والأبهة .. وسمح للعروسين أخيرا ان يمثلا بين

يدى مسيو « پيرو دى شاتل » فى حجرته المعتمة ، فقبل الشيخ الحزين جبين ابنته فى بطء ، ثم التفت الى زوجها قائلا : « لقد عانينا الكثير يا سيدى » ، وبسط له يده في وقار ..

وكانت « رينيه » اذ ذاك فى رابع شهور الحمل . وشرع « سكار » يفكر فى ايفادها الى الريف ريثما تضع حملها - اتباعا لنصيحة أخته « سيدونى » - كى لا يفطن أحد الى الحقيقة . ولكن الظروف أراحته من هذا العناء ، اذ تخلصت « رينيه » من حملها باجهاض .. وانتشى الزوج بهذه المصادفة، فقد أصبح يرى بوضوح ابتسامة الحظ الذى واتاه بزوجة فاتنة لن تلبث ان تكون سببا فى ان يحظى بوسام عما قريب، فضلا عن الصداق - « الدوطة » - الذى سوف يمكنه من ان يشرع فى تنفيذ خطته !

وكانت الخطة غاية فى البساطة ، وكان البيت الذى نالته « رينيه » من أبيها فى باريس صفقته الاولى ، اذ ابتاعه منها وحرص على ان يستخفى فى الصفقة وراء سمسار يدعى « لارسونو » حتى لا يكشف أمره ، اذ كان لا يفتأ يتذكر تحذير أخيه له : « حذار .. أية فضيحة ستحملنى على ان اقتلك ! » .. وفى دهاء أخذ يتصل بأعضاء المجلس البلدى ، وكانوا ستة وثلاثين اختارهم الامبراطور نفسه من بين الشيوخ والنواب والمحامين والأطباء وكبار رجال الصناعة .. على ان أكثرهم نفوذا كانا « البارون جورو » ، ومسيو « توتان لاروش » ، والى هذين وجه « سكار » جل اهتمامه : **كان أولهما قد حظى بلقب البارونية من نابليون الأول مكافأة له على انه ورد للجيش بسكويتا تالفا !.. وظل ذا مكانة فى عهود لويس الثامن عشر ، وشارل العاشر ، ولويس فيليب ، حتى اذا كان عصر نابليون الثالث صار عضوا فى مجلس الشيوخ .. وكان يبيع نفسه فى « وقار وابهة ! » ، ويرتكب أشنع الذنوب باسم الواجب والضمير .. ورغم بلوغه الثامنة**

والسبعين فان نجمه ازداد لمعانا فى عالم الفساد !

أما « توتان لاروش » فقد اكتسب بالغش نفوذا فى دنيا الصناعة ، ثم اشترى بالمال مقعدا فى مجلس الشيوخ .. وكان أول من باع اسمه لتستغله شركة قامت محفوفة بالريب ، واستطاع بنفوذه ان يكتم الفضيحة حين تبين المساهمون انهم راحوا ضحايا احتيال منظم !

وفى ظلال الرجلين مضى « سكار » ينفذ صفقاته .. بل انه كان يلعب بهما معا ليصل الى أغراضه ! .. وعندما صادفته المتاعب فى الحصول على التقدير الذى كان يرجوه لأحد بيوته التى كانت ستهدم لتوسيع أحد الشوارع ، أشرك « توتان لاروش » فى بعض صفقات مالية ، ثم رسم حيلته فى براعة ، فاذا الشيخ عضو لجنة التعويض بالمجلس البلدى يهب صارخا فى زملائه : « ان الامبراطور يرغب فى ان تنفذ المشروعات على نطاق واسع ، فلا يجب ان تعطلنا السفاسف .. ان تعنت اللجنة خليق بأن يوحى للناس اننا نسرقهم ! »

وكان الفوز من نصيب « سكار » ! .. وأطمعه النجاح ، فمضى يشرك زوجته تحت ستار استثمار أموالها .. وكان كلاهما محبا للمال واللهو !

الفصل الثالث

◆ عندما تجاوز « مكسيم » الثالثة عشرة ببضعة شهور – فى سنة ١٨٥٤ – رأى أبوه ان يستقدمه من الريف ، ليهيىء له مركزا فى باريس ..

ووصل الفتى .. فاذا هو طويل القامة ، ذو وجه كوجه الفتيات ، وشعر خفيف أصفر .. وفيما كان يتأمل رياش قاعة الجلوس وزخارفها ، ولجت « رينيه » القاعة ، عائدة من لدن حائك ثيابها .. وبهت الفتى لجمالها ، وراح يلتهمها بنظراته .. ثم ابتسم ، فهتفت : « أهذا هو الغلام ؟ .. ما أظرفه ! .. ولكن ، اسمع يا صديقى .. قد لا يعود أبوك قبل موعد العشاء ، فتعال .. اننى امرأة أبيك ، فهلا قبلتنى ؟ »

وأمسك بكتفيها وقبل وجنتيها ٠٠ فتخلصت منه ضاحكة وهى تقول : « ما أظرفه !٠٠ لسوف نغدو صديقين ٠٠ اننى أحب ان أغدو أما لك ، وان انشئك كما ينبغى ان تكون التنشئة ٠٠ »

فسألها وهو يحدق فيها بعينيه الزرقاوين : « كم عمرك ؟ »

ـ ما ينبغى ان توجه هذا السؤال ٠٠ على اننى لحسن الحظ لا أزال فى سن لا حرج من اعلانها ٠٠ اننى فى الحادية والعشرين ٠٠

ـ وأنا سأبلغ الرابعة عشرة بعد قليل ٠٠ فأنت خليقة بأن تكونى اختا لى ٠٠

ووقفت أمام المرآة تتأمل الثوب الذى كانت ترتديه ٠ كانت لتوها قد تسلمته من يدى الحائك وارتدته لديه ، ثم آثرت ان تستبقيه عليها ٠٠ ولكنها كانت تحس فيه عيبا لا تدركه ٠٠ والتفتت الى « مكسيم » تسأله رأيه ، فقال وقد طمأنه لطفها : « انه رائع ٠٠ لا عيب فيه ، اللهم ٠٠٠ » ، وتقدم وقد احمر وجهه ـ رغم جرأته ـ ومد أصبعا يشير الى عيب فى الصدر ، قائلا : « لو هبطت فتحة الصدر قليلا ، وارتديت قلادة يتدلى منها صليب كبير ٠٠ »

فصفقت « رينيه » فى طرب وقالت تقاطعه : « هو هذا حقا ٠٠ ان هذا الصغير ليس بالغبى ، واعتقد اننا سننسجم معا ٠٠ على انك يجب ان تفعل ما اشير به ٠٠ دع شعرك أولا ينمو ٠٠ ولا ترتد قط سترة مقفولة الصدر ٠٠ واستوعب بعناية ما ألقيه من دروس فى السلوك ٠٠ والآن ، هل ستحبنى كثيرا ؟ »

فهتف فى تحمس الصبى العاشق : « سأحبك بكل قلبى ! »

★★★

◆ كان ذلك لقاءهما الأول ٠٠ وسرعان ما صقلت « رينيه » الفتى ٠ وكان « مكسيم » يعرف فوق ما يعرفه أنداده فى السن ٠٠ كان قدعرف الخطيئة قبل أن يدرك معنى الشهوة !٠٠ وكانت له ابتسامة ، ولفتة عنق ، والتفاف ذراعين ، توحى بجو من « الانوثة » ٠ وكان شديد العناية بيديه البضتين ، الرشيقتين ، وقد أوتى وسطا نحيلا ، وردفين كأرداف النسوة الناضجات ، حتى لقد كان زملاؤه فى المدرسة الريفية يحومون حوله تحويمهم حول الفتيات ، وحتى أطلقت عليه « رينيه » لقب «المدموازيل» !٠٠ كان رقيقا ، لطيفا ، ومع



ذلك فان عناقه كان يثير فى نفسها شعورا يمضها ٠٠ وقبلاته تبعث فى الجلد حرارة ٠٠ على ان أكثر ما راقها منه ، هو انه كان جريئا ، يخوض فى أدق أحاديث النساء ـ مع صديقات « رينيه » ـ فى غير ما تورع ولا حرج !٠٠ وكان صغر سنه يحملهن على ان يمددن له الحبل فى معابثتهن ، وان يتحررن فى ممازحته ، وكأنه حيوان أليف لا خوف منه ٠٠ وكن يتداولنه فى تضاحك النساء اذا ما خلون بعضهن الى بعض ، ويسمحن له بتقبيل الأجزاء البضة من سواعدهن ، ويعلمنه كيف يغدو رجلا أنيقا ، رشيقا ، ترضى عنه النساء ٠٠

ووجدت « رينيه » متعة فى تعليمه ورعايته ٠٠ لم تترك شيئا لم تفعله فى سبيل اتمام تعليمه ٠٠ وكانت تمر يومئذ بأزمة عاطفية قاسية ، اذ نبذها عشيق لها جهرا أمام المجتمع الباريسى ، فوجدت فى « مكسيم » سلوى تتعزى بها ٠٠ وكثيرا ما كانت تنتظره فى عربتها أمام باب المدرسة عند انصرافه ، لتصحبه الى غابة (بوا) ، وتروح تعرفه بعلية القوم من رجال ونساء ٠ وكان يبدى اهتماما بالنساء أكثر منه بالرجال ، ويصرح لامرأة أبيه بملاحظات عنهن تجعلها تحبس أنفاسها مأخوذة ، ثم تتحول تلقى عليه دروسا فى الأخلاق والآداب ٠٠

وكان أحب الامور لدى « مكسيم » ان يعيش بين النساء ٠ وكانت رقة الانوثة التى اوتيها تجعل صديقات « رينيه » يطمأنن اليه ، حتى لقد كان « الرجل » الوحيد الذى سمح له صانع الأزياء النابغة « ويرمس » بأن يلج القسم الخاص بعمل « البروفات » فى متجره ! ٠٠ كما اعتادت « رينيه » ان تستشيره فى اختيار ثيابها ، وقبعاتها ، وعطورها ، وكل شىء ٠٠

وآتت هذه التربية « الراقية ! » ثمارها حين بلغ « مكسيم » السابعة عشرة من عمره ، اذ أغوى وصيفة امرأة أبيه ٠٠ وكان أسوأ ما فى الأمر ان أنجبت الوصيفة طفلا ، فأرسلتها « رينيه » الى الريف ، واشترت سكوتها بمعاش سنوى تمدها به ٠٠ على انها أوسعته لوما على كونه قد هبط بنفسه الى مستوى الخادم ٠٠ فأجابها فى هدوء :

ـ أنت على حق فى ذلك ٠٠ لو ان صديقتك الحميمة « سوزان » انصاعت لى ، لكان الايفاد الى الريف من نصيبها !

ووجدت نفسها تتمثل « سوزان » فى ذلك الموقف ، فلم تتمالك ان ضحكت ٠٠ وجرفهما الضحك فى تيار هيستيرى !

★ ★ ★

◆ ولم يكن « سكار » يشغل باله بهذين « الطفلين » ـ كما كان يدعو زوجته وابنه ٠٠ كان قد أطلق لهما كل الحرية ، سعيدا بأن يراهما على ود ووفاق ، لينصرف الى الحياة التى أرادها ٠٠ حياة المضاربات ، والجرى وراء المال ،

والظهور مع علية القوم . وكان نجاحه فى كل صفقة يطمعه فيقدم على أخرى أكبر وادعى للجرأة منها !.. وكانت حمى التجديد تزداد اجتياحا لباريس ، فما من حى - بل ما من شارع - الا وكانت فيه بنايات قديمة تهدم ، وأخرى جديدة تقام .. وكانت البنايات موردا محققا للاستثمار ، اذ كانت أجور المساكن فى ارتفاع مستمر ، وأثمان البنايات فى ازدياد مطرد .. وكانت البلدية فى توسعها قد أسرفت حتى رزحت تحت الديون لترضى نزوات الامبراطور ، ولتملأ بالذهب جيوب فريق من الناس .. وأوقعها هذا تحت نفوذ « سكار » الذى كان قد أنشأ مع « توتان لاروش » شركة للقروض العقارية ، فأصبح الشريكان يحظيان بحماية البلدية والحكومة ، ليمضيا فى صفقاتهما غير حافلين بشىء ، وهما يحصلان - وأعوانهما - على امتياز اثر امتياز !.. وأصبح الذهب يتدفق على خزانة « سكار » وينساب منها فى غير حساب .. فغدا الرجل يشيد البيوت على كل طراز ، ويقتنى الأسهم والسندات ، ويسيطر على « البورصة » !

وكانت هذه الأعمال كلها تستغرق وقته وانتباهه ، حتى لقد كانت تمر على زوجته « رينيه » أسابيع بأسرها دون ان تراه !.. وكانت فى قرارة نفسها قانعة بذلك ، مادام يفتح لها أبواب خزانته على سعتها .. فقد كان مظهرها أمام باريس ومجتمعها يوحى بمتانة مركزه ، ويزيده عزة . كانت شريكته دون ان تفطن !.. وكان وجودها فى غمرة مجتمع الامبراطورية الثانية - بغواياته ، ورذائله ، وفساده - وجودها حرة ، جامحة الخيال ، موفورة المال ، كفيلا بأن يقضى على كل مقاومة في نفسها للشر والخطيئة ، ويذكى نيران نزواتها وشهواتها .. وهكذا أخذت تبدل عشاقها كما تبدل ثيابها ! لكنها كانت لا تلبث اذا علقت بواحد منهم ، أن تفيق من نشوتها يوما وقد هجرها مصدعة القلب والكرامة ، فتروح تقسم انها لن تعرف الحب ثانية !.. ولكنها لم تكن تطيق عن الحب بعدا أو غنى .. الى ان فوجئت يوما بتجربة جديدة .. فقد أحست وهى بعد فى الثامنة والعشرين بأن هذا الاندفاع قد أرهقها وأضناها .. وغشيها سأم ، حتى لقد كانت تعتكف فى مخدعها ، مغلقة أبوابه دون العالم ، من فرط ما استبد بها من صداع أليم !

ومع ذلك ، فقد كانت تهوى المغامرة .. حدث يوما ان خرجت تتمشى على قدميها ، فلم تلبث ان لاحظت ان شابا يتبعها .. وكان اليوم دافئا ، يتضوع جوه بعبير يفتح القلب للحب .. وراقت لها المغامرة ، فما تبعها يوما سوى علية القوم أو فرسانهم .. اما ان يتبعها راجل ، فقد بدا لها أمرا عجيبا .. طريفا !.. وتعمدت ان تطيل مسافة سيرها ، فازداد الرجل جرأة وامعانا فى السير خلفها !.. وعندئذ يممت شطر منزل مدام « سيدونى » ، اذ كانت تعرف ان أخت زوجها تضيف الى أعمالها تمهيد فرص اللقاء للعشاق !

وابتسمت مدام « سيدونى » وأخلت لهما المكان .. وكانت هذه المغامرة من

أطرف ما خبرت « رينيه » . قط ما فكرت فيها الا وغلبها الخجل والاستنكار .. ولكنها كانت فى الوقت ذاته لا تتمالك ان تبتسم !.. اما مدام « سيدونى » فقد استغلت هذه الفرصة ، فازدادت منذ ذلك اليوم قربى الى زوجة أخيها .. كانت مذ دبرت زواج « رينيه » من أخيها ، تصبو الى ان تضم هذا الجمال الفاتن الى زمرة عميلاتها !

كانت عجيبة تلك المدام « سيدونى » !.. لم تتورع عن ان تسلك « مكسيم » فى عداد عملائها ، وكانت تقترض منه ماله .. وكان الفتى قد كبر ، وازداد جمالا ، ولكنه قط لم يذهب فى استهتاره الى درجة الجرأة على اغواء سيدات الطبقة الراقية ، رغم أنه كان يفتنهن .. فكان يقنع بالمعابثة معهن ، ثم يفثأ حيوانيته فى غراميات رخيصة مع المتبذلات !

★ ★ ★

◆ وكانت الدوامة التى تعيش فيها الاسرة تشتد .. فمع نمو « مكسيم » كان « سكار » يوسع من نطاق أعماله باستمرار ، و « رينيه » تزداد اندفاعا فى البحث عن متعة مجهولة !.. وانتهت الدوامة بهذه المخلوقات الثلاثة الى حياة عجيبة من التحرر والطيش : كان الأب وزوجة الأب وابن الزوج يتصرفون ويتكلمون ويجتمعون ويتوادون وكأن كلا منهم يعيش طليقا .. كأنما هم ثلاثة من الزملاء .. أو كثلاثة من الطلبة يعيشون فى حجرة واحدة استأجروها بأثاثها ، وهم فى زمالتهم لا يتورعون عن استخدامها لارضاء نزواتهم ، وممارسة غرامياتهم ، وصخبهم ، وعبثهم .. عبث الطلبة المراهقين ! .. قط لم يداخل أحدهم شك فى علاقته بالآخرين ، ومع ذلك فقد كان كل منهم ينعم باستقلاله كاملا .. واستبدلوا بفكرة الاسرة ، نوعا من « الزمالة » التى صاروا يتقاسمون فوائدها على قدم المساواة .. كل يستأثر بحظه من اللهو لنفسه ، ولا ينزل عنه الا وفق رغبته وهواه .. بل لقد كان كل منهم يمارس لهوه فى حضور الآخرين ، دون ان يثير لديهما شيئا من المشاعر ، اللهم الا قدرا من الحسد والفضول !

وأصبح « مكسيم » ـ وقد غدا فى العشرين ـ مدرسا لاستاذته !.. كان اذا خرج مع « رينيه » الى الغابة للنزهة ، راح يروى لها القصص عن كواكب المجتمع وغوانيه اللائى كن يثرن اهتمامها . كان سجلا مفصلا يضم وصفا دقيقا لكل غانية ، ولمغامراتها ، وفضائحها !.. وكانت « رينيه » تستعذب صحبته كما لو كان مجلة مسلية .. وكانت تفتح عينيه ـ كطفل يشهد تجربة غريبة ـ اذا ما راح يهمس فى أذنيها بفضيحة حديثة لم تتكشف بعدعلى نطاق واسع .. ويتولاها الفضول الصبيانى وهى تعثر فى جيبه على صور الممثلات والسيدات الراقيات !.. وكانت تتأمل هذه الصور فى استغراق ، وتدرسها فى شغف ،

وتستوعب أدق التجعدات فى جمال كل امرأة من صاحبات تلك الصور !

وابتكرا لعبة جديدة للتسلية .. كان كل منهما يسأل صاحبه : « مع من أحب أن أقضى ليلة ؟ » .. ويتقدم كل ، فيفتح ألبوما للصور ، وكم من مفارقات مضحكة كانت هذه اللعبة تمدهما بها !

واشتدت الالفة بين « رينيه » و « مكسيم » حتى انها غدت تشكو له هموم قلبها ، فكان يواسيهاويبذل لها المشورة .. وتناسيا أباه كأن لا وجودله !.. وما لبثا ان تعودا ان يبوح كل لصاحبه بأدق أسراره ، فى تهامس الأطفال المفتونين بالتجارب التى تستهوى عقولهم الصغيرة ومشاعرهم الساذجة .. وكانا يتماديان فى ذلك حتى لقد أفضت « رينيه » الى « مكسيم » بأدق الاسرار التى كانت تجرى بين فتيات المدرسة الداخلية التى كانت فيها قبل زواجها !.. وكان هو يروى لها فضائح ما كان يدور بين الفتيان فى مدرسته الريفية !

كذلك قامت بين الأب والابن ألفة متحررة .. كان « سكار » قد أدرك ان لا بد للمالى الكبير من عشيقات ينفق عليهن بسخاء ليبدو فى مركز عزيز فى المجتمع .. وكان هو بطبيعته يفضل المال على النساء ، ولكنه كان يفسح فى برنامجه وقتا يتردد فيه على الصالونات وعلب الليل .. واعتاد الأب والابن ان يلتقيا فى غرف النساء فيتبادلان المجاملات والنكات .. بل كانا فى بعض الأحيان يتنافسان .. وكم تبادلا الاكتاف العارية والنحور والخصور .. وكم روى كل للآخر اعترافاته ومغامراته !

★ ★ ★

◆ وكان « مكسيم » فى تلك الاثناء متيما بفتاة تدعى « سيلفيا » ، أضجر زوجة أبيه بحديثه عنها كلما التقيا .. كان هواه نحوها أهوج، وكان قد اتخذها عشيقة له .. وفى ذات أمسية كانت عربة « رينيه » عائدة من الغابة تحملها و « مكسيم » ، حين أوقفها الزحام الى جوار عربة « سيلفيا » .. وأخذت كل من المرأتين ترمق الاخرى فى اهتمام بالغ ، و « مكسيم » فى نشوة .. واذ افترقت العربتان ، كل فى طريقها ، قالت « رينيه » فجأة :

ـ أتعرف الجوهرى الذى يصوغ لهذه المخلوقة حليها ؟

فأجاب مبتسما : « أجل ، فأنا ـ للأسف ـ مدين له .. لماذا ؟ »

ـ لقد لمحت حول معصمها الأيسر سوارا بديعا ، أحب ان أفحصه ..

وفى مساء اليوم التالى جاءها بالسوار قائلا : « هذا ما تبغين .. ان المرء ليغدو لصا من أجلك يا امرأة الأب ! » .. فأخذت السوار فى لهفة ومضت تفحصه الى جوار النافذة ، ثم أحاطت به معصمها وراحت تتأمله .. ودخل « سكار » الحجرة اذ ذاك ، فهتف فى عجب : « وى !.. سوار سيلفيا ! »

فقالت وهى أكثر منه دهشة : « أو تعرف هذا السوار ؟ »

وتمالك نفسه مشيرا بأصبعه خلسة يحذر ابنه .. وما ان غادر الحجرة ، حتى التفتت « رينيه » الى « مكسيم » قائلة وهى تعيد اليـه السوار : « يجب ان تذهب الى الجوهرى فتطلب واحدا مثله تماما ، على ان يرصعه بأحجار الياقوت بدلا من الزمرد ! »

وصار « سكار » لا يملك ان يبقى شيئا أو شخصا قريبا منه دون ان تتملكه الرغبة فى بيعه أو استثماره ! ومن ثم بدأ يدخل ابنه فىحسابه اذ بلغ العشرين .. كان شابا جميلا ، وابن أخ وزير ، وابن مالى كبير ، فهو بهذا مادة طيبة للاستغلال ، وفى وسعه ان يبحث له عن زوجة ذات صداق « دوطة » فيخطبها له ، ثم يرجىء الزواج أو يعجل به تبعـا لداعى الضرورة فى اقتصـادياته الخاصة !.. وحالفه الحظ اذ هداه الى مسيو « ماروى » ، وكان صاحب مصنع للسكر ، اعتزل حياته العملية بعد ان جمع ثروة طائلة ، وبعـد ان تزوج من فتاة نبيلة المحتد ، وأخذ يبحث عن الاسباب التى تهيىء له الظهور ، والظفر بمنصب سياسى رفيع ، رغم ان عقـله كان اتفه عقل صادفه « سكار » !.. وكانت اطماعه التى لا تقف عند حد سببا فى ان أسلم نفسه لسكار أملا فى ان يفيد من نفوذ أخيه الوزير ، ورأى فى زواج ابنته « لويز » من شاب من أسرة الوزير حظا يبشر بفرص واسعة ..

وجعل « ماروى » صداق ابنته مليـونا من الفرنكات .. وكانت شـوهاء الجسم ، ينخر السل كيانها ويسير بها الى القبر ، مما كان يدفعها الى ان تعب من المرح واللهو فى اسراف . ويسر لها السبيل انها اوتيت خـلاعة النور (الغجر) ، وخفة روح ملحوظة طغت على قبحها .. وقيـل ان أمها ماتت فى غمرة الفجور الصارخ ، وان العبث كان يفرى جسمهـا كما تأكل القرحة الجلد ! .. وكانت « لويز » ـ بشـعور غريزى ـ تتهافت على « مكسيم » فى خبث ، اذ اوتيت رغم كونها عذراء دراية المرأة والماما بكل ما فى حياة النساء من خبايا ، الى جانب مزيج عجيب من الروح الصبيانية والجـرأة .. وهكذا استطاعت فى النهاية ان تجتذبه فتشغله حتى عن فاتنته « سيلفيا » !

واتفق الوالدان ، ورأيا ان يمهلا « الصغيرين » حتى « يكبرا » .. وكان من المفهـوم ان يكون تعيين « مكسيم » مراجعا فى مجلس الدولة ، من هـدايا الزفاف !

★ ★ ★

◆ وفى تلك الاثناء ، كان حظ « سكار » قد بلغ ذروته .. كان حظه يتألق فى وسط باريس ، فى الوقت الذى انطلقت فيه كلاب الصيد ـ صيد الثروات والشهوات ـ مسعورة ، وغدت فيه عاصمة الامبراطورية الثانية حمأة من ذهب ونساء ، وفاضت الرذيلة حتى طفحت بها المجـارى فطغت على موارد الماء ،

وانبثقت من نافورات الحدائق ، لتهبط متناثرة على سـقوف الدور الشماء الباذخة ٠٠

واجتاح تيار النشاط وتيار المال الذى كان يتدفق بين يدى « سكار » صداق زوجته ٠٠ كانت قد سئمت ، فى نزواتها ، الاشراف بنفسها على ثروتها ، كماأن ما أصاب زوجها من ثراء جعلها تشعر الى جانبه بأنها فقيرة ، فأسلمته مقاليدها ، ٠٠ وكانت نفقاتها قد أرهقتها بالديون ، فاعتـادت ان تعتمد عليه ، وان تكل اليه امورها ٠٠ وشيئا فشيئا ، لم يبق لها سـوى قطع الأراضى التى منحتها اياها عمتها « اليزابيث » فى (الشارون) ، والتى أبت ان تفرط فيها حتى لا تدخل الحزن على قلب عمتها ٠٠ ولكن « سكار » لم ينفك يعمل على الوصول الى هذه الأراضى ، ويدبر خطة لذلك بالتعاون مع زميله القديم « لارسونو » ! وكان « سكار » فى تلك الفترة قد أنشأ قصرا باذخا فى « بارك مونسو » أسرف فى زخرفته ورياشه ، وعاش الزوجان فى هذا القصر وقد استقل كل عن الآخر ٠٠ وأوغلا فى التحرر ـ تحت أعين الخدم ـ فقسما القصر الى قسمين ، وعاشا وكأن كلا منهما كان يؤوب الى « فندق » بعد جولاته الحافلة ، ثم لا يكاد يستقر حتى يتهيأ للانطلاق فى المدينة يعب من ملاهيها ٠٠ كان البيت لا يضمهما الا حين يؤويا الى مخدعيهما فى الليل ، أو حين يولما المآدب والحفلات ٠

وفى تلك الفترة عرضت لرينيه تجربة جديدة تركت فى نفسها اثرا لا يمحى ٠٠ كانت تكاد تموت لهفـة الى ان تدعى الى حفـلات القصر ، ولكن الوزير ـ شقيق زوجهـا ـ كان يقاوم هذه الرغبة ٠٠ فلمـا انتقلت الاسرة الى قصر « بارك مونسو » سنحت له فرصة تحقيق أمنيتها ، فى احدى المناسبات ٠ وكان ثوبها أجمل الأثواب فى الحفلة ، وتألق جمالها كما لم يتألق من قبـل ! ٠٠ وعندما ظهر الامبراطور فى القاعة ، ومر بين صفوف المدعوين يتلقى تحيتهم ، تولت « رينيه » حمى لاهبـة ، والامبراطور المهلهل الأعصاب يقترب بخطى وئيدة واهنة ، وقد علق بصره بها لا يحيد عنها ٠٠ واذ صـار أمامها ، رفع جفنيه وتأملها ، وأحست انه وقف ثانية أو ثانيتين ، معتمدا على ذراع أحـد قادته ٠٠ ثم سمعته يتمتم للقائد : « انظر يا جنرال ٠٠ هاهى ذى زهرة جديرة بأن تقطف ! »

وعندما رفعت « رينيه » رأسها ، كان الامبراطور قد اختفى ، وكان القوم يتكأكأون عند الابواب ٠٠

وكان هذا الاطراء الامبراطورى لديها من أبهى آيات النصر التى توالت فى حياتها !

الفصل الرابع

• **لم تكد** « رينيه » تأوى الى مخدعها عقب تلك السهرة التى رأت فيها « مكسيم » و « لويز » يتضاحكان ويتداعبان ، حتى تبخر من نفسها ذلك الحنين الذى تولاها ، مخلفا وراءه مرارة موجعة ! ٠٠ ولم تنم فى تلك الليلة الا لماما ، حتى اذا استيقظت ، خيل اليها انها مريضة ، فلزمت مخدعها يومين ٠٠ وكان « مكسيم » يقيم فى مسكن خارج القصر ، رغبة فى الاحتفاظ بحريته ٠ وتردد على البيت خلال اليومين يطرق باب مخدعها ، ولكنه لم يتلق منها جوابا ! ٠٠ وفى اليوم الثالث ، ألفاها فى حجرة الجلوس الصغيرة ، موردة الوجه ، ضاحكة ، راضية ٠٠ واستأنفا حياتهما اللاهية ، الى ان كانا عائدين من نزهتهما فى الغابة ساعة الغروب فى أحد الأيام ، فاذا « رينيه » تفضى الى « مكسيم » بأنها تكاد تموت لهفة الى ان تحضر حفلة راقصة كانت تقيمها ممثلة كبيرة من بين ملكات السهرات فى باريس ٠٠ **واستنكر منها « مكسيم » هذه الرغبة ، فقد عرفت حفلات « بلانش مولر » بمباذلها وفضائحها ، ولكنها ما زالت به حتى صدع لرغبتها ٠ وأتاح لها حضور الحفلة وقد اسدلت على وجهها قناعا ٠٠ وكانت بادية القلق ٠٠ وهالتها المباذل التى رأتها ، رغم انها لم تكن جديدة على المجتمع الباريسى ، فما لبث السأم ان اشتد بها ، وطلبت الى « مكسيم » ان ينصرف بها من المكان ٠ وما ان احتوتهما العربة حتى تمتمت فى حسرة : « اذن ، فسنعود الى البيت ! »**

واقترح ان يجوسا خلال المدينة فى العربة ، فوافقت ٠٠ كانت كارهة للعودة الى البيت ! وكان يشيع فى الليل دفء غريب على شهر أكتوبر ، تزيده بهجة نفحات باردة تسرى من آن لآخر ٠٠ وظلت « رينيه » صامتة ، تائهة فى اطواء ألوان مبهمة من الحنين والرغبات ٠٠ وأخذ « مكسيم » يحاول ان

يسرى عنها بقصص ماجنة ٠٠ وفجأة قالت له فى حيرة : « لشد ما أنا جائعة ! » ٠٠ وما ان مرت العربة أمام « كافيه ريش » حتى بادر الشاب يستوقفها ودعا « رينيه » الى العشاء فى المطعم ٠٠ وابتسمت وهى تهبط فى حذر ، كطائر يخشى ان تبتل قدماه ٠٠ **وخيل اليها ان السهرة تحولت الى مغامرة وهى تتبع الشاب الى سلم فى باب جانبى للمطعم ، ثم وهو يصعد السلم وكأنه يلج داره !٠٠ وما ان بلغا الطابق الأول حتى استقبلهما خادم أنيق ، بادره مكسيم قائلا : « أرجو ان تتولى بنفسك خدمتنا يا شارل ٠٠ اعطنا الغرفة البيضاء »**

وانحنى الخادم ، وتقدمهما ففتح باب غرفة خاصة ، بدا الضوء الخافت فيها كأنه شفق٠٠ وخلعت «رينيه» غطاء الرأس السابغ الذى كانت تستتر تحته شخصيتها ، وأخذت تسوى شعرها ، وقد أمضتها النظرات التى كان « شارل » يختلسها نحوها ٠٠ ونظر الخادم الى الشاب فى ألفة وقال : « هل راقك عشاء الاربعاء ؟ » ٠٠ فتمتم « مكسيم » : « عشاء الاربعاء ٠٠ أجل ، ايتنا بعشاء الاربعاء » ٠

واذ انصرف الخادم ، سارت « رينيه » فى الغرفة تتأملها ٠ كانت معدة للقاء العشاق ، فالى جانب المائدة كانت ثمة أريكة ، وسرير بين النافذة والمدفأة ، وساعة من طراز لويس السادس عشر ، وشمعدانات تزين رفا من الرخام ٠٠ وكان أعجب ما راق لها مرآة طويلة ، حفل اطارها بكلمات حفرتها ماسات النساء ٠٠ أسماء ، وأشعار ، وتواريخ ، وعبارات وله وغرام ! ٠٠ وسرى فى نفس « رينيه » نوع من القلق ، ولكنه بدا عذبا ٠٠ وفجأة سألت « مكسيم » عن عشاء الاربعاء ، فقال : « لا شىء ٠٠ انه رهان خسره أحد أصدقائى ٠٠ »

وما كان ليتورع عن ان يخبرها بأنه تناول العشاء فى ليلة الاربعاء مع سيدة التقطها من الطريق ، ولكنه مذ ولج هذه الغرفة شرع يعاملها كما لو كان يترضاها ويخشى ان يخدش

سمعها ٠٠ وبينما وقفت متوارية خلف النافذة ترقب باريس في ليلها ، أخذ شارل يروح ويغدو وهو يعد المائدة ٠٠ وانقضت عشرون دقيقة في صمت لا تشوبه سوى الجلبة المتصاعدة من الطريق ، وما لبثت « رينيه » ان سمعت « مكسيم » يصرف الخادم ، فأحست بالدم يتصاعد الى وجهها، وأومضت عيناها ٠٠ وهم الشاب ان يغلق النافذة فمنعته قائلة : « دع أنغام الموسيقى تسرى الينا ٠٠ »

كانت المغامرة قد ردت الى سنى عمرها الثلاثين رونق الشباب ٠٠ غرفة خاصة ٠٠ وخلوة وعشاء مع شاب ٠٠ وضوضاء الشارع تثير فى نفسها انفعالا غريبا ٠٠ كل هذا جعلها تشعر كأنها امرأة ماجنة ٠٠ غانية !

ولم يكن « مكسيم » جائعا ، فأخذ يرقبها وقد أقبلت على الطعام فى نهم ٠٠ كان الطعام شهيا ٠٠ وكان فى الجو عبير من المجون والخلاعة جعلا نفس « رينيه » تتفتح ٠٠ وحلا لها النبيذ الأبيض ٠٠ وسألها « مكسيم » عما جعلها تعجل بمغادرة حفلة الممثلة ٠٠ وعقب قائلا انه لاحظ ان مسيو « سافريه » كان يحوم حولها ، فهل كان هذا مبعث انصرافها ؟ ٠٠ فأجابت : « انه رجل مأفون ! ٠٠ قط ما خطر لى ان رجلا ذا مكانة مثله – ألف ان يبدى كل ذلك الأدب الذى يبديه فى بيتى – يسرف فى حفلة كتلك فيوجه الى كلمات نابية ٠٠ على اننى اغفر له ٠٠ انما النسوة هن اللاتى ضايقننى بتبذلهن وفحش حديثهن ٠٠ لست افهمكم معشر الرجال ٠٠ لقد تصورت اننى سأشهد أبهى الحفلات ، فاذا بى أشهد نسوة قذرات ، غبيات، ينطقن ببذىء القول كالعاهرات ! »

وكأنما أثار اقبالها على الطعام شهيته ، فتحول يشاركها ٠٠ وتذوقا كل لون منه ، وأفرغا زجاجة « الشمبانيا » وهما فى حديث لا ينقطع ، وكأنهما صديقان راحا يفرغان ما فى قلبيهما مع الشراب ٠٠ واقترح الشاب أخيرا ان يدعو الخادم ليحضر

بعض الحلوى ، فنهضت « رينيه » وسوت من أطراف ثوبها وهى تقول : « تستطيع ان تشعل الآن سيجارك ! »

وأحست بدوار خفيف من اثر الشراب ، فسعت الى النافذة .. كانت أضواء المدينة قد خفتت عن ذى قبل ، وخفت حركة المرور ، وأخذت بعض فتيات الليل يتنقلن من مشرب الى آخر . وأقبل الخادم فحمل بقايا الطعام ، وهى تطل من النافذة وظهرها اليه .. وعاد يتسكع فى الحجرة ، فلما أحس « مكسيم » بضيقها لوجوده ، صرفه ، ثم قال وكأنما تذكر أمرا : « آه .. اننى أعرف طريقة تعفينا من وجوده » ، ودفع مزلاجا أوصد به الباب ..

وعادا الى أحاديثهما الودية المألوفة ، و « مكسيم » يدخن سيجاره ، و « رينيه » تحتسى القهوة .. وازداد جو الغرفة دفئا .. وبدا وجه المرأة أبهى ما يكون ، فأخذ مكسيم يتأمله خلال دخان سيجاره .. وفجأة ، نهضت فسارت الى المرآة ، وأخذت تقرأ ما كتب على اطارها متفكهة ، والشاب يرى وجهها معكوسا على صفحة المرآة ، وقد راح يزداد تضرجا ، وتألقا .. وداخله شىء من الاضطراب والقلق .. وفجأة هتفت : « آه .. هذا اسمك يا مكسيم ! » وأسرع اليها ، فأمسك بيدها وجذبها ليحول دون مضيها فى القراءة .. لكنها قاومته ، وقد شاع فى عينيها بريق غريب .. وفى نضالها ، سقطت على الاريكة .. وسقط الى جوارها .. وأحاطتها ذراعاه ، فهتفت مبهورة : « دعنى ! » .. ثم ساد الحجرة صمت ... وعندما أفاقا الى نفسيهما ، جلسا جنبا الى جنب واجمين ، ثم قال متلعثما : « كان لا بد من هذه النهاية ، طال الوقت أم قصر »

وكأنما أفاقت أخيرا ، فقالت وقد تجعد وجهها ، كما لو كان قد دهمها الكبر فجأة : « ماذا ترانا فعلنا ؟ » .. وأحست بأنها تختنق ، فسارت الى النافذة .. وكان الهدوء قد ساد الشارع ، واقفلت المشارب أبوابها .. وخيل اليها ان حرارة

ضجة السهرة ومخازيها كانت تتصاعد من الأرصفة الخالية ، وكأنما قد علقت فى الهواء بقايا الغراميات والمباذل التى ارتكبت فى المدينة !

* * *

◆ وفى الصباح التالى استيقظت « رينيه » متأخرة ، فلاذت بحجرتها ، وقضت الضحى جالسة الى جوار المدفأة . وحوالى الظهيرة ، أقبل زوجها ، يحمل قائمة بحساب محل «ويرمس» للأزياء ، قائلا : « لقد وجدت هذه على مكتبى .. وكم يؤسفنى ان ليس بوسعى ان اسددها ! »

وتأمل من طرف خفى ما تولاها من دهشة ، فابتسم وقال : « انك تعرفين يا عزيزتى اننى قط لم احاسبك على انفاق ، وان كان بعض اسرافك قد أدهشنى . ان هذا الحساب يصل الى مائة وستة وثلاثين ألفا من الفرنكات ، وشد ما يؤسفنى اننى فى ضائقة » ..

ـ حسنا .. هات القائمة ، وسأدبر الأمر ..

ـ كأنى بك لاتصدقيننى .. دعينى أشرح لك الأمر .. ان لك عندى حسابا على كل حال ، فقد عهدت لى بصداقك أستثمره ..

وأمسك بمحرك النار وراح يعبث فى وقود المدفأة . كان العبث بالوقود كلما جاءها يحدثها بشأن المال قد غدا عادة تلازمه ، ويحرص عليها أيضا ، كيما يظل وجهه نحو النار ، ويخفت صوته بعض الشىء .. ويستلفتك اهتمامه بترتيب قطع الوقود فتشغل بتأمله عن الحديث ، ثم يسرى اليك الملل فلا تعود تلقى بالا الى ما يقول ، وتنتهى الى التسليم بآرائه لتتخلص من الضجر !

ومضى يشرح لها كيف ان جزءا من مالها انفق فى اعداد القصر الذى يقيمان فيه ، فى حين ان الجزء الآخر كان مستثمرا فى شركة ناجحة لم يلبث القدر ان تنكر لها فأفلست ..

ولكنه أبى يومئذ ان يحزنها ، فأخذ يدفع لها من ماله الخاص ، رغم ان ثروتها لم يعد لها وجود !

وقالت أخيرا : « لست أسألك حسابا ، فأنا ادرك انني مدينة لك » .. فصاح يقاطعها وهو ممسك بيدها : « ما أقسى ما تقولين يا عزيزتي !.. الواقع ان النحس صادفني في « البورصة » ، كما ان « توتان لاروش » دفع بأعمالنا في ورطة عصيبة .. ومن ثم تدركين عذري في عجزي عن دفع قائمة الحساب هذه .. فهلا غفرت لي ؟ »

واثرت لهجته في نفسها ، وتذكرت ما كان يبدو عليه من قلق خلال الفترة الاخيرة . والواقع انه لم يكن كاذبا !.. كان الحظ قد بدأ يتنكر له ، وهو لا يقوى على ان يكف عن حياة البذخ التي اعتاد ان يبدو فيها ، اذ كانت ستارا يصون سمعته ومركزه في الأوساط المالية والاجتماعية .. وزاد من حرج مركزه انه كان قد تورط في صفقات لا يستطيع عنها رجوعا دون ان يقضي على مكانته ، ومن ثم أخذ يقترض بفوائد فاحشة كانت تلتهم الأرباح التي تتأتى عن تلك الصفقات . وكان توسعه في مشروعاته الجريئة سببا آخر زاد من قسوة الضائقة والخطر الذي راح يتهدده .. ثم مني بخسارات متوالية في « البورصة » كادت تقصم ظهره ..

وقالت « رينيه » في ارتياب : « اذا كنت في ضائقة يا سيدي ، فلم ابتعت لي تينك القلادة والرصيعة اللتين كلفتاك خمسة وستين ألفا من الفرنكات ؟ .. لم تكن لي حاجة بهما .. واذا اذنت لي بعتهما لأسدد حساب ويرمس » .. لكنه أجابها صائحا في قلق : « حذار .. اذا لم تظهري بهما في حفلة الوزير غدا ، أثرت أقاويل الناس .. انني أرجوك ان تستبقيهما ! »

ولم يقل لها انه ابتاعهما لينقذ « لور دورييني » من فضيحة محققة ، اذ اشتد ضغط الدائنين عليها !.. وقالت زوجته وقد

هم بالخروج : « لعل « لارسونو » يستطيع ان يقرضني مائة وستة وثلاثين ألف فرنك على أراضي الشارون ؟! »

وتحمس للفكرة ، فقد رأى زوجته تنساق من تلقاء نفسها الى ما كان يتمنى !٠٠ لقد ظل عامين يرسم الخطط ليستولى على تلك الأراضي ٠ كان قد أقنعها بأن تعقد شركة مع «لارسونو» ، تقدم بمقتضاها الأراضي وما عليها من مبان ـ على ان تقدر قيمتها بخمسمائة ألف فرنك ، في حين انها لم تكن تساوى ثلاثمائة ألف ! ـ مقابل ان ينفق « لارسونو » مبلغا يعادل ذلك في انشاء ملهى موسيقى ، وحديقة للالعاب والملاهي على تلك الأراضي ٠٠ وما كان اختياره «لارسونو» عبثا ، وانما كانت في يد الرجل وثيقة يهدده بها من آن لآخر ، فأمل في ان يستدرجه حتى ينتزعها منه !

وقال « سكار » وقد عاد الى العبث بنار المدفأة : « كنت قد توقعت ان تبدى هذا الاقتراح حين رأيت قائمة الحساب ، فذهبت بنفسي الى «لارسونو» ٠٠ وأظهر الرجل شعورا طيبا ، ولكن موارده الآن محدودة ٠ وكل ما يستطيع ان يقدمه هو ٠٠ خمسون ألفا من الفرنكات ٠٠ انه مبلغ يكفى كدفعة من الحساب ٠٠ على ان « لارسونو » لم يشأ ان يخلط بين هذا الأمر وشركتكما ٠٠ اعنى انه عرض ان يقترض لك المبلغ من مراب أصر على ان يأخذ في مقابله كمبيالة بثمانين ألف فرنك تستحق الدفع بعد ستة أشهر »

وشهقت مأخوذة ٠٠ ولكن رأسها المدلل لم يكن يحتمل التفكير في الأرقام طويلا ، فانتهت الى كتابة « الكمبيالة » ٠٠ **وجلس يرقبها وهي تكتب ، وحرك جمالها عواطفه ـ وكأنما كان غائبا عنه طيلة ذلك الزمن ! ـ فلم يتمالك وهو يتناول الوثيقة منها ان انحنى فطبع على عنقها قبلة ، وهو يقول : « انك لفاتنة ! » ٠٠ وندت منها صرخة خافتة ٠٠ ونهضت ترتجف ، وتحاول ان تضحك ، وهي لا تتمالك ان تقارن بين**

هذه القبلة ، وقبلات الليلة السالفة !

وقضت بقيـــة نهارها أمام النار ، وألفت نفســها تفكر فى « مكسيم » كشعلة من المتعة يحرقها لهبها !٠٠ وحلمت وهى مغفية بنزوات غريبة تستمتع بها بين كتل من اللهب على فراش ابيض لفرط حرارته !

★★★

◆ **وعندما** هبط المساء أقبلت مدام « سيدونى » تزورها ، فألفتها تجلس وقد عكس عليها لهب المدفأة دائرة من الوهج٠٠ وعند حافة هذه الدائرة ، وفى الجانب المعتم خارجها ، جلست مدام « سيدونى » فى ثوبها الأسود ، وقد عقدت يديها ٠٠ وانساب صوتها الخافت من الظلام : « لعلك فى ضائقة ماليـة أخرى !٠٠ آه ، لو انصت لى أخى ٠٠ ان بوســعنا ان نغدو أثرياء ٠٠ ولكنهم جميعا يهزون أكتافهم كلما حدثتهم عن ذلك القرض الذى تدين به انجلترا لنا ٠٠ لقد حسبت مجموعه وفوائده فاذا به يصل الى بليونين ، وتسعمائة وثلاثة وأربعين مليونا ، ومائتين وعشرة آلاف من الفرنكات ! »

فقالت « رينيه » ساخرة : « ليتك تجدين شخصا يقرضنى مائة ألف فرنك ريثما يأتى هذا الكنز ٠٠ »

ـ من السهل العثور على المبلغ ٠٠ انما المهم هو ما الذى تقدمينه فى مقابله ؟! ٠٠ انك تأبين ان تكونى عاقلة ياعزيزتى ٠٠ كلما رأيت « ميشلين » لم أملك نفسى من التفكير فيك ٠ هل تعرفين ان مسيو « سافريه » مدله فى هــواها الى درجة انه قدم لها هدايا بعشرة آلاف من الفرنكات ؟٠٠ ان معى الآن رسالة من امرأة مسكينة ، لا يحفل بها زوجها ، فى حين انها تورطت فى ديون ، وكاد دائنها ان يقاضيها لولا انها لجأت الى فأنقذتها !

ـ أو تعرفين أحدا يقرضنى ذاك المبلغ ؟

ـ عشرات ٠٠ **ان زوجك وان كان أخى ، الا اننى لا ألتمس**

له عذرا فى الجرى وراء الغانيات اللاتى لا يساوين قلامة من ظفرك ٠٠ مثل « لور دوريينى » !٠٠ أورفض ان يعطيك المبلغ ؟ ياله من تعس !

وفى براعة ودهاء ، راحت مدام « سيدونى » تضرب على كل وتر ، حتى استخلصت من « رينيه » وعدا بأن تزورها فى مسكنها ٠٠

ولم تدر « رينيه » كيف قضت السهرة فى الحفلة التى أقامها الوزير فى الليلة التالية ، رغم انها كانت قبلة الانظار فيها ٠٠ وكان « مكسيم » طيلة السهرة مع « لويز دوماروى » ، فلما شاءت « رينيه » ان تنصرف ، سعت اليه وقدمت له ذراعها ٠٠ واذ ضمتهما العربة تولتها رعدة من فرح ونشوة ، وان لم تشر بكلمة الى ما حدث بينهما اطلاقا ٠٠ فلما بلغا البيت ، سألته : « الا تصعد معى ؟ »

وكان الجناح الخاص برينيه أشبه بعش من الحرير و « الدانتيلا » تمثلت فيه أروع مظاهر الترف والانوثة المدللة ٠٠ كان حديث باريس بأسرها ، وكأنه كان معبدا للحب والطيش !

ولم يبارح « مكسيم » هذا الجناح قبل الساعة السادسة من الصباح التالى ٠ ودفعت اليه « رينيه » مفتاحا لباب خلفى ، ولم تدعه حتى أقسم ان يعود كل ليلة ! ٠٠ **وما ان خرج الى ضوء الحياة ، حتى ألفي نفسه في حيرة من أمر هذه المغامرة ٠٠ على انه لم يلبث ان تقبلها فى انصياع ، محدثا نفسه : « انها هى التى ترغب فى التمادى على كل حال ! »**

***

◆ **واعتادا** منذ ذلك اليوم ان يتمرغا فى الوحل ، وان يطلقا للحيوانية الكامنة فى نفسيهما العنان ٠٠ وأقبلت « رينيه » على خطيئتها بقلب جامح ، وعواطف متقدة متأججة ٠ وأدركت سر الملل الذى كان قداعتورها فى المدة الأخيرة ، وذلك الحنين المبهم

الذى برح بها ليلة ان رأت « مكسيم » و « لويز » يتداعبان ٠٠ كانت تتوق الى خطيئة من نوع لم يرتكبه أحد ٠٠ خطيئة تملأ وجودها الفارغ الخاوى ، وتحملها أخيرا الى ذلك الجحيم المستقر الذى كانت لا تزال تخشاه ، كما كانت تفعل حين كانت فتاة فى طور المراهقة !٠٠ جحيم الشهوة المتأججة الضرام ٠٠

وصار « مكسيم » يوافيها كل ليلة ٠٠ وكانا يجدان لذة فى ان يتسلل هو من الباب الخلفى ، ليجدها قابعة تنتظره فى الردهة المفضية الى جناحها ، وقد صرفت الخدم عن هذا الجانب من القصر ٠٠ وكانت تفتن فى ابتكار أسباب المتعة، حتى لقد كان النزق يزين لها فى بعض الليالى ان تهيىء لقاءهما الآثم فى البيت الزجاجى المعد للزهور النادرة فى الحديقة ! وكانت تستبد بها أحيانا نزوة مشبوبة ، حتى ليتصورها « مكسيم » وحشا طاغيا أوتى رأس امرأة ٠٠ فكان ينصاع لها مستسلما !

وتوالت الليالى وهما لا يقويان على مقاومة التيار ٠٠ بل لا يرغبان في مقاومته ، فقد كان للاستسلام لهلذة لاتعدلها فى نظرهما لذة !

الفصل الخامس

◆ راحت القبلة التى طبعها « سكار » على عنق زوجته تلاحق خواطره ! ٠٠ كان قد أغفل حقوقه على شخصها كزوج منذ أمد طويل ، ولم يحفل أى منهما بوصل ما انقطع فى هذه الناحية ٠٠

وكان مشروع ملاهى (الشارون) فى الواقع يبشر بالخير ، ومع ذلك فقد كان « سكار » لا يفتأ يرسم الخطط ليضع له نهاية ، فقد كان يوجس خيفة من « لارسونو » بسبب تلك الوثيقة التى تحت يده ، فلم يكن يسايره الا لينتزعها منه ! ٠٠ وكان « لارسونو » من ناحيته يبادله التوجس ٠ ولكن كان يربطهما ، من ناحية أخرى ، أمل فى أن تمس مشروعات التخطيط أراضى (الشارون) ، فيعملان بحيلهما على رفع التعويض الذى يدفع عنها الى مليونى فرنك ، يصيب « لارسونو » منها عشرة فى المائة ٠٠ أما الباقى فكان « سكار » يرجو أن يغتنمه

لنفسه .. وفى سبيل ذلك حرم على « لارسونو » أن يقرض زوجته ، متطوعا لأن يعفيه من أن يربك حساب شركتهما بالديون التى لا تكف عن طلبها .. وكان يقدم لها القروض من ماله الخاص ، زاعما أنه جاءها بها من بعض المرابين بوساطة « لارسونو » . فاذا ما حررت سندا للارسونو ، حوله هذا اليه .. وهكذا جمع تحت يده سندات بمائتى ألف فرنك ، لم تنل « رينيه » منها سوى مائة ألف .. وما كان ليستطيع فى ضائقته المالية أن يمضى فى اقراض زوجته، لولا أنه باع بعض قطع من الأراضى المعدة للبناء ، فى وسط المدينة ..

أما « رينيه » ، فكان ذلك الشتاء بالنسبة لها نشوة طويلة من الابتهاج والمتعة .. ولم يكن يعكر عليها هناءها سوى حاجتها التى لا تنقطع الى المال . كان « مكسيم » باهظ التكاليف .. وكان شعورهما بالحرية ، واطمئنانهما الى انصراف « سكار » عنهما ، يزيدهما جرأة واسرافا .. وجاء الربيع ، فراحا يظهران فى المجتمع ، لا يكادان يفترقان .. ولكن أحدا لم يكن ليخطر له ببال أن يتصور - مجرد تصور - حقيقة العلاقة بينهما ! .. على أن الربيع أزكى ضرام العواطف التى كانت قد بدأت تتفتح فى أعماق « سكار » ، ولم يهده خياله المسمم الى طريقة يستأنف بها علاقاته الجنسية مع زوجته ، سوى تلك التى اعتاد أن يبلغ بها مآربه من الغانيات والعاهرات : أن يمدها بالمال فى الوقت الذى كانت حاجتها اليه فى ازدياد مطرد !

★ ★ ★

◆ على أن القدر كان يدخر لرينيه ومكسيم عددا من المآزق القاسية . كان الدين الذى لصانع الازياء « ويرمس » قد بلغ مائتى ألف فرنك ، أصر الرجل على أن تدفعها فى الحال ، والا رفع الأمر الى القضاء .. فراحت ترتجف فرقا من الفضيحة . وفى الوقت ذاته ، كان الجوهرى الذى صنع لسيلفيا الهدايا التى قدمها اليها « مكسيم » يطالب الشاب بمبلغ ضخم ، والا .. فلن يهدأ حتى يزج به فى السجن ! .. وأعلن « سكار » أن ليس لديه ما يساعدهما به ، فجن جنون « رينيه » خشية على « فتاها المدلل » من السجن .. وأقسمت أن تحصل على المال مهما يكن الثمن .. والحيلة لا يمكن أن تعيى امرأة ، سيما مع رجل يحترق اشتهاء لها كزوجها ، المحروم من حقه عليها .. وهكذا أقنعت « سكار » بأن يسعى لموافاتها بخمسين ألفا من الفرنكات تسد منها دين الجوهرى ، وجزءا من حساب صانع الازياء ..

ولكنها لم تشأ أن تعتمد على وعد زوجها ، فلجأت الى مدام « سيدونى » .. وكانت المرأة تدخر لها نصيحة : ان مسيو « سافريه » يموت وجدا وشغفا بها ! .. ودار فى أعماق « رينيه » صراع قاس ، محتدم ، أرهق عواطفها

واعصابها ٠٠ وفى النهاية نهضت واتجهت الى الباب ، قائلة لمدام « سيدونى » المبهوتة ، المستنكرة : « لا ٠٠ لست سلعة تباع وتشترى ! » ٠٠ لقد كرهت أن تخون مكسيم مع مسيو « سافريه » ٠٠ فلئن لم يكن بد من خيانته ، فلتخنه مع ٠٠ أبيه !! ٠٠ ومنذ ذلك اليوم أجرت تعديلا فى مواعيد تردد « مكسيم » عليها ، ولم يعجب الشاب لهذا التغيير طويلا ، اذ شغله عن التفكير فى أى شىء آخر ، انها دفعت اليه بالمبلغ الذى يقيه شر السجن !

وكتمت سر الخيانة فى نفسها ٠٠ كانت تؤثر الموت على أن تفضى لمكسيم بالحقيقة ، خشية أن يثور عليها ويهجرها ٠٠ لم تعد تقوى عنه بعادا ٠٠ بل انها - اذ رأته ليلة منسجما مع خطيبته « لويز ماروى » - أحست بغضب بارد، كاللهب الابيض ، يستعر فى جوفها ٠٠ وعقدت عزمها على أن لا تمكن تلك الحدباء من أن تنتزع منها فتاها ! ٠٠ والواقع أنها وجدت من الظروف ما أقلقها على « مكسيم » ، اذ كان « سكار » فى أشد الحاجة الى ما قرره « ماروى » صداقا لابنته - وهو مبلغ مليون فرنك - ومن ثم رأى أن الأوان قد آن لعقد الزواج ! ٠٠ وفى الوقت ذاته كان « ماروى » قد اشترى نجاحه فى الانتخابات بثمن غال ، ولم يكد يطمئن الى مقعده فى الجمعية التشريعية حتى قبلت الجمعية طعنا فى صحة انتخابه ! ٠٠ ومن ثم رأى أن يسعى لتعجيل زواج « مكسيم » من ابنته ، كى يستعين بنفوذ عمه الوزير على استعادة مقعده !

* * *

◆ وأحس « مكسيم » بالحيرة حين فوتح فى الموضوع ٠٠ على أن « لويز » كانت تعجبه ، وكان صداقها مغريا ، فوافق على الموعد الذى حدده أبوه للزواج ٠٠ ولكنه ارتاب فى أن تسير الأمور وفق ما يشتهى ، فقد كان يدرك أن « رينيه » لن توافق ، ولن تتورع عن أن تثير فضيحة تذهل لها باريس ، معمل الفضائح ! ٠٠ كانت المرأة ترقبه فى غيرة جنونية ، حتى لتكاد تتراءى له ذئبة ضارية ، وحتى ليكاد يحس بمخالبها مغروسة فى لحمه ! ٠٠ وكانت نزواتها تزداد طغيانا ، وتجعله يخشى أن تجن يوما وهى فى أحضانه ٠٠ فراح يتمنى اليوم الذى يستطيع أن يتخلص فيه من هذه العاشقة الضارية !

وذات ليلة ، وجد قدميه تحملانه الى الباب الخلفى فى غير الموعد الذى حددته له ٠٠ وأرسل من بين شفتيه صفيرا خافتا ، اعتاد أن يناديها به قبل أن يلج جناحها ٠٠ وكانت - للمصادفة - ترتقب أباه فى مخدعها فى ذلك المساء ، فما أن سمعت الصفير حتى جن جنونها ، وهبطت الى الحديقة لا تسترها سوى غلالة رقيقة ، ووقفت حافية على الارض الرطبة ، وتحت البرد القارس ، تهمس فى غضب : « ما أغباك ! ٠٠ ألم أقل لك أن لا تأتى فى هذا الموعد !؟ »

ورابه أمرها ٠٠ وكان أبوه فى تلك الاثناء قد ولج المخدع ، ولمح « مكسيم » خياله وراء مصراعى النافذة ، فهتف فجأة : « ان فى مخدعك رجلا !؟ » ٠٠ ووقفا لحظة وجها لوجه ٠ كانت أسنان « رينيه » تصطك لفرط البرد والجزع ٠٠ وأحس « مكسيم » بغضب فوق ما كان يظن نفسه قادرا عليه ٠٠ وتملكه شر طاغ حبب اليه ايلامهـا ، فقال : « كان يجب أن تصارحينى ! ٠٠ كم من أناس خبا حبهم ومات ٠٠ ولكنى لن أدعك حتى تذكرى لى اسم العشيق الجديد ! »

وكان الصراع قاسيا ٠ تضرعت اليه ٠٠ بكت ٠٠ ثم خطر لها فى هزيمتها وانكسارها أن تزعم أنه مسيو « سافريه » ٠٠ واذ ذاك تحول عنها الشاب فى ازدراء ، فتشبثت بأطراف ثيابه ، ولكنه دفعها عنه فى عنف ، وانصرف !

★ ★ ★

◆ وفى اليوم التالى أحس « سكار » أن الوقت قد حان كى يضرب ضربته القاضية فى مصير أراضى (الشارون) ، فقد سنحت له فرصة كى يبتاع الوثيقةالتى تحت يد « لارسونو » بالسندات التى تحت يده من « رينيه » وكانت الطريقة سهلة : لسوف يطالبها « لارسونو » بالمبالغ التى تضمنتها السـندات ٠٠ ولسوف يعمل « سكار » على اقناعها بأن تنزل عن الاراضى فى مقابل الديون ، على أن تتقاضى فوق ذلك مائة ألف فرنك نقدا ٠٠ ثم يسعى بنفوذه لدى لجنة التعويضات لتقدر مليونين وخمسمائة ألف فرنك تعويضا عن استيلاء البلدية على تلك الاراضى للمرافق العامة ٠٠ ثم يقتسمان الغنيمة معا !

وفى تلك الليلة أقنع « سكار » ابنه بأن يعلنا موعد زفافه الى « لويز » للملأ ، فى حفلة كانت ستقام فى القصر بعد أيام ٠ وارتاح « مكسيم » الى ذلك٠ كان قد نفض يديه من « رينيه » وأسلم قياده لأبيه ، كما اعتاد أن يسلمه لامرأة أبيه ٠٠ ولكنه من ناحيته أقنع أباه بأن يبقى النبأ مكتوما حتى عن « رينيه » لتكون المفاجأة أروع ! ٠٠ وانسجم الأب والابن فى تلك الليلة كما لم ينسجما من قبل ، ووجد « سكار » نفسه يحدث ابنه عن الزواج ، ويحذره من أن يهمل زوجته كما أهمل هو « رينيه » ، والا حرم نفسه من متع لم يفطن اليها الا أخيرا ! ٠٠ وفى غمرة الثقة والزمالة اللتين شملتاهما ، صارحه بعودة العلاقات الزوجية بينه وبين «رينيه» ، ومضى يروى له مغامراته معها !٠٠ وشد ما بهت « مكسيم » حين تبين من كلام أبيه أنه كان الغريم الذى لمح خياله فى مخدع « رينيه » ليلة الامس ٠٠ وما أن افترقا ، حتى وجد قدميه تقودانه الى الباب الخلفى ، فدلف الى الحديقة ، وأرسل صفيره الخافت المعهود ٠٠ ولم يطل به الانتظار ، اذ سرعان ما وجدها تفتح له الباب وتتقدمه صاعدة السلم

الصغير المفضى الى مخدعها .. حتى اذا استقرا فيه ، خفق قلب « مكسيم » اشفاقا اذ تبين شحوب وجهها ، والوجوم الذى اعتراها ، والذبول الذى دب فى جمالها !

وأخذ « مكسيم » يسير فى الغرفة برهة وهو صامت ، يتأمل « رينيه » وقد جلست الى المدفأة لا تتمالك نفسها من الارتجاف رغم وهج النار .. ووقف أمامها أخيرا ، ثم قال فجأة : « لماذا لم تنبئينى بأن أبى هو الذى كان فى مخدعك فى تلك الليلة ؟ »

– ليس هذا بصحيح .. من الذى أنبأك ؟

– أبى نفسه .. اننى لا أفهمك .. انك امرأة غريبة ! .. كان الذنب ذنبك اذ جعلتنى أقسو عليك .. لو قلت انه كان أبى لانصرفت بهدوء ..

وانخرطت فى البكاء ، فركع أمامها .. بينما أردفت هى فى صوت خافت : « لقد خشيت أن تهجرنى لو قلت انه أبوك »

– ما أعجبك من امرأة ! .. ولكن ، لماذا اخترت اسم « سافريه » بالذات ؟

– لأنه يلاحقنى بهواه ..

وكبح « مكسيم » لسانه عن تعليق وقح .. وتحول يكلمها فى رزانة ، معربا عن أنهما يخلق بهما أن يظلا صديقين حميمين .. وكانت تنظر اليه بعينين احتقنتا لفرط البكاء .. كانت لا تزال تحبه .. وما لبث أن تهيأ للانصراف ، ولكنها استبقته لحظة لتشيد بما وجدته من عطف أبيه ومن حرصه على أن يدبر لها المال الذى مست حاجتها اليه .. ثم أخذت تفضى اليه بقصة أراضى (الشارون) . وهم « مكسيم » أن يصارحها بما اشتمه من أطماع أبيه ، وما قدرت له المصادفة أن يسمعه عن تحالفه مع « لارسونو » ، ولكنه عقل لسانه . بيد أنها أحست بغريزتها بما يخفيه ، فما زالت به حتى تكلم .. وأنصتت مبهوتة ، صامتة ، شاحبة .. حتى اذا هم بالانصراف ، صاحت فى لهجة آمرة : « أمكث ! » .. وجذبته اليها ، وألصقت شفتيها بشفتيه مغمغمة :

– ألا ترى من الحماقة أن نفترق بعد هذا ؟ .. اننى شبه مخبولة .. اننى لم أعد أقوى على الحياة بدونك !

وانطلقت ضاحكة وقد أومضت عيناها ببريق الجنون .. وضمته قائلة :

– أوترانا نرتكب خطيئة ؟ .. اننا على حب ، نستمتع بنفسينا كما يحلو لنا .. كما يحب أبوك المال ويقتنصه كلما استطاع اليه سبيلا !

★ ★ ★

◆ وفى اليوم التالى ، دلف « سكار » الى مخدع زوجته ليحملها على توقيع عقد النزول عن أراضى (الشارون) ، ولكنها أبت أن توقع ، فى اصرار كاد

يفقده السيطرة على أعصابه ! ٠٠ فانه كان قد عقد كل آماله على هذه الصفقة ، وكانت كل موارده قد نضبت ! ٠٠ على أنه تمالك نفسه ، واذ هدأ غيظه ، بدأ يرتاب في التطور الذى أصاب مسلك زوجته ، فقد كانت بالامس على استعداد للتوقيع ٠٠ ولأول مرة فطن الى أنه بات يرتاب فى أن لها عشيقا أشار عليها بذلك !

وقادته قدماه الى أخته ليستشيرها فى الامر ٠٠ وكانت المرأة قد أحنقها على « رينيه » أنها أبت أن تنصاع لاغرائها فتكون عشيقة لمسيو « سافريه » ٠٠ وفى تظاهر بالوفاء ، تعهدت لأخيها بأن تكشف سر زوجته !

الفصل السادس

◆ **كانت** الحفلة التى أقيمت فى قصر « سكار » فى مساء الخميس ، حفلة مبتكرة ٠٠ وتنازل الوزير شقيق رب البيت فشرف الحفلة لنصف ساعة ، كانت كافية لأن تحوطه بهالة من تملق علية القوم وريائهم !

وكانت مدام « سيدونى » هناك ، وكلها آذان وعيون ٠٠ وانصرف الوزير قبل ان تهبط « رينيه » ، متعللا بأن « جلائل الأعمال » ترتقبه كى يصرفها ٠٠ وخلا الجو لمجون القوم ، والتفت حول « مكسيم » حلقة أخذت تزداد ، مرسلة فى المكان ضجيجا صاخبا ضاحكا ٠٠ على ان « رينيه » **لم تكد تشرق على القوم أخيرا ، حتى أمسكوا أنفاسهم ٠٠ كانت فى ثوب جديد ، وقد تألق بهاؤها كما لم يتألق من قبل ٠ وكانت وجنتاها متوردتين ، ويداها تشعان حرارة ، وعيناها تتوهجان بحمى خفية ٠٠ وابتسمت ، وأخذت ترد التحيات والمجاملات فى اقتضاب ٠٠**

وبدأ الرقص ، ودار الشراب ٠٠ ثم دعى القوم الى مقصف، أقبلوا على أصنافه فى نهم ، وهم يعبون الخمر فى غير حساب ٠٠ وعادوا بعد ذلك الى الرقص ٠٠ رقص ماجن شاعت فيه خلاعة محمومة ٠٠ وانسحب « سكار » مع بعض الرجال الى غرفة أخرى ، ولكن مدام « سيدونى » ما لبثت ان تبعتهم

وأشارت الى أخيها ، ثم انتحت به جانبا ، وهمست : « انها لا ترقص ٠٠ وتبدو قلقة ، مستغرقة فى أفكار مهمومة ٠٠ ولكنى لم أكتشف الرجل بعد ! »

واشتدت بالراقصين حمى الهرج والمجون ٠٠ وأبت « رينيه » ان تشاركهم ٠ كانت طيلة الحفلة قلقة ، لا تكاد تستقر ٠٠ وفيما هى تجوس فى المكان على غير هدى ، صادفت زوجها وقد وقف يودع مسيو « توتان لاروش » ٠ وتقدم الأخير يحييها ويهنئها ، فابتسمت فى دهشة ٠٠ واذ ذاك قال زوجها : « ان زوجتى لم تعلم بعد ٠٠ لقد حددنا الليلة فقط موعد زفاف الآنسة « ماروى » ومكسيم »

وظلت وحيدة لحظة بعد انصرافهما ، وقد خبت ابتسامتها ، وأحست برعدة عنيفة تستبد بها ٠٠ وكان صخب الراقصين قد بلغ أشده ، حين وقفت بباب القاعة ، وعضت شفتيها وهى ترى فى هرجهم لونا من السخف لم يرق لها ٠٠ ثم سارت بخطى سريعة تبحث عن « مكسيم » و « لويز » ٠٠ لكنها لم تجد لهما اثرا ، فزادها هذا جدا فى البحث عنهما !٠٠ وبعث صخب الراقصين فى أعصابها اضطرابا ما بعده اضطراب ٠٠ وأخيرا ٠٠ عثرت على ضالتيها فى قاعة الطعام بين أكوام الزجاجات والصحاف ، وقد راحا يأكلان ويشربان ويضحكان ، وكأنهما بمعزل عن العالم !

وسارت « رينيه » الى المائدة ، وهى تجاهد فى عناء كى لا تنقض على الحدباء التى استأثرت دونها بحبيبها ٠٠ وقالت له فى صوت أجش : « أريد ان أتحدث اليك ٠٠ على انفراد ٠٠ وفى الحال ! »

وبدا خائفا ، لكنه لم يملك سوى ان يستأذن من « لويز » ٠٠ وسار خلف « رينيه » صاعدا الى مخدعها ٠ وفى اللحظة التى بلغا فيها قمة السلم ، لمحت مدام « سيدونى » طرف

ثوب « رينيه » ـ وان لم تلمح من الرجل سوى ساقيه ! ـ فأسرعت الى أخيها ..

★ ★ ★

◆ **وكانت** الفوضى تسـود مخدع « رينيه » .. وما ان جلس الشاب ، حتى وقفت المرأة أمامه وقالت فى صـوت خافت : « اذن .. فستتزوج من تلك الحدباء ؟! »

وازعجته لهجتها ، فاستمد من نفسه جـرأة ليحسم نهاية علاقتهما ، وقال : « وماذا فى ذلك ؟ .. ألست سيد نفسى ؟ » .. فازدادت منه اقترابا ، وأمسكت برسغيه قائلة : « سيد نفسك ؟ .. انك تعرف من السيد ! .. أنا صاحبة السلطان عليك .. بوسعى ان اكسر ذراعيك ، فاننى أقوى منك ! »

وحاول ان يتملص ، لـكنها شدت على ذراعه ، فأرسل صرخة خافتة .. واذ ذاك افلتت يديه .. فتولاه شحوب وهو يتحسس رسغيه ، بينما استطردت هى : « لسوف أحبسك هنا ، وما ان يشرق الصباح ، حتى نشرع فى الرحيل الى انجلترا ! »

فازداد الفتى شحوبا ، وصرخ : « هذا جنون ! »

ـ ربما .. لكنك أنت وأباك اللذين قدتمانى اليه ! .. اننى اريدك ، وسوف أستأثر بك لنفسى .. والا فماذا عساه يصيبنى اذا تزوجت من تلك الفتاة ؟ .. ان الناس اذا فعلوا ما فعلته واياك ، ظلوا دائما على هذا الوضع !

ـ لا تكونى حمقاء يا رينيه .. فكرى فى الفضيحة !

ـ وما الذى يهمنى ؟ .. اذا رفضت اقـتراحى فسأهبط الى القاعة وأصرخ فى القوم معلنة انك عشيقى ، وان النـذالة قد سولت لك ان لا تتورع عن الزواج من تلك الحدباء !

ورضخ لها ، فمضت تقول : « سنفر الى انجلترا ، فاذا لم يكف هذا ، فسنرحل الى أمريكا ! »

واشتد بمكسيم الذعر .. ان من الجنون ان يخلف باريس ويذهب مع هذه المرأة الى الخارج، تاركين الفضيحة وراءهما !.. فقال محاولا ان يهدئها : « ولكننا لا نملك مالا ! »

ـ لدى .. مائة ألف فرنك ..

وأخرجت من احد أدراجها العقد الذى أرادها زوجها على ان توقعه متنازلة عن أراضى (الشارون) ، وبادرت تذيله بتوقيعها قائلة : « اذا كان لا بد من ان ينهبنى ، فلينهبنى بمزاجى وارادتى !.. لسوف نمر بلارسونو فى طريقنا الى المحطة فنعطيه هذا العقد ونحصل على المبلغ ! »

وعاودها ابتهاجها ، وكأنما أطربتها هذه الفكرة الجنونية .. فأقبلت عليه تحتضنه : « يا حبيبى المسكين .. هل آلمتك ؟! »

وصدرت من جهة الباب اذ ذاك حـــركة ، فالتفتا .. واذا « سكار » على عتبة الغرفة !.. وساد المكان صمت رهيب ، وقد حملقت المرأة فى زوجها بعينين جامدتين .. بينما ترنح الشاب .. وسمر الأب الزوج فى مكانه مشدوها ، مضعضع الحواس ، يرمقهما بنظرات من لهب .. ثم انفجر غيظه فتقدم وكأنه يوشك ان ينقض عليهما ويبطش بهما .. فتمتم مكسيم متلعثما : « انها .. هى .. »

كان يهم بأن يلقى التبعة عليها ، كطفل جبان .. وفجأة ، وقعت عينا « سكار » على عقد التنازل حيث تركته « رينيه » فوق المنضدة .. فتأمله ، وتطلع الى الخاطئين .. ثم انحنى وتحقق من التوقيع .. وبدا كأن الصمت قد اشتدت وطأته ، واستطال لهب الشموع .. وما لبث « سكار » ان هز كتفيه فى عدم اكتراث ، وتناول العقد فطواه ودسه فى جيبه ، وقال بهدوء :

ـ أحسنت اذ وقعت التنازل يا عزيزتى .. سـأعطيك الليلة المائة ألف فرنك

وعلى الرغم من شحوبه فانه حاول ان يبتسم .. وقال :

« ان الدفء هنا يكاد يزهق الانفاس ! » •• ثم التفت الى مكسيم الذى كان مذهولا للتبدل الذى طرأ على أبيه ، واستطرد : « هيا بنا •• لقد جئت أبحث عنك لتودع مسيو ماروى وابنته •• »

★ ★ ★

◆ **وهبط** الرجلان ، وكأن لم يكن بينهما شيء ! •• وظلت « رينيه » ترقبهما حتى اختفيا فى هدوء وود •• لم يقتل أحدهما الآخر •• واسدل الستار على المسرحية •• على الجريمة ! •• ان هذا الغرام اللعين الذى ظل يكويها شهورا قد انتهى ازرى وأخس نهاية ! •• لقد عرف زوجها كل شيء ، ولم يصرعها ! •• وأحست بخوف من السكون الوادع الذى كان يحيط بها •• ووقفت تتأمل شكلها فى المرآة •• كأنما هبط على جمالها ستار من الجهامة والكآبة •• وأحست بعار وخجل من نفسها ، وأفعم مشاعرها غضب انبعث عن كراهية واحتقار لجسدها •• وتذكرت فكرة الجنون •• وراحت تستعرض ـ فى حنين مفاجيء ـ طفولتها ، وصباها •• فأخذت مناظر حياتها تترى أمام عينيها : شهدت ذلك الشعر الذهبى ، وذاك الجسد اللدن البض ، ينموان شيئا فشيئا •• وفى جوفهما بذور مسمومة كانت تنمو معهما ، وتسمم دمها ! •• **ثم رأت « نفسها » تتعرى •• فمن الذى عراها ؟ •• وتصورت فى المرآة على الضوء الخافت انها ترى شبحين ينبعثان كالضباب : « سكار » و « مكسيم » •• « سكار » يبتسم فى سخرية وقسوة ، وكأنه حداد ! لقد ظلت تراه عشر سنوات أمام السندان ، يطرق ، ويطرق •• غير حافل بأن يحطم نفسه، فى سبيل الوصول الى ثروة هائلة ، سريعة التكدس!•• وتذكرت كيف قفز فوق العقبات ، وتمرغ فى الوحل ، ليصل الى غايته فى الموعد المناسب ••**

ثم ، « مكسيم » •• الرأس الصغير الجميل ، يحمل تلك

الابتسامة الخليعة ، الماجنة ٠٠ وتصورته يضحك من أبيه الذى يضنى نفسه فى جمع المال ، لينفقه هو فى خلاعته الماجنة !٠٠ ان كل ما فيه ينضح بالرذيلة ٠ وخيل اليها انها ترى « سكار » يلقى بها وكأنها قطعة نقود يقامر بها ٠٠ ورأت « مكسيم » ينحنى فيلتقط قطعة النقود هذه ٠٠ لقد ظلت دائما « رصيدا » فى حافظة نقود زوجها ! كان يصهرها فى نار اطماعه ليكسو بها الحديد الذى يطرقه حتى يبدو كالذهب !٠٠ وهكذا ساقها الأب الى الجنون الذى جعلها تشتهى قبلات الابن ٠٠ لقد تبينت الآن انهما جرداها من ثيابها ، وكشفاها عارية ! ٠٠ ولم يقولا انها عارية ، وانما ارتجف الابن فرقا وقد جبن ازاء فكرة المضى فى جريمته حتى نهايتها ٠٠ وتركها الأب بدلا من أن يقتلها ٠٠ ثم ٠٠ غاب الشبحان من المرآة وغاصا فى الظلام ٠٠ لم يخلفا قطرة دم ، ولا صرخة ، ولا أنينا !

وأمضها أن تخال نفسها عارية ، فأغمضت عينيها ٠٠ وخيل اليها أنها تحلم بتمزيق هذا الفراش الذى ضمها ومكسيم ، وشهد زلتها وعارها ٠٠ وعندما فتحت عينيها ، تقدمت من المرآة تتفرس فى صورتها ، فرأت كأنها تنظر الى ميتة !٠٠ كل جارحة كانت تنبئها بأن انهيار عقلها قد أوشك ٠٠ لقد استل « مكسيم » آخر قطرة من حواسها ، وأنهك بدنها ٠٠ لم تبق لها متع تتذوقها ، ولا أمل فى بعث جديد ! ٠٠ واتقد فى أعماقها سخط أهوج ٠٠ وفى صحوة شهواتها ، خيل اليها انها تستعيد فريستها ، فطرحت على جسدها معطفا من الفراء يستر عريها الموهوم ، وهبطت السلم الى حيث كان المدعوون ما يزالون يصخبون ٠٠

والتقت بمدام « سيدونى » فى قاعة الجلوس الصغرى ، فصفعتها قائلة فى غضب : « أتتجسسين على ؟ » ٠٠ ولم تحفل بسماع ما انطلقت تجيب به ، بل ولجت قاعة الجلوس الكبرى ،

وسارت بين أجساد الراقصين المتعانقة ، حتى بلغت البهو فرأت « لويز » وأباها ، وقد وقف « سكار » و « مكسيم » يودعانهما ٠٠ ورأت « مكسيم » يحكم ربط وشاح حول رأس « لويز » ٠٠ وتريث الأب وابنته اذ رأياها ليحيياها ٠٠ وبينما كان « ماروى » يصافح الرجلين ، انحنت « رينيه » على اذن « لويز » هامسة : « ما أراك ستتزوجين منه ! ٠٠ هذا مستحيل ٠٠ انك تعلمين ٠٠ »

فقاطعتها الفتاة هامسة : « لا عليك ٠٠ سنذهب الى ايطاليا ٠٠ حيث ينسى »

واذ انصرفت مع أبيها ، نظرت « رينيه » الى زوجها ، ثم الى « مكسيم » ، بعينين مرتاعتين ٠٠ فلما رأت هدوءهما واطمئنانهما ، دفنت وجهها فى راحتيها ، وهرعت تلوذ بالحديقة المظلمة ٠٠

الفصل السابع

◆ أفلحت خطة « سكار » واستطاع أن ينتزع من أراضى « الشارون » ثروة جديدة ٠٠ أما «رينيه» ، فكانت تعانى فيضا متلاحقا من الاحزان ٠٠ فلقد ماتت عمتها ، وتزوجت أختها وغادرت قصر «بيرو» ، وظل ابوها وحيدا فى القصر المعتم القديم ٠٠ ولقد تعلمت المقامرة ، وجربت ادمان الخمر ، ولكنها أحست نحوهما بتقزز لا قبل لها به ! ٠٠ غير أنها كانت وحيدة ، فأخذت تجرب كل حيلة لقتل الوحدة والسأم ٠٠ لقد تذوقت كل شيء ، ولكن شيئا لم يقو على انتزاعها من همومها !

وانحدرت صحتها ، حتى غدت كالمكتهلة ٠٠ واحاطت بعينيها هالات زرقاء ٠ أصبحت ٠٠ حطام امرأة ! ٠٠ ولم تعد تفكر فى عشيقها مذ رحل مع عروسه الى ايطاليا ، بل خيل اليها انها نسيته تماما ٠٠ حتى اذا عاد بعد ستة شهور وقد دفن عروسه فى مقبرة احدى مدن «لومباردى» الصغيرة ، شعرت نحوه بكراهية مفاجئة !٠٠ ولكى تتفادى اى لقاء به فى دارها فى المستقبل ، راحت توغر صدر أبيه عليه ، حتى أقنعته بأنه الذى كان يطاردها ويحاول اغتصابها ليلة فاجأهما فى مخدعها ٠٠ فتشاجر الاب مع ابنه وقاطعه ! واحست «رينيه» بارتياح اذ انتقمت من الوجهين اللذين لاحا لها فى المرآة فى تلك الليلة المشئومة ، وفرقت بينهما ، فلن يعودا يجتمعان ليسخرا منها !

ولكنها ظلت وحيدة ! ·· وذات يوم خرجت الى الغابة تحاول أن تسرى عن نفسها كما اعتادت فيما مضى ·· كان علية القوم هناك ، على صهوات جيادهم أو راجلين ·· وكانت السيدات فى عرباتهن ·· الكل يتبادلون التحيات ، والأحاديث ، والضحكات ·· وهى وحيدة ، منزوية فى ركن عربتها ! ·· وحانت منها التفاتة ، فاذا برجلين يتنزهان : «اسكار» و «مكسيم» ، وقد تأبط كل ذراع صاحبه ·· وسمعت الاب يقول لابنه الذى ورث صداق زوجته :

ـ ان رجلا مثلك لايبقى على مال أوتيه ، والاستثمار هو أسلم سبيل للاحتفاظ بثروتك ·· هاتها أستثمرها لك فى الاعمال المربحة ··

ودست وجهها فى ركن العربة اذ رأتهما يقفان ليشعلا سيجاريهما ، ثم عاد الاب يقول : «اتفقنا ؟·· احضر لى غدا مائة الف فرنك» ·· فقال «مكسيم» : « ولكنك تعرف أننى لم أعد ألج دارك ! »

ـ هراء !·· لقد آن ان نضع حدا لذلك ··

وظلت منكمشة حتى ابتعدا ، ثم مالت نحو الحوذى وأمرته ان يمضى بها الى قصر أبيها ·· وهناك راحت تجوس خلال الحديقة ، وقد أرسلت رطوبة الجو فى نفسها انتعاشا ·· ومضت تتذكر ايام الصبا ·· ثم صعدت السلم فى صمت فرأت أباها فى الطرف الاقصى من القاعة الفسيحة ، يسير فى عتمة البيت الكبير ، وتلك العزلة الابية التى اعتصم بها منذ موت أخته ·· وتحولت رينيه الى سلم الخدم ، فصعدت الى حجرة الاطفال ·· الحجرة التى كانت لها ولأختها·· لشد ما بدت لها حزينة ! ·· وأحست بألم يعتصر قلبها اذ رأتها مهجورة ، مغبرة ، ساكنة ·· واغلقت الباب خلفها وقد خيل اليها انه المنفذ الذى انسابت منه أفراح الطفولة ومباهجها ، الى غير رجعة !·· وفى أحد الاركان ، وجدت دمية من دماها القديمة ، وقد تآكلت لفرط القدم ، وان ظلت على شفتيها الجامدتين ابتسامة !·· وأحست بأنها تختنق ، ففتحت النافذة ، وأطلت على الخلاء الفسيح ·· ووجدت فيه ثانية المباهج الخالدة ·· وجدت فيه الفضاء ذا الشباب السرمدى !·· واثلج صدرها ان تراءى لها وسط المنظر الفاتن ، نهر «السين» الجبار ينحدر من وراء حافة الافق ·· وتذكرت شغفها بالنهر ، ووسوسة مياهه ·· ورفعت عينيها فرأت قبة السماء الشاسعة ، تنزوى رويدا فى أكناف الظلام الزاحف ·· وعادت تنظر الى الافق ·· أفق طفولتها الوادع ·· فهفت نفسها الى الدعة ، والطمأنينة ، والسلام ·· وضمت راحتيها الى صدرها·· وبكت !

وفى الشتاء التالى ·· ماتت «رينيه» !

عندما ترفع الستار..



روائع المسرح العالمي
(التمثيلي... والغنائي)

عزيزي القارىء :

قدمت لك في هذا الباب في الاعداد الماضية المسرحيات العالمية الآتية :

• خطايا الحب : لأوسكار وايلد • نزاهة الحكم : جوجول • سلاح المرأة : اريستوفان • فولبون : بن جونسون • جيوكندا : دانونزيو • كلام الناس : جوزيه أشيجاراى • مدرسة الفضائح : شيريدان • سيرانو دى برجراك : روستان • لعبة الحب والموت : رومان رولان • مروحة الليدى وندرمير : وايلد • فاوست : جيته • أوديب الملك : سوفوكل • في سبيل الحب : جون درايدن • وليم تل : شيللر • الام : مكسيم جوركى • الملك يلهو : فيكتور هوجو • الجنس الآلى : كاريل كابيك • الابن الاكبر : جالزوورثى • هرنانى : فيكتور هوجو • ترويض النمرة : شكسبير • الحياة نفاق : لويجى بيراندللو • أغلال الحب : ستيف باسير • المنافق (طرطوف) : موليير • بيت الليل : تيرى مونييه • علموهم الحب : روجيه فردينان • زوج مثالى : أوسكار وايلد • سالومى : أوسكار وايلد • مدرسة الارامل : جان كوكتو • برهان الحب : جان أنوى • لوسيد : بيير كورنى • كيف نقع في حبائلهن : بروفانس • أحزان هان

واليوم ، تقرأ هذه المسرحية الخالدة للاديب البلجيكى « موريس مترلينك »



قصة تمثيلية كبرى

"پلياس" و"ميليزاند"

للأديب البلجيكي الأشهر "موريس مترلينك"

٢١٤٦

« شكسبير » بلجيكا !

◆ منذ كتب شكسبير مأساته الشعرية الخالدة : « روميو وجولييت » ، لم يوفق أديب فى تصوير سمو الحب العذرى ، وروعة الهوى الطاهر ، الذى لايهبط الى مستوى الدنس ، مثلما وفق أديب بلجيكا الكبير المعاصر « موريس مترلينك » فى هذه المأساة الشاعرية التى كتبها منذ ثلاثة وستين عاما ، فدخلت من فورها فى عداد الروائع الكلاسيكية ٠٠ ومثلت على أكبر مسارح العالم بنجاح كبير ٠٠ ثم اقتبست منها « أوبرا » مشهورة وضع ألحانها الموسيقى الفرنسى « ديبوسى »

وقد ولد الشاعر ، والكاتب المسرحى ، والفيلسـوف البلجيكى « موريس مترلينك » فى بلدة (جنت) فى عام ١٨٦٢ ٠٠ ثم تلقى عـلومه فى مدارس اليسوعيين - « الجزويت » - وفى عام ١٨٨٧ قيد اسمه فى جدول المحامين ٠٠ لكنه لم يلبث أن تحول عن القانون الى الادب ، فكتب عدة دواوين من الشعر الرقيق ، وعدة مجلدات من النثر البليغ ٠٠ ثم « كهرب » العالم ذات يوم بمذهبه الجديد فى التأليف للمسرح ، المذهب الذى يجعل حوادث المأساة التمثيلية تدور فى داخل « النفس » أكثر مما تدور خارجها ٠٠ والمذهب الذى يؤمن بأن العنصر المفجع فى الحياة يبدأ حيث تختفى منها المغامرات ، والأحزان . والمخاطر !

فمآسى « مترلينك » انما تعتمد على « حركات » النفس أكثر من اعتمادها على حركات الجسم ! ٠٠ وهذه النزعة تتمثل كأجمل ما تكون فى الكثير من مسرحياته ، وعلى الاخص : الاعمى ، موت « تنتاجيل » ، الاخت « بياتريس » ، « أجلافين » و « سيليست » ، قوة الموتى ، « مونا فانا » ، العصفور الازرق ، ثم « بلياس » و « ميليزاند » ٠٠ أما كتاباته النثرية ، التى يرى البعض أنها تفوق فى الروعة مسرحياته الشعرية ، فمن أشهرها : كنز المتواضع ، الحكمة والقدر ، حيـاة النمل ، ذكاء الازهار ، الضيف المجهول ٠٠

مسرحية غير عادية !

◆ والمسرحية التى أقدمها اليك فيما يلى تتميز بطابع غير مالوف : فأشخاصها يروحون ويجيئون كالمخلوقات التى نراها فى الاحلام ! ٠٠ عباراتهم غامضة ، مترددة ، رمزية ، ناقصة ٠٠ وقد نسج المؤلف نقابا من الخفاء والغموض بين شخصياته وبين جمهور النظارة ٠ ومن خلال هذا النقاب نرى كآبة أحـداث القصة ، لكننا لا نحس بأشجانها ! ٠٠ ونشهد آلام أبطالها كما لو كانت آلاما مجردة تصيب عرائس ودمى جامدة خرساء ، لا يدب فيها دبيب الحياة ! ٠٠ أو

بعبارة أخرى ، نشهد مأساة عالم آخر يختلف عن عالمنا .. وهكذا نستطيع أن ننظر الى مأساة «بلياس» و «ميليزاند» بنفس الطريقة التى يقال ان آلهة الاغريق القدماء كانوا ينظرون بها الى مأساة الحياة البشرية : باعتبارها شيئا ينطوى على جمال «فلسفى» ، وعواطف زائلة ! .. ونحن نستمتع بهذا الجمال الفلسفى منذ المنظر الأول لهذه المسرحية ، وهو منظر رمزى ، مثل جميع مناظرها وفصولها ..

فتعال نحضرها ونعيش فى جوها ، فى الصفحات التالية :



موريس مترلينك

- ١ -

◆ ترفع الستار ، فاذا نحن فى قصر خيالى ، فى بلاد خيالية .. واذا الخادمات منهمكات فى غسل درجات السلم العريض ، وبوابة القصر ، وعتبته .. لكن حارس الباب يسخر منهن هامسا : « اغسلن ، واصببن الماء .. أصببن كل مياه الفيضان .. لكنكن لن تستطعن غسل قاذورات هذا القصر ! »

ونعرف أن القصر المذكور يخص ملك البلاد ، المدعو «آركل» .. ونشهد حفيد الملك ، الامير « جولو » ، يخرج ليتنزه فى الغابة .. وهناك ، عند حافة نبع ، يلمح حسناء تدعى «ميليزاند» فلا يكاد يقترب منها حتى توقفه صائحة :

ميليزاند : لا تلمسنى ! .. والا ألقيت بنفسى الى الماء !

جولو : لن ألمسك .. لا تخافى .. هل ألحق بك أحد أذى من قبل ؟

ميليزاند : نعم !
جولو : من الذى أصابك بأذى ؟
ميليزاند : الجميع ! كل انسان !
جولو : من أين جئت ؟
ميليزاند : جئت من مكان بعيد .. ضللت طريقى
جولو : وهل غادرت بيتك منذ أمد بعيد ؟
ميليزاند : نعم .. نعم .. ولكن من أنت ؟
جولو : انى الامير «جولو»
ميليزاند : ان لك شعرا أشيب ، فى عارضيك ولحيتك !
جولو : وأنت شابة ، وحسناء .. ما اسمك ؟
ميليزاند : ميليزاند
جولو : تعالى معى ، ياميليزاند
ميليزاند : الى أين ؟
جولو : لست أدرى ! .. فأنا أيضا .. ضللت طريقى !

- ٢ -

◆ **ويصطحبها** « جولو » الى القصر الموحش ، قصر جده الملك « آركل » ، حيث تخيم عتمة الغسق بين جدرانه ، وحيث يعيش قاطنوه حياة كئيبة ، بقلوب مثقلة ـ أو على حد تعبير الملك المسن : « اننا لا نرى البتة غير خيبة أقدارنا ، ولا نحصل قط على ما نشتهى .. ومع ذلك ، فان أى شىء يحدث قد يكون صوابا فى النهاية ! »

ونعلم أن لجولو ابنا صغيرا ، من زوجة سابقة ، يدعى «أينيولد» .. ثم نرى الاب يتزوج ـ للمرة الثانية ـ من ميليزاند، رغم جهله التام بكل شىء يتصل بماضيها ! .. فهو يصارح أخاه الاصغر « بلياس » الذى يقطن معه فى القصر : « لست أعرف سنها ، ولا من تكون ، أو من أين جاءت ! .. ولا أجرؤ على استجوابها ، فان ذلك كفيل بأن يدخل الرعب الى قلبها ! »

ولا يجرؤ « بلياس » بدوره على استجواب زوجة أخيه ، رغم أن رباطا من الود والتفاهم قد بدأ ينسجه بين قلبيهما شبابهما المشترك ! ٠٠ ولا يلبث هذا التفاهم المتبادل أن ينضج ، ويتطور الى حب ! ٠٠ فيفكر الفتى فى أن ينأى بنفسه عن الفتنة فيغادر القصر ، سيما وهو قد تلقى رسالة من صديقه « مارسيللاس » ينبئه فيها بأنه يحتضر ، وانه يريد أن يراه قبل أن يموت ٠٠ لكن الجد ـ الملك آركل ـ يذكره بالاعتبارات العديدة التى تستوجب بقاءه :

الملك آركل : ينبغى أن تنتظر بعض الوقت ، فان أباك الذى يرقد فى الحجرة العليا يعانى بدوره سكرات الموت ٠٠ فهل تؤثر صديقك على أبيك ؟

وبينما الفتى فى غمرة الصراع مع نفسه ، يخرج ليمشى فى الغابة التى تحف بشاطىء البحر ، بالقرب من القصر ، وقد ران الضباب على سطح المياه ٠٠ وهناك يلتقى بميليزاند :

ميليزاند : ما أشد كآبة الجو هنا ٠٠

بلياس : نعم ، سوف تهب عاصفة الليلة ، فمنذ أيام ونحن نعانى وطأة العواصف كل ليلة !

ميليزاند : لعل الضباب أن ينحسر بعد قليل ٠٠

بلياس : دعينى أتأبط ذراعك ٠٠ ان الطريق منحدر وخطر ٠٠ انى راحل من هنا ، ربما غدا !

ميليزاند : أوه ! ٠٠ ولم ترحل ؟

ويسفر أساها على وجهها ، فيفضح خبيئة قلبها !

- ٣ -

◆ **لكن** صلتهما « البريئة » تستمر فى الايام التالية ، فيلتقيان مرة أخرى عند حافة نبع مهجور فى الحديقة :

بلياس : هذا النبع أعجوبة ٠٠ يقال ان ماءه يرد البصرالى



العميـــان ، ولذلك أطلقوا عليه « بئر الاعمى » !

ميليزاند : أو لم يعد يشفى أعين العميان ؟

بلياس : لم يعـــد يحضر الى هنا أحد ..

وهناتمضى ميليزاندالى حافة البئر ، وتبدأ فى العبث بخاتم زواجها :

بلياس : حذار ! .. ســوف يسقط منك !؟

ميليزاند : لا تخف .. انى واثقة من اتزان يدى ..

لكنها تفقد الخاتم بالفعل .. يسقط منها فى البئر ، ويغوص الى الاعماق !

ميليزاند : لقد ألقيت به الى أعلى ، بكل قوتى ، نحـــو الشمس ..

بلياس : وماذا عسانا ان نقول لجولو حين يسأل عنه ؟!

ميليزاند : نذكر له الحقيقة !

ولكن حين يسأل « جولو » زوجته عن الخاتم ، تخشى أن تصارحه بالحقيقة ، فتجيبه كاذبة :

ميليزاند : لقد سقط منى على شاطىء البحر .. لــكنى أعرف مكانه

جولو : ينبغى اذن أن تذهبى فتعثرى عليه ، قبل أن يطغى المد !

ميليزاند : لست أجرؤ على الذهاب بمفردى

جولو : اسألى « بلياس » أن يذهب معك ٠٠

ميليزاند : بلياس ؟ مع بلياس؟ ٠٠ أوه ، لكم أنا شقية ، لكم أنا شقية !

- ٤ -

◆ **ويموت** صديق « بلياس » المدعو « مارسيللاس » فيود الاول أن يزور قبره ، لكن جده « آركل » ما يزال يلح عليه بالبقاء :

آركل : ان أباك ما يزال مريضا ٠٠ فلتنتظر على الاقل حتى نعرف ما ستتمخض عنه الايام

بلياس : كم من الزمن يجب أن أنتظر ؟

آركل : بضعة أسابيع ، وربما بضعة أيام فقط !

بلياس : سأنتظر ٠٠

وهكذا تفشل - مرة أخرى - محاولة بلياس أن ينجو بنفسه من الفتنة ! ٠٠ وذات يوم ، تقف ميليزاند امام نافذة احدأبراج القصر ، تمشط شعرها الطويل الفاتن وتغنى : « شعرى يتساقط كالزبد ، من البرج ٠٠ انه ينتظر قدومك ، هذه الساعة الطويلة ، التى لا تنتهى ! »

ويدخل بلياس ، ويلمحها عند النافذة :

بلياس : ماذا تفعلين هنا يا ميليزاند ؟ تغنين فى ضراوة ، كعصفور من بلاد غريبة ؟!

ميليزاند : انى أصفف شعرى لسهرة الليلة ٠٠ لقد فتحت النافذة ٠٠ ان الطقس بارد فى الخارج ٠٠ بارد وجميل !

بلياس : انى لم أر قط مثل هذا العدد من النجوم ! اتكئى الى الامام ياميليزاند ، كى انظر الى شعرك المرسل ٠٠ أطلى الى الخارج ودعينى ألمس يدك ، فانى راحل فى الغد !

ميليزاند : لئن ذهبت ٠٠ فلن أعطيك يدى ٠٠ هلا بقيت ؟

بلياس : سأبقى !

وتطل ميليزاند من النافذة ، وفيما هما يحاولان ان يتلامسا بالأيدى ، يسقط شعر الفتاة الطويل عليه ، كالشلال ! ٠٠ فيغمغم : « خصلاتك كلها يا ميليزاند قد سقطت على ٠ انى أمسك بها فى يدى ، ووجهى يستحم فى أمواجها ! ٠٠ انها عذبة ، عذبة كما لو كانت سقطت هكذا من السماء ٠٠ انك اسيرتى الليلة يا ميليزاند ، طول الليل ٠٠ طول الليل ! »

ميليزاند : دعنى أذهب يا بليـاس ٠٠ انى أسمع خطوات تقـترب ٠٠ دعنى أرفع رأسى ٠٠ أخشى ان يكون القـادم « جولو » !

ويدخل جولو ، فيرقبهما لحظات ٠٠ ثم يحدث نفسـه وهو يهز رأسه فى حزن : « انكما ما تزالان طفلين ٠٠ كلاكما طفل ٠٠ ولكن حذار ان تلعبا فى الظلام ٠٠ يا لكما من طفلين ٠٠ طفلين غريبى الأطوار ! »

- ٥ -

• **فاذا** كان المشـهد التالى رأينا « جولو » و « بلياس » يسيران فى اقبية القصر السفلى الواقعة تحت مستوى الارض ٠٠ لقد سأل جولو أخاه الأصغر أن يحضر كى يريه « بركة » خفية تتصاعد منها أبخرة سامة مميتة ، ثم نسمعه يناشده : « كن حذرا يا بلياس ٠٠ لا تقترب من البركة أكثر مما ينبغى ، فان خطوة واحدة أخرى قد تفقدك حياتك ! »

ثم يعودان ، سالمين ! ٠٠ فاذا كان المشـهد التالى رأينـا جولو يتحدث الى ابنه الصغير « اينيولد » تحت الجدار الخارجى للقصر :

جولو : أصغ الى يا اينيولد ، نحن نجلس تحت نافذة أمك الجديدة مباشرة ٠٠ قل لى يا اينيولد ، هل تراها كثيرا مع عمك « بلياس » ؟

اينيولد : نعم ، نعم ياأبى ٠٠ انها دائما معه ، حين لا تكون أنت موجودا ٠٠

جولو : وهل يتشاجران ؟

اينيولد : ليس كثيرا ٠٠ لكنهما يبكيان ٠٠ انهما يبدوان خائفين

جولو : خائفين ؟ مم ؟

اينيولد : لا أعرف يا أبى

جولو : قل لى يا اينيولد ، وهل يتبادلان القبل ؟

اينيولد : القبل ؟ كلا ٠٠ اوه ، نعم يا أبى ، حدث ذلك مرة ٠٠ حين كانت السماء تمطر

جولو : كيف كانا يفعلان ؟

اينيولد : هكذا يا أبى **(يقبـــل أباه ، ثم يضحك)** ٠٠ لحيتك يا أبى ، انها تخزنى ٠٠ ما أفظع ما تؤلمنى !

جولو : هل تود ان ترى أمك الصغيرة يا اينيولد ؟

اينيولد : نعم ، نعم ، أود ان أراها !

جولو : حسنا ، سأرفعك على ذراعى الى النافذة ، وعندئذ تستطيع أن ترى كل شىء ٠٠ ان النافذة عالية بالنسبة لى ، رغم طول قامتى ٠٠**(يرفع الطفل)** ٠٠ انظر يا اينيولد ، واخبرنى بما ترى ٠٠ ولكن لا تحدث أى ضجيج ٠٠ لاتزعج أماه

اينيولد : هاهى أمى فى الحجرة ٠٠ وعمى بلياس

جولو : هل هما بجوار الفراش ؟

اينيولد : الفراش ؟ ٠٠ لست أرى الفراش

جولو : ماذا يفعلان ؟

اينيولد : انهما واقفان ينظر كلاهما للآخر ٠٠ انى خائف يا أبى ٠٠ انهما لا يغمضان أعينهما أبدا !٠٠ انزلنى يا أبتاه ٠٠ لشد ما أنا خائف !

- ٦ -

◆ **فاذا** كان المشهد التالى فنحن فى جناح الملك بالقصر ، ونسمع الملك « آركل » يقول لميليزاند ان ابنه ـ والد زوجها وبلياس ـ قد عوفى من مرضه :

الملك آركل : الآن نستطيع أن نستمتع بشىء من المرح فى القصر ٠٠ تعالى يا ميليزاند ، دعينى أقبلك ٠٠ لكم كنت أرثى لحالك طيلة الشهور الماضية !

ويدخل « جولو » ، فاذا جبهته مخضبة بالدم ٠٠ ويوضح الأمر لهم : « انه مجرد خدش » من الاشجار الشائكة ٠٠ ويستبد الجزع بزوجته فتعرض أن تغسل الجرح وتربطه ، لكنه يزيحها عنه فى خشونة ٠٠ واذ يحاول «آركل» التدخل لصالحها تثور ثائرة الزوج فيجذبها من شعرها ويدفعها نحو الارض : « اركعى على ركبتيك ! ان شعرك الطويل قد بات يصلح لشىء ، آخر الامر ٠٠ الى اليمين !٠٠ الى الشمال !٠٠ الى الشمال !٠٠ الى اليمين !٠٠ الى الارض !٠٠ قلت لك اركعى على ركبتيك ! »

آركل : ماذا يغضبه ؟

ميليزاند : لقد كف عن حبى ٠٠ انى تعسة ٠٠ تعسة للغاية !

آركل : لو كنت الها ، لأدركتنى الشفقة على القلب البشرى !

★ ★ ★

◆ **وأخيرا** استقر رأى بلياس نهائيا على الرحيل ٠٠ وضرب لميليزاند موعدا للوداع بجوار النبع فى الغابة ٠ وهنا ، للمرة الاولى ، يتكاشفان صراحة بحبهما المتبادل !٠٠ وتنسيهما النشوة مرور الوقت فيظلان يتسكعان حول النبع حتى يتنبها فاذا أوان العودة الى القصر قد فات ، فانهما يسمعان صليل سلاسل بوابات القصر تغلق دونهما !

بلياس : لن نستطيع العودة الآن !

ميليزاند : هذا أفضل !

بلياس : فقدنا كل شىء !٠٠ بل غنمنا كل شىء !

ويتعانقان ٠٠ وانهما لفى احضان احـــدهما الآخر ، اذا بهما يسمعان تكسر الاوراق الجافة تحت أقدام شخص يقترب ٠٠ انه « جولو » ، الذى كان يراقبهما ويتجسس عليهما !

بلياس : لقد رأى كل شىء !٠٠ انه سوف يقتلنا !

ميليزاند : هذا أفضل !

بلياس : انه قادم ! ٠٠ اسرعى ، شفتيك !

ميليزاند : نعم !٠٠ نعم !

بلياس : النجوم تتساقط !

ميليزاند : على أنا أيضا ! على أنا أيضا !

ويندفع جولو نحوهما ، ويغمد سيفه فى شقيقه ٠٠ فيسقط بلياس على حافة النبع ، بينما تلوذ ميليزاند بالفرار خلال الغابة ٠٠ و « جولو » فى اثرها !

- ٧ -

◆ **فاذا** كان الفصل التالى ، رأينا خدم القصر يتحدثون عن المأساة :

ـ لقد وجدا كلاهما طريحين على الارض أمام بوابة القصر، « جولو » و « ميليزاند »

ـ كانت الاميرة شبه ميتة ، وجولو مضطجعا وجنبه مطعون بسيفه الخاص !

ـ عجبا ! ٠٠ لكنه يتماثل للشفاء ، أما هى فتحتضر ٠٠ مع أنه هو المصاب بجرح بالغ ، فى حين أن ميليزاند لا يكاد يوجد بها غير اثر لخدش بسيط !

ـ ليس معقولا ان « جولو » قد طعن نفسه ٠٠ انه أكبر من ذلك !

ـ الأمر الذى يدعو للحسرة انها قد وضعت طفلتها منذ

ثلاثة أيام فقط !

ـ وبلياس ؟ ماذا جرى لبلياس ؟

ـ لا أحد يجرؤ على التحدث عنه !٠٠ لكنى أعلم ماجرى له ٠٠ لقد وجدوه فى قاع « بئر الاعمى » !

★ ★ ★

◆ **ويحضر** الطبيب لاسعاف ميليزاند ٠٠ « آن جرحها لا يمكن أن يقتل عصفورا ، ومع ذلك فانها تحتضر ٠٠ تموت لغير ما سبب !٠٠ كما ولدت لغير ماغرض ! »

جولو (وهو مايزال ضعيفا واهنا من أثر جرحه) : لقد قتلتها دون داع !٠٠ انهما كانا يتبادلان قبلة بريئة ، كالاطفال ٠٠ مجرد قبلة !٠٠ كانا بمثابة أخ وأخت ٠٠ ومع ذلك فانى ، بالرغم من نفسى ، قتلتهما !

الطبيب : صه !٠٠ انها تتنبه !

ميليزاند : هل نحن فى وقت الغروب ؟

آركل : نعم ، ان الشمس تغرب فوق البحر

جولو (يجر نفسه الى فراشها) : اغفرى لى ياميليزاند !

ميليزاند : ما الذى أغفره لك ؟

جولو : لقد جلبت عليك شرا كبيرا ياميليزاند ٠٠ انى أرى كل شيء بوضوح الآن ، بعد فوات الأوان ! ٠٠ والآن ، ها نحن على شفا الموت ، وبودى أن أقف على الحقيقة ٠٠ فلا تضنى بها على رجل يحتضر يا ميليزاند : هل أحببته ، حبا محرما ؟ ٠٠ هل ٠٠ هل أثمتما ؟

ميليزاند : كلا ٠٠ لم نأثم !٠٠ هذه هى الحقيقة ٠٠ ولكن لماذا أحس بهذا البرد ؟٠٠ الشمس قد غربت ٠٠ لشد ما أنا خائفة من البرد العظيم ٠٠

ويجلبون لها طفلتها الوليدة ، لكنها أضعف من أن تحملها على ذراعيها ٠٠ كل ما تستطيعه أن تنظر اليها فى أسى ،

وتغمغم : « انها صغيرة ·· انها تبكى ·· لكم أرثى لها ! »

آركل : لقد اغمضت ميليزاند عينيها ·· انها ستنام

جولو : ميليزاند ! ·· ميليزاند ! اصغى الى ·· لم يكن الخطأ خطئى ! ·· وانما هى قوة لا قبل لى بها ، تلك التى كانت تدفعنى !

آركل : صه ! ·· ينبغى أن لا يزعجها أحد ·· فان الروح البشرية تحب ان ترحل فى هدوء ·· وحدها !

اقرأ معى :



كتاب الشهر

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى اعداد سابقة من (كتابى) الكتب الشائقة التالية :

- آراء جريئة فى الحياة للفيلسوف الانجليزى المعاصر « جود »
- آراء جريئة فى السياسة : لبرنارد شو
- كيف نجحوا فى الحياة : لديل كارنيجى
- الحياة فى موسكو : هارولد ليكوك
- مراهق : البرتو مورافيا
- آلهة ومقابر وعلماء : سيرام
- الالمان ، شعبا وعباقرة : اميل لودفيج
- مستقبل زوجك فى يدك : مسز ديل كارنيجى
- التاريخ السرى للاحتلال البريطانى : ويلفريد بلنت
- أقنعة الحب السبعة : أندريه موروا .
- فى داخل أفريقيا : جون جنتر

واليوم ، اقدم لك كتابا جديدا عن تاريخ مصر ، للمؤرخ الانجليزى المعاصر « ه . وود جارفيس »

وفى الاعداد القادمة أزمع أن أقدم لك فى هذا الباب مزيدا من الكتب الممتعة ..


PHARAOH
TO
FAROUK
BY
H. WOOD JARVIS
مصر محط انظار العالم !
من فرعون.. الى فاروق !
الكتاب الذى يقرأه العالم
عن مصر هذا الشهر
للمؤرخ الانجليزى المعاصر
"ﻫ. وود جارفيس"

العالم كله يقرأ تاريخ مصر !

◆ مصر اليوم على كل لسان .. وملتقى أنظار العالم !.. فبعد قرون من الخمول ، استضعفتها خلالها قوى الاستعمار الغاشم ، نفضت عن كاهلها التخاذل والخنوع ، وقامت بثورتها العاتية ضد الاستعمار ، بوجهيه : الاستعمار المقنع الذى استخفى وراء ملك أجنبى من سلالة أجنبية ! .. والاستعمار السافر الذى كانت تمثله قوات الانجليز فى القنال .. فلما تخلصت البلاد من الاثنين ، راحت تشق طريقها نحو المجد ، متخطية شتى الاحابيل والشباك التى وضعت فى طريقها ..

والعالم يدرك انه لكى يعرف مستقبل شعب ، يجب ان يعرف ماضيه .. ولهذا ظهرت أخيرا عدة كتب ، بعدة لغات ، تروى تاريخ مصر ، بالتفصيل المستفيض .. وأحدث هذه الكتب وأهمها هو هذا الكتاب الذى أقدمه لك فيما يلى - ولو كنت ملما من قبل بتاريخ مصر - كى تستعيد هذا التاريخ المجيد بالاسلوب وطريقة السرد والتعليق اللذين يقراه بهما العالم أجمع فى هذا الشهر ! .. ثم لتعرف من أية زاوية يكتب مؤرخو العالم عن مصر ، ويطالع قراء دول العالم تاريخ مصر !.. (فضلا عن ان الكتاب يورد فى الواقع كثيرا من المعلومات التاريخية «الجديدة» التى لم تكن معروفة الا للمؤرخين المنقبين !)

ولعلك تتساءل معى : لماذا اختار المؤلف فى عنوان الكتاب أن ينهيه بعصر فاروق ، فى حين انه - فى الفصل الاخير منه - تجاوز عهد فاروق الى عهد الثورة الحالى ، فتناول أهم احداث مصر حتى الشهر الماضى ؟.. والجواب الذى أرجحه انه انما عمدالى ذلك لغرض تجارى بحت ، كى يدخل فى الروع انه تعرض لمباذل فاروق وفضائحه التى تثير فضول القراء !

الفصل الأول

فى ماضى كل أمة مفتاح مستقبلها .. فالامة التى تضيع ماضيها لا مستقبل لها .. فنحن لا نستطيع ان نعيد الماضى ، ولكننا أيضا لا نملك ان نهرب منه !

مصر عاشت مستعبدة ٢٣ قرنا !

◆ **قبل** بزوغ المسيحية بثلاثة آلاف عام ، عندما كان فرعون يحكم مصر بقبضة من حديد ، عمل مائة ألف رجل

دائبين تحت الشمس الحامية ، فى رفع صروح لا مثيل لها ، هى اهرامات الجيزة التى قدر لها ان تكون بين عجائب الدنيا السبع ! ٠٠ ثم مر خمسة وعشرون قرنا ، توالى خلالها الفراعنة ، حتى وقع الغزو الفارسى ، وانهار حكم آخر ملك من أبناء مصر ٠٠ قبل مولد المسيح بثلاثمائة وخمسين سنة !

ثم ظلت مصر خلال القرون الثلاثة والعشرين التى أعقبت ذلك ، تقبع فى خمول تحت امرة حكام غرباء أجانب ٠٠ حتى انتهت هذه الفترة حين قررت الحكومة البريطانية فى سنة ١٩٤٦ (١) ان تسحب كل قواتها من وادى النيل ، وان تجلو عن القاعدة البحرية فى الاسكندرية ٠ وقدر لمصر أخيرا ان تعود مرة أخرى دولة ذات سيادة واستقلال ، لا تقيدها سوى معاهدة بها من الالتزامات مثل ما يحد حرية أية دولة متمدينة أخرى

عندما كان فرعون الها متجسدا !

◆ **ويلقى** الهرم الأكبر ظلاله الفرعونية على قصة تاريخ مصر بأسرها ٠٠ فهو من أبرز المعالم فى الطريق الطويلة التى أجتازها الانسان فى سيره من عهود التأخر الى المدنية ٠٠ انه يعلن لكل ذى عينين تريان ، وعقل يفهم ، مدى القوة التى تفوق كل قوة آدمية ، والتى مكنت سلالة من الحكام من ان يحشدوا كل الموارد البشرية والمادية لتحقيق مشروعاتهم الهائلة ٠٠ فالواقع ان فرعون لم يكن يحكم كأى عاهل آدمى ،

---

(١) كتابى : يبدو ان المؤلف لم يتحر الدقة فى هذه الفقرة ، فهو يشير الى معاهدة لم تتم ولم تعقد ، وهى التى كان مقررا ان تحل محل معاهدة سنة ١٩٣٦ قبل الثورة ٠٠ ولم يفطن الى ان الثورة أبت ان تقيد مصر بأى التزام يحد من حريتها ٠ بل لعل النزعة البريطانية غلبته فجعلته يشير الى انسحاب القوات البريطانية من « مدن مصر » فى سنة ١٩٤٦ كما لو كانت بريطانيا هى التى ارتأته ، ولم تضطر اليه اضطرارا تحت ضغط الرأى العام الذى ثار فى سنة ١٩٤٦ لهذا السبب !

وانما كاله معترف به على الارض ! فكان يسيطر ، ويتلقى آيات العبادة ، من شعب متحد يدين له بالولاء ٠٠ وبهذه السلطة التى لا حد لها ، استطاع الفراعنة ان يوحدوا الزعماء المتنافسين ، المتقاتلين ، فى وادى النيل بأسره ، تحت سلطان حكومة قوية ، مركزة ، تخضع لعقل مسيطر واحد ، هو عقل فرعون ٠٠ وبهذا برزت من عهود الفوضى السحيقة فى النهاية ، بوادر مجتمع منظم ـ وكانت تلك هى الخطوة الاولى نحو المدنية ـ وأخذ فن الحكم يتقدم فى مصر خطوة فخطوة ٠٠ فلما أخذ نفوذ الكهنة والنبلاء يتزايد ، أخذت سلطة فرعون الفردية فى الاضمحلال ٠٠ وما لبثت ان اعترضت قصة الانسان المتمدين فترة حرجة ٠ كانت الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى المدن المصرية قد بلغت أوج انتظامها ٠٠ فكان رجال الاعمال يسيرون على قواعد المحاسبة ومسك الدفاتر ، وكانت الوصايا ، ووثائق الملكية العقارية ، والعقود ، تكتب على أيدى موثقين كالمحامين ٠٠ وكانت المبانى أمثلة لرقى فن العمارة ، والمدارس قائمة ، والفنون مزدهرة ٠٠ واذا صح ان ماضى كل أمة يوحى بمستقبلها ، فهلا يحق لنا ان نتوقع من هذه الحقبة ان تمضى مصر يومئذ فى رقيها ؟

ولكن الأمر كان على العكس ، اذ لم تلبث مصر ان ولجت أولى عهودها المظلمة ، فاذا الحضارة التى شيدتها فى ألف عام تنهار !٠٠ واذا الفوضى تحل محل حكم فرعون الوطيد ، واذا المجد يغيب عن مصر ، فلا يعود اليها الا بعد قرون من الزمن ، حين بدأت عجلة التاريخ ترتد فى بطء الى طريقها الأول ٠٠ **ومن مدينة « طيبة » الصغيرة انبثقت أولى أضواء الفجر الجديد ٠٠ اذ صارت هذه المدينة عاصمة أسرة حاكمة نبيلة هى أسرة « انتيف » ، التى أنجبت رجالا ذوى شخصيات فذة ، ونبوغ نادر ، بسطوا نفوذهم رويدا حتى جاء اليوم الذى عاد وادى النيل فيه يخضع لعقل واحد مسيطر ، يدين له الناس بالطاعة**

والولاء .. وبعد قرنين من حكم هذه الاسرة ، ظهر من أبنائها حاكم كان توليه العرش - فى سنة ٢٠٠٠ ق.م. - بداية أعظم عهود مصر الذهبية .. ذلك هو « امنمحعت الأول » ، الذى ازدهرت تحت حكمه المدن ، وازداد الانتاج الزراعى ، وفاض الرخاء .. والى جانب فرعون ، والكهنة ، والنبلاء ، ظهرت طبقة جديدة فى مصر : طبقة متوسطة غنية ، فارتفع قدر « الرجل العادى » وأصبح له فى المجتمع مكانة .. وانتعش فن العمارة ، والأدب ، والحرف اليدوية ، والفنون عامة .. !

الملكة التى كانت تضع « لحية » مستعارة !

◆ **على ان** عجلة التاريخ كانت قد اتمت دورتها فى سنة ١٧٠٠ ق.م. فدخلت مصر ثانى عهودها المظلمة ، وسادتها فوضى طويلة الأجل ، اسلمتها الى ربقة حكم أجنبى ، هو حكم « الهكسوس » الذين كانوا رعاة أقبلوا من الشرق . ومن المحتمل ان النبى « يوسف » ظهر فى نهاية هذه الفترة ، اذ عثر عليه بعض الرحالة فى الصحراء ، فباعوه فى مصر لقائد حرس فرعون ، وكان يدعى « فوتيفار » ..

ومرة أخرى ، انبثق الفجر من « طيبة » ، اذ كان حكامها هم الذين دبروا الثورة على « الهكسوس » ، واستطاع « اموزيس » فى النهاية ان يخلص البلاد نهائيا منهم ، وأن يطردهم الى فلسطين .. ثم ارتقى عرش الفراعنة فى سنة ١٥٨٠ ق.م. ، وأنشأ اسرة حاكمة جديدة كان عهدها من أعظم وأمجد العهود .. وبفضل فتوحها استطاعت مصر ان تضم وتحكم جزءا كبيرا من العالم القديم .. وظهر من أبنائها ملوك مبرزون مثل « تحتمس الأول » ، و « **حتشبسوت » التى كانت فريدة فى التاريخ - اذ لم ترق عرش الفراعنة قبلها امرأة ! - وقد أثبتت انها لا تقل عن الرجال ، ولكى تستكمل أسباب الشبه ، أصرت على ان تحذف من اللغة - التى**

سجلت بها امجادها ـ حروف التأنيث !.. بل وذهبت الى حد انها كانت ترتدى لحية مستعارة فى الحفلات الرسمية !.. وكان خليفتهــا « تحتمس الثالث » منشىء أول امبراطورية حقيقية فى الدنيا ..

وظلت عظمة مصر فى آزدياد ، حتى بلغت فى عهد « امنحتب الثالث » ـ من ١٤٠٥ الى ١٣٧٠ ق.م ـ أوجا لا يكاد يتصوره العقل

الفصــل الثانى : طيبة

◆ **كانت** طيبة فى تلك الأثناء قد أصبحت اعجوبة العالم الكبرى ، تحف بطرقاتها البنايات الشاهقــة المؤلفة من عدة طبقات ، وتتناثر فىجنباتها المعابد الرائعة البناء ، والمدارس، والبرك المائية الصناعية ، والحدائق .. الخ

وكان أكبر معبدين فى المدينة يتصلان بطريق واسعة تقوم على جانبيها تماثيل أبى الهول ـ طريق الكباش ـ ويبلغ طولها ميلا وربع الميــل .. **وكان أفخم هذين المعبــدين وأهمهما هو معبد « الكرنك » الذى كان تحفة من تحف فن العمارة ، والذى كانت أعمــدته وأبوابه مكسوة بالذهب !** ولسنا نعرف اليوم من التعاليم التى كانت تدرس والطقوس التى كانت تمارس بين جدران هذا المعبد ، الا القليل .. ولكن السحر كان ولا بد عنصرا هاما فيها . ولعلنا نذكر كيف ان موسى وهارون حين ذهبا الى فرعون ، دعا سحرته لافحامهما ، فألقى موسى عصاه فاذا هى حية تلقف ما صنعوا !

على ان طيبة كانت فى الواقع مدينتين : العاصــمة التى ذكرناها ، وكانت تقوم على ضفة النيل الشرقية ، وتضم العمل واللهو ، والفن والفراغ ، والجد والضحك .. **اما على الضــفة الغربية ، فقامت « طيبة » أخرى : مدينة الموتى التى لم يقم**

لها شبيه فى تاريخ الجنس البشرى ! كانت تشبه مدينة الاحياء فى طرقها المنظمة ، ومبانيها الأنيقة ، ومتاجرها ·· ولكن عيون أهلها كانت تفيض بالحزن ، وشفاههم بعيدة عن الابتسام ، ومتاجرهم لا تبيع سوى لوازم التحنيط والدفن ، وما يقدم عند زيارة المقابر من سلع ·· وكانت القبور تحفر فى صخور الجبال ، فاذا كان أصحابها أغنياء ، صنعوا فى جوف الصخر عجبا : أبوابا تفضى الى سراديب وسلالم تهبط رويدا الى قاعات وابهاء زينت جدرانها برسوم ولوحات ، تنتهى الى حجرة الدفن ، على بعد مئات الأقدام فى جوف الجبل !

الفصل الثالث : عصر اخناتون ، وموسى

◆ **وكان** يبدو أن ارتباط شخصية الفرعون بالآلهة ، لاسيما ارتباط « امنحتب العظيم » باله طيبة « آمون رع » ، قاعدة لا سبيل الى النيل منها · وهذا مما يزيد الدهشة من الانقلاب الفجائى الذى يعتبر أول اصلاح دينى عرف فى التاريخ ، اذ أن « امنحتب الرابع » الذى خلف « امنحتب الثالث » كان مفكرا متعمقا فى البحث عن المثل العليا ، فما ان تولى العرش حتى قرر ان يبشر بقصر العبادة على اله واحد هو « آتون » وان يجعل هذه العقيدة دين الدولة ، ويلغى كل عقيدة أخرى فى وادى النيل ·· وقد رمز الى هذا الاله بقرص الشمس ، ينبعث منه عدد من خيوط الأشعة متجهة نحو الشرق ، وينتهى كل شعاع بيد تقبض على رمز « الحياة » المألوف لدى المصريين ·· وقد كانت هذه أول دعوة الى التوحيد ، وتضمنت الترانيم التى وضعها امنحتب أفكارا ترددت بعد ذلك بأجيال فى المزمور الرابع بعد المائة من المزامير !

ولقد مضى الملك فى تجرده من آثار العقائد السابقة الى أن

نبذ اسمه السابق واتخذ بدلا منه اسم « اخناتون » ، وهجر (طيبة) وشيد عاصمة جديدة على بعد مائة ميل شمالها ، أسماها (اختياتون) ـ أى أفق آتون ـ فنقل اليها بلاطه وحكومته . **وفى هذه المدينة الجديدة نرى روح التجديد جلية، حتى لتعتبر أول مدينة اتبعت فى انشائها أصول تخطيط المدن المتبعة فى أيامنا .. فقد كانت الطرق مستقيمة ، متعامدة ، على النسق الذى يرى فى المدن الامريكية اليوم ، أى بعد ثلاثة آلاف عام !..** وكما أن المدينة أنشئت بوحى الثورة على السلطان الديكتاتورى الذى استحله كهنة (طيبة) لأنفسهم ، فانها أصبحت مهدا لثورة تجديدية ضد العادات القديمة ، يشجعها ويلهمها صاحب السلطان الأعلى : فرعون نفسه . فهو الذى أوحى الى الفنانين أن يتحرروا من قيود القواعد الفنية القديمة ، فاذا البلاد تشهد ازدهار فنون حديثة رائعة ..

على أن « اخناتون » انهمك فى هذا الاتجاه الانشائى ، وفى البحث عن الحقائق الخالدة .. حتى شغل به عن مشكلات الحكم ، سواء فى داخل امبراطوريته أو فى البلاد الاجنبية الخاضعة لها ، مما أدى الى انتشار الاضطرابات فى مصر ، فساعد هذا على اضعاف مكانتها فى الخارج .. وأخذ حكام الاقاليم الخارجية يرسلون التقارير مستحثين فرعون كى يتدارك الامر ، ولكنه لم يحفل بشىء .. ومن ثم أخذت الامبراطورية العظيمة تتلاشى كالحلم !

الفرعون الذى خرج بنو اسرائيل فى عهده !

◆ **وخلف** «اخناتون» ملك غلام هو « توت عنخ هاتون » ، فما لبث البلاط والحكومة ان عادا الى (طيبة) ، واسترد الاله « آمون رع » مكانته ، حتى ان الملك غير اسمه الى « توت عنخ آمون» ، وبدأ قلب مصر ينبض من جديد نبضا طبيعيا ،وبدأت

الحياة تعود الى مجاريها ٠٠ ولكن الامبراطورية التى شيدها عشرة فراعنة ، خلال حروب استغرقت قرنين من الزمن ، لم تلبث أن تبددت فى عشرين أو ثلاثين عاما !

وأعقب موت « توت عنخ آمون » ـ وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ـ فترة قصيرة من الفوضى ، ثم برز من وسط الاضطرابات « حو محب » ، الذى مهد لظهور أسرة فرعونية حاكمة جديدة ، هى الأسرة التاسعة عشرة ٠٠

وما أن حلت سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد ، حتى كان الجو مهيأ لظهور النبى « موسى » ٠٠ وأغلب الظن أن الفرعون الذى كان يحكم اذ ذاك هو « سيتى الاول » أو « رمسيس الثانى » ٠٠ فان الأدلة على أن خروج بنى اسرائيل من مصر تم فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، أقوى من الأدلة التى تبرهن على أنه تم فى عهد آخر : فقد كان بنو اسرائيل ـ وفقا لما جاء فى المزمور الثامن والسبعين ـ يقيمون في مصر بأرض (صوعن)، وورد فى سفر الخروج أن أغلبية بنى اسرائيل كانوا يقيمون غير بعيد من بلاط فرعون ، ومعنى هذا أن فرعون كان يتخذ مقره قريبا من « صوعن » ، وهذا ماكان فى عهد الاسرة التاسعة عشرة ، اذ كان (صوعن) هو الاسم العبرى لبلدة (تانيس) التي كانت فى الشمال الشرقى للدلتا ، والتى نقل اليها فراعنة تلك الاسرة عاصمتهم المدنية ٠٠ والتى يكاد يكون من المحقق أن مدينة (رعمسيس) ـ مدينة الكنز فى التوراة ـ أقيمت عندها ، واستخدم بنو اسرائيل فى بنائها ٠٠

وقد كشف علماء الآثار المصرية عن معلومات ترسم صورة واضحة لموسى ٠ واذا كان ما عرف عن باكورة حياته ضئيلا ، الا أن المعروف انه درس فى رحاب الحكمة المصرية العريقة ، وتوحى الشواهد بأنه ذهب الى مدينة (اون) أو (هليوبوليس) حيث كانت أعرق وأكبر مدرسة عليا لتعليم

الكهنة والعلمانيين ـ قبل أن تعرف أوربا شيئا عن المدارس العليا !

ولا ريب فى أن « موسى » عاد الى البلاط الملكى بعد أن أتم تعليمه ٠٠ وفى أكثر من موضع من سفر الخروج نجد مايؤكد أنه لم ينشأ تنشئة عبرية ٠٠ ونستطيع أن نتصور حياته فى تلك الحقبة وسط نعيم البلاط وترفه .

فلندع حديث موسى الآن ، ولنعد الى موضوعنا ٠٠ فمنذ ذلك الحين أصبحت قصة مصر الفرعونية تكرارا دقيقا لتاريخها الأسبق : فرعون قوى ، يعقبه خلفاء ضعاف ٠٠ واضطرابات وخلافات داخلية تفضى الى فوضى ٠٠ والى ضياع هيبة مصر ومكانتها ٠٠ والى تبدد الثروة التى جمعت فى أجيال ٠٠ والى مجاعات !٠٠ وفى فترات متباعدة ، كان القدر يبعث رجلا يعيد الى أمجاد الماضى بهجتها ، مثل « شيشاك » ـ اوشيشنق ـ الذى عاصر سليمان الحكيم ، اذ تولى العرش سنة ٩٥٠ قبل الميلاد ، وغزا اورشليم واستولى على كنوز الملك وبيت الرب ، على ماورد فى « سفر الملوك » فى التوراة ، وما وجد من نقوش على جدار من جدران الكرنك

وأعقب موت « شيشاك » سنوات انحدار واضمحلال ، تبعها انهيار تام ٠٠ اذ تمردت الحبشة بعد أن ظلت ألف عام تحت حكم مصر ، فانفصلت عنها ، ثم غزتها ٠٠ وجاء بعدها الفرس ٠٠ وبينما كانت مصر تحت وطأتهم ، كان مصيرها ينسج على منسج يونانى على يدى قدر لا يعرف هوادة ولا لينا!

الفصل الرابع : انشاء الاسكندرية

◆ **ذلك** ان الاسكندر الاكبر لم يلبث أن بلغ بجيشه مدخل مصر فى سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، فاحتل (غزة) ، ثم عبر الصحراء الى (بلوزيم) ميناء مصر الشرقية ، ومفتاح الطريق

الى الدلتـا ـ (ولا تزال اطلالها ظاهرة على ثمانيـة عشر ميلا شرقى ميناء بورسعيد !)

واستسلمت (بلوزيم) بدون كفاح ، **وكانت الاشاعات قد سبقت الاسكندر ، مرددة الرواية الغامضة التى حفت بمولده ، والتى قيل فيها ان الاله « آمون » اختار أمه لينجبها ابنا له بين البشر !٠٠ ومن هنا استقبله المصريون ، الكارهون لربقة الفـرس ، كما لو كان قد جاء لتحريرهم ! ٠٠** وانتقلت مصر فى سلام وهدوء الى قبضة الاسكندر ، الذى سار بجيشه حتى (ممفيس) ، فقدم القرابين فى معبد الاله المصرى « بتاح » ، ثم سار بمحاذاة ساحل البحر الابيض المتوسط ، ليختار موقعـا لمدينة تحمل اسمه ، وتكون الميناء الرئيسية لامبراطوريته ٠٠

ووقع اختياره على بقعة يلتقى عندها الشرق والغرب ، بحيث تكون جديرة بأن تصبح ملتقى تجارة العالم اذ ذاك ٠٠ ومالبثت (الاسكندرية) أن قامت تحمل الطابع الصحيح لمدينة تنتسب الى الامبراطور ٠٠ وتألف شكلها الاول من طريق فسيح لا يقل عرضه عن مائة قدم ، امتد بمثابة العمود الفقرى لها ، تحف به أقبية ـ كالبواكى ـ لتحمى المارة وأصحاب المتاجر من وطـأة الشمس ، وبلغ طوله ـ (من الباب الشرقى للمدينة حتى الباب الغربى ، فى نفس اتجاه شارع فؤاد الحالى تقريبا) ـ أكثر من ثلاثة أميال ٠٠ وعند نقطة قريبة من موقع مسجد النبى دانيال الراهن ، امتد طريق آخر يقطع الطريق الاول متعامدا عليه ، ويشبهه ، رابطا الطرف الشمالى للمدينة بالطرف الجنوبى ٠٠

مصرع الاسكندر ٠٠ وتأسيس دولة البطالسة

◆ **وفى** ربيع سنة ٣٢٣ قبل الميلاد ، لاقى الاسكندر مصرعه فى بابل ، اثر حمى قاسـية ، فتعاونت المؤامرات والدسائس والاغتيالات على تمزيق امبراطوريته ٠٠ وفاز بمصر واحـد من كبار قادته يدعى « بطليموس » ، لم يلبث أن أعلن نفسه ملكا

عليها ٠٠ واعترف المصريون له بالملك وبالصفة الالهية التى كانوا يخلعونها على الفراعنة ، فأنشأ أسرة البطالسة٠٠ **وأخذت الاسكندرية تنمو وتزدهر ، حتى غدت أبهى مدن العصر ، لا تفوقها أهمية سوى روما وانطاكيه • وكانت منارتها (الفنار) احدى عجائب الدنيا السبع ، وأول منارة من نوعها أنشئت لهداية رواد البحار ! ٠٠ أما القصر الملكي - الذى كان تحفة رائعة - فكان يقوم فى الركن الجنوبى الشرقى للميناء الكبيرة ٠٠ وبالقرب من وسط المدينة قامت « الموزيون » ، أول مدرسة فى العالم استحقت اسم « جامعة » ، حيث كان كثير من كبار العلماء الذين خلد التاريخ اسماءهم يلقون المحاضرات ٠٠ وحيث كانت المكتبة التى ضمت نصف مليون من المخطوطات ! ٠٠**
وهناك ، خرج « اريستارخوس » على الدنيا بنظرية دوران الارض حول الشمس ، وحسب « أراتوستينس » محيط الكرة الارضية بدقة تدعو الى العجب ، واخترع « هيرون » آلة لا مغالاة اذا قلنا انها أول محاولة للآلات البخارية ! ٠٠ وأخيرا ، وليس آخرا ، كان من أمجاد الاسكندرية أن تمت بها ترجمة التوراة من العبرية - لأول مرة - الى اليونانية ٠٠

وظلت أسرة البطالسة تحكم مصر حوالى ثلاثة قرون ، حتى انتهت صفحتها بمصرع كليوباترا ٠٠ العظيمة !

الفصل الخامس : كليوباترا

أجدادها سفاحون !

◆ **لسنا بحاجة الى ان نذكر عن اجداد « كليوباترا » أكثر من ان بطليموس الثانى قتل أخويه ، وبطليموس الثالث اغتاله ابنه ، الذى عزى اليه أنه دبر بعد ذلك اغتيال أخيه وعمه وأمه ! ٠٠ وخلفه بطليموس الخامس الذى لم يكن يتورع عن قتل من يخالفه ، كما كان بين ملوك الاسرة ملك اغتال ابن أخيه ثم تزوج أم ضحيته ليفوز بالعرش ! ٠٠ وهكذا حتى نصل الى بطليموس الثانى عشر الذى تزوج زوجة أبيه ثم اغتالها ، وسرعان ما اغتيل بدوره ، فخلفه بطليموس الثالث عشر ، والد كليوباترا ٠٠**

ومع ذلك ، فلا مراء فى أن البطالسة الاولين جلبوا لمصر عهـــدا من الرخاء والثراء ، بيد أن هؤلاء المقدونيين لم ينسوا دائما أنهم السادة ، ومن ثم استأثر اليونانيون فى عهدهم بكل المناصب الرفيعة ، سواء فى الحكومة أو فى الحياة العامة ، واقتصر المصريون على أن يكونوا مستخدمين وأجراء وفلاحين ، وأن يؤلفوا الطبقات الدنيا فى المجتمع ٠٠ وكانت الاسكندرية ـ مقر البلاط الملكى ـ مدينة غريبة لا تمت لمصر بصلة ٠٠

على أن الاسرة المالكة لم تلبث أن انحدرت مع مرور الزمن وضعف سلطانها ٠ وهناك أدلة وثيقة على قيام حركة وطنية فى مصر فى ذلك الوقت ٠

وكان بطليموس الثالث عشر ـ والد كليوباترا ـ أضعف ملوك الاسرة ٠٠ كان سلفه قد ترك وصية يخلع فيها مصر على الجمهورية الرومانية ، ولكن بطليموس الثالث عشر اعتلى العرش ، واستغل افلاس يوليوس قيصر ـ حين انتخب قنصلا للجمهورية الرومانية ـ فقدم له نصف دخل حكومة مصر كرشوة ، الامـر الذى أدى الى مضاعفة الضرائب ومصادرة ملكيات المصريين ، مما أثار الاضطرابات فى الاسكندرية ، ففر بطليموس الى روما تاركا أبناءه الخمسة : الأميرة « بيرنيس » ـ فى الثامنة عشرة من عمرها ـ تليها « ارسينو » ، ثم أميران صـبيان ، و « كليوباترا » ، التى كانت فى الحادية عشرة ٠٠ واعتلت «بيرنيس» العرش ٠٠

وألف يوليوس قيصر وبومبيى وكراسوس ، فى تلك الاثناء ، حكمهم الثلاثى فى روما ، فأوفدوا رومانيا مفلسا ـ كان نائبا للقنصل (أى حاكما) عـلى سوريا ـ فى حملة لرد عـرش مصر الى بطليموس ٠٠ ودخلت الحملة مصر ، وأعادت الملك الهارب الى عرشه بعد ثلاث سنوات من فراره ٠٠ وكان بين الجنود الرومان اذ ذاك فارس شاب أنيق قيل انه فتن بكليوباترا ٠٠ وكان له شأن فيما بعد ٠٠ ذلك هو « مارك أنتونى »

يوليوس قيصر فى مصر

◆ وظل بطليمـوس يحكم البلاد كرها أربع ســنوات أخر ، حتى مات فى سنة ٥١ ق٠م٠ ، فاذا الدسائس والمؤامرات تحيط بكليوباترا ـ وكانت قد أصبحت فى الثامنة عشرة ـ وأخيها الاصغر الذى لم يكن يتجاوز العاشرة من عمره ٠٠ وكان أبوهما قد أوصى بالعرش لهما ، وأقام الشعب الرومانى وصيا عليهما ٠٠ وانتهت المؤامرات بفرار كليوباترا الى ســوريا وهى فى الحادية والعشرين ، بينما اغتصب ثلاثة من رجال القصر أزمة الحكم ، مستترين وراء أخيها الصبى ٠ وما لبثت كليوباترا الجريئة أن حشدت جيشا سارت به الى « بلوزيم » ٠ وقبل أن يلتحم مع جيش أخيها فى معركة حاسمة ، وقع حادث غير مجرى الامور ، اذ أقبلت على الميناء سفينة حربية كان « بومبيى » وزوجته

قد قرا عليها ، بعد الخلاف الذى دب بين قناصل روما الثلاثة ..
وخشى الملك الصغير ووزراؤه الثلاثة أن يثيروا نقمة « قيصر » اذا هم أتاحوا لبومبيى أن يلوذ بمصر ، فدبروا خدعة غادرة لاغتياله .. ولم يلبث « قيصر » أن جاء فى أثره ، وكانت شكايات « كليوباترا » قد بلغته ، فما أن وصل الى الاسكندرية حتى استولى على القصر الملكى ، ودعا ـ بوصفه منفذا لوصية بطليموس الثالث عشر ـ كليوباترا وأخاها لتولى العرش معا .. ودبر وزراء الملك الصغير مؤامرة لمنع قيصر من مغادرة الاسكندرية ، والحيلولة دون اتصال كليوباترا به .. ولكن دهاء الفتاة كان قد تفتق .. وفى ذات مساء ، تسلل الى سلم القصر الملكى المفضى الى البحر قارب صغير ، غادره رجل يحمل حشية وبضع بطانيات ، تسرب بها الى داخل القصر .. واستطاع بطريقة ما أن يمثل بين يدى قيصر .. ومن وسط الحشية والبطانيات ، نهضت كليوباترا هادئة ، رابطة الجأش ، أكثر ما تكون فتنة !

الفصل السادس : قيصر

المؤرخون ينصفون كليوباترا أخيرا

◆ ومهما تكن المثل الخلقية لكليوباترا ، فان قطرة من « الوهية » الفراعنة كانت تجرى فى دمائها ، فتهديها الى خدمة قضية مصر ممثلة فى قضية عرشها .. وهذه حقيقة سلم بها كبار المؤرخين أخيرا ، حتى لقد وصفها بعضهم بأنها « أعظم خلفاء الاسكندر الاكبر » ، وان روما لم تخش يوما أمة ولا شعبا ، ولكنها كانت تخاف شخصين : هانيبال .. وكليوباترا !

وانتهى لقاء كليوباترا وقيصر الى أن تحمس الأخير لقضيتها ، فلم يتردد فى أن يقاتل أخاها وجيشه وان يوقع بهما الهزيمة .. ومات بطليموس غريقا فى البحر وهو يحاول الهرب .. فأقام قيصر على العرش كليوباترا ، وأصغر اخوتها طرا ـ وكان غلاما فى الحادية عشرة من عمره اذ ذاك ـ ثم دعته تطورات الامور فى روما الى الرحيل .. وفى سنة ٤٧ ق.م. وضعت كليوباترا أول أبنائها : « قيصرون » !

وفى العام التالى ، رحلت كليوباترا الى روما فى أبهى مظاهر الملك والترف ، طامعة فى أن تحمل قيصر على الزواج منها ، فتجمع بين تاج مصر وحكم روما ! .. ولكن هذه الفكرة الاخيرة راودت الرومانيين قبلها فكرهوها ، وفقدوا ثقتهم فى قيصر ، فاغتالوه .. وكانت الصدمة القاضية لكليوباترا أن تبينت أنه أوصى بأن يخلفه « أوكتافيوس » ـ ابن أخته ـ وأن يكون وريثه الاوحد ..

وكان « مارك أنتونى » فى تلك الاثناء قد غدا أقوى رجال روما ٠٠ وأثار حفيظتـــه أن « أوكتافيوس » ظفــر بالحكم ، ثم أعلن نفســـه امبراطورا عـلى الدولة ، واتخذ لقب « أوغسطس » الذى عرف به فى التاريخ ٠٠ ولم يخفف من حفيظة « أنتونى » أن اختير بعد ذلك ليؤلف مع أوغسطس و « لبيدس » مجلسا ثلاثيا لحكم الامبراطورية ٠٠ وان أوفد الى آسيا ليعزز سلطان المجلس الثلاثى ٠٠

ولا تعنينا شــئون روما السياسية هنا ٠٠ انما الذى يعنينا أن « أنتونى » أرسل الى كليوباترا ـ فى طريقه ـ يسألها أن تقابله فى (طرسوس) كى يبحث معها شئون مصر التى كانت تابعة للامبراطورية ٠٠ وأفتنت الحسناء الداهية فى تدبير هذا اللقاء فى اخراج مسرحى رائع ، بهر « أنتونى » ٠٠ وبدلا من أن يمضى فى رحلته الى آسيا ، لحق بكليوباترا فى الاسكندرية ! ٠٠ وعادت أطماع الملكة الشابة تراودها ، فحرصت على أن تستبقى « أنتونى » الى جوارها ، عبدا أسير هواها ، شتاء كاملا ، حتى انتبه من نشوته الى أن الصراع شب فى روما بين انصاره وانصار «أوغسطس» فغادر مصر على عجل ٠٠ وبعد ستة شهور ، وضعت كليوباترا توأمين !

زواج سياسى !

◆ وظلت « كليوباترا » تتتبع أنباء « انتونى » باهتمام ، حتى علمت بصلحه مع « أوغسطس » ، على أساس أن يكون « أنتونى » صاحب السلطان المطلق على الشرق ، و « أوغسطس » صاحب الســلطان المطلق على ايطاليا ٠٠ ثم فجعت كليوباترا حين نمى اليها أن هذا الاتفاق عزز بزواج « أنتونى » من « أوكتافيا » أخت « أوغسطس » ، وانجابه ابنة منها !

على أن العوامل السياسية والعاطفية لم تلبث أن أذكت نار غرام « أنتونى » بكليوباترا مرة أخرى ٠٠ ولعل ما كان لديها من موارد أوحى اليه بأن فى وسعه أن يتعاون معها على التخلص من غريمه « أوغسطس » وأن يصبح السيد الاوحد لروما ومصر ٠٠ ومن ثم ، انتهز فرصة رحيله الى الشرق ليرأس حملة ، فالتقى بكليوباترا فى « أنطاكيـــة » ، وتم بينهما نوع من الزواج لم تكن قوانين روما تعترف بصحته ٠٠

واذ عادت كليوباترا الى الاسكندرية ، أنجبت ابنا أسمته « بطليموس »

ومنى « أنتونى » فى حملته بهزيمة شنيعة ٠٠ وفى عودته ، وجد «كليوباترا» فى انتظاره فى قرية ساحلية بين (صيدا) وموقع (بيروت) الحالى ، وقد حملت الى جيشه المضنى ثيابا ومؤنا ٠٠ وعادا معا الى الاسكندرية ٠٠ وما لبث «انتونى» أن أعد حملة جديدة خرج بها تصحبه كليوباترا ، بيد أن الانباء ترامت اليه بأن زوجته «اوكتافيا» كانت بدورها فى طريقها اليه تصحبها نجدة من جنود روما ،

فعول على أن لا تجتمع « الزوجتان » ، ولو اضطر فى سبيل ذلك لمحاربة « أوغسطس » .. وازداد احتمال قيام هذه الحرب حين غزا « أنتونى » أرمينيا ، ثم أقام مهرجانات النصر فى الاسكندرية بدلا من روما كما كانت تقضى التقاليد !

الفصل السابع : كليوباترا ـ أوغسطس

الطموح ، لا العواطف الجنسية ، كان حافز كليوباترا !

◆ ووقعت الحرب بين أقوى رجلين كانا يتشاطران ميراث روما . وكانت كليوباترا على رأس أسطولها تحمى مؤخرة أسطول « أنتونى » حين دارت المعركة عند خليج (امبراشيا) على الساحل الغربى لليونان .. وكان جنود « أنتونى » يفضلون أن يستدرجوا غرماءهم الى البر ، فتدور عليه المعركة ، ولكنه أصر على أن يكون القتال فى البحر ، فمنى بهزيمة ساحقة ، اذ ما لبث جنوده أن سلموا .. واضطرت كليوباترا أن تبادر بالفرار بأسطولها الى مصر ـ طبقا للخطة التى كانا متفقين عليها ـ ولحق هو بها ، فظل طيلة الرحلة حزينا ، يائسا .. حتى اذا بلغ الاسطول مركزا رومانيا على بعد مائة وستين ميلا غربى الاسكندرية ، هبط « أنتونى » بينما واصلت كليوباترا سفرها الى الاسكندرية ، وقد أوحى اليها دهاء المرأة والملكة أن تسبق الأنباء فتدخل عاصمتها دخول الظافرين ، ثم تسرع فتجمع مقاليد الامور فى يديها ، وتوطد قدميها . وعندما تناهت أخبار هزيمة (اكتيوم) الى الشعب ، بطشت الملكة بكل من حاولوا أن يثيروا الاضطرابات .. وما لبث « انتونى » أن لحق بها ، وفى نفسه أمل بأن يصل الى صلح مع « أوغسطس » .. ولكن هذا استولى على اليونان ، وآسيا الصغرى ، فتقلصت امبراطورية « انتونى » فى الشرق ..

وانزوى « أنتونى » فى عزلة تامة ، حتى انه لم يقابل كليوباترا نفسها الا يوم بلغ ابنها من قيصر « قيصرون » سن الرشد ، فجمعتهما الحفلات التى أقيمت لهذه المناسبة .. ولعل كليوباترا لم تحب أنتونى يوما .. بل هناك شك فى أنها أحبت أحدا ، اذ أن الطموح ـ لا العواطف الجنسية ـ هو الذى كان الباعث على كل تصرفاتها ! .. على أنها كانت زوجة وفية لأنتونى ، فلم تشأ أن تتخلى عنه فى محنته .. كما أن أملها فى حكم امبراطورية واسعة ، كان يعتمد على التعاون مع أنتونى .. ومن ثم حرصت على أن تستبقيه فى اسر غرامها .. وفى تلك الفترة أخذت تدرس السموم وتأثيرها ، حتى اكتشفت أن لدغ الحية يمكن الانسان من الانتقال الى الموت خلال غيبوبة ناعمة !

وحاولت كليوباترا أن تصل الى صلح مع أوغسطس ، ولكنه علق كل صلح على شرط واحد : هو أن تقضى كليوباترا على « أنتونى » ! فلما أبت ، سار الى مصر ٠٠ فاستولى على « بلوزيم » ووصل الى مشارف الاسكندرية ، الامر الذى أذكى روح المحارب فى نفس أنتونى من جديد ٠٠ فاتخذ مركزا لقيادته على مقربة من الموقع الحالى لمحطة « كامب شيزار » ، يرقب منه القتال فى البر والبحر ٠ ولكن أسطوله ما لبث أن انضم الى الاسطول الغريم ، وسلم المشاة للغزاة دون قتال ! ٠٠ فأسرع « أنتونى » بالفرار الى القصر معلنا أن كليوباترا قد غدرت به ٠٠ والواقع أنها لم تغدر ، ولكن رشاوى أوغسطس هى التى غدرت به !

نهاية مطامع ٠٠ ونهاية غرام !

◆ وأسرعت « كليوباترا » مصطحبة وصيفتيها « ايريس » و « شارميون » ، فلاذت بالضريح الذى كانت قد شيدته لنفسها ، ثم أرسلت الى أنتونى تنبئه بأنها ستكون ـ عندما يتسلم رسالتها ـ قد انتقلت الى عالم الاموات ! فلم يكد يتلقى الرسالة حتى طعن نفسه بسيفه ٠٠ بيد أن كليوباترا لم تكن قد نفذت تهديدها بعد ، فأمرت بأن تحمل جثته اليها ٠٠ ولم يكن قد مات بعد ، فراحت تبكى لما كان يعانى من آلام ٠٠ ووصيفتاها تشاطرانها البكاء ٠٠ حتى لفظ آخر أنفاسه بين ذراعيها ٠٠

ولم يقو رسل « أوغسطس » على اقتحام الضريح ٠٠ ودارت بينهم وبين كليوباترا أغرب مفاوضات ! كان رسله يحملون الى كل ، اقتراحات الآخر : فطالبت كليوباترا بتاج مصر لأى ابن من أبنائها يختاره غريمها ٠٠ وأصر « أوغسطس » على أن تنقل كليوباترا الى روما أسيرة ، وتسير فى موكب السبايا فى احتفالات النصر ! ٠٠ لكنها أبت أن تكون من السبايا ، وجمعت شجاعتها أخيرا فقابلت غريمها ، لكن كل منهما تمسك بموقفه ٠٠ واذ ذاك طلبت كليوباترا الاذن بأن تزور ضريح « أنتونى » ٠٠ وبينما كانت تركع لدى القبر تحتضنه وتبكى ، كانت احدى وصيفتيها تدبر أمر الحصول على حية لها !

وعادت كليوباترا الى ضريحها ، فتعطرت وتزينت ٠٠ وما لبث أن أقبل فلاح يحمل سلة ، أكد للحراس أن بها بعض ثمار التين ٠ وما خطر ببال أحد أن حية كانت ترقد تحت التين ! ٠٠ ثم حزمت الملكة الباسلة شجاعتها فوضعت الحية على ثديها تلدغها ، وتنفث سمها فى دمها !٠٠ فلما نمى النبأ الى «أوغسطس» هرع الى الضريح ، فوجدها مسجاة على أريكة ذهبية ، فى أبهى جلال ٠٠ وتحت قدميها كانت وصيفتها «ايريس» ترقد ميتة ٠٠ بينما كانت الوصيفة الأخرى «شارميون» تستجمع آخر أنفاس الحياة ، لتضع التاج على رأس مولاتها !

الفصل الثامن : الفجر

◆ **وبعد** انتصار « أوغسطس » على «أنتونى» و «كليوباترا» بثلاثين عاما ، أصدر قانونا بفرض الجزية على العالم ٠ وبسبب هذه الجزية سافر « يوسف النجار » من الناصرة الى بيت لحم ليقيد اسمه واسم زوجته « مريم » فى سجلات عشيرتهما ٠ وكانت « مريم » تحمل فى أحشائها الجنين العظيم : المسيح !٠٠ وفى بيت لحم وضعت حملها ، ثم خشيت الاسرة المقدسة على الطفل من بطش الحاكم الرومانى هيرودس ، فرحلت به الى مصر ، **مجتازة نفس الطريق التى سلكها رمسيس فى غزواته للشام ، وسلكها قمبيز والاسكندر الاكبر حين زحفا على مصر ٠٠ ثم سلكها بونابرت فى العصور الحديثة حين حاصر (عكا) ٠٠ وأخيرا قاد خلالها « اللنبى » جيشه الى فلسطين !**

ووصلت الأسرة المقدسة الى (هليوبوليس) ـ عين شمس ـ التى كانت قد هوت من مجدها كمقر لأهم جامعة ٠٠ ثم تابعت الاسرة سيرها الى (ممفيس) التى كانت تعرف اذذاك باسم (بابيلون) ـ وتقع قريبا من الضواحى الجنوبية للقاهرة ، أى قرب (الجيزة) ، خلف مستشفى كنيسة الارسالية ٠٠

ولاتزال تبدو الى اليوم أطلال حصن (بابيلون) الذى شيده « مارشيوس تيربو » فى عهد الامبراطور الرومانى « تراجان » ٠ وتقوم على حراسة الباب الرئيسى اليوم امرأة ٠٠ واذا ولجت الباب ، ثم جست خلال البنايات والحارات الضيقة خلف الاسوار الرومانية ، بلغت بابا متواريا ، تنفذ منه الى درب متعرج يفضى الى ساحة فى نهايتها باب يقود الى كنيسة مهيبة المنظر ، **أقيمت تحتها ـ للعجب ـ كنيسة أخرى ، لعلها أصغر كنيسة فى العالم ٠٠ يقال انها أنشئت فى عهد الرسل ، فى موقع البيت الذى نزلت به الاسرة المقدسة أثناء مقامها فى مصر!**

ولا يفوتنا أن نذكر بصدد عصر الرسل ، أن السجلات

المعاصرة لا تحتوى على معلومات عن الكنيسة التى أقامها القديس مرقس بعد ذلك بنحو خمسين عاما ، والتى أصبحت مقر البطريركية الارثوذكسية فى الاسكندرية ٠ ويقال ان القديس مرقس كان ينتمى الى أسرة يهودية ثرية تقيم فى مصر ، وأن أبويه هاجرا به الى فلسطين وهو طفل ٠٠ وفى سنة ٤٥ بعد الميلاد ، أقبل يزور موطن أهله ، فاعتنق المسيحية على يدى اسكافى فى الاسكندرية ٠٠ وتبع ذلك دخول كثير من الوثنيين فى المسيحية ، فشيدوا كنيسة فى ضاحية «بولكلى»(١) ٠٠ **وعلم أهل الاسكندرية فى عهد « نيرون » أن القديس « مرقس » يحول الناس عن آلهتهم ، فتربصوا له ، وأوثقوا حبلا حول عنقه ، وجروه الى السجن ، ثم ساقوه فى اليوم التالى خلال الشوارع ، وأوقدوا نارا ألقوه فيها ٠٠ ويقال ان رماد أشلائه دفن فى كنيسته**

وكانت الاسكندرية فى ذلك العهد ، كما كانت منذ قرون ، قبلة القلب النابض بالعلم والثقافة فى الدنيا القديمة ٠٠ فما لبث الصراع بين ثقافة وتقاليد العهد الوثنى وبين تعاليم المسيحية الناشئة أن نشب ٠٠ صراع الحياة والموت !٠٠ وشيئا فشيئا ، أخذ أساتذة جامعة الاسكندرية يتحولون الى المسيحية ، فبدأت سلسلة الاضطهادات ، وفترة الاستشهاد٠٠ وكانت معجزة أن استطاعت الكنيسة المصرية أن تعيش ٠٠ ومالبثت المسيحية أن انقسمت الى مذاهب راحت على مرور الاجيال تتنافس وتتناحر ، غير شاعرة بخطر كان ينمو سريعا فى بلاد العرب ٠٠ فقد ظهر فى مكة الوثنية « محمد » برسالة تصدعت لها أصنام قبيلته

(١) يبدو أن اسم الموقع التبس على المؤلف ٠٠ فالكنيسة المرقسية بالاسكندرية تقع بالقرب من « محطة الرمل » ، وليست فى محطة بولكلى بالرمل

الفصل التاسع : الغزو العربى

◆ **كانت** الفرقة والخلافات تستفحل فى مصر ، فى الوقت الذى استوى فيه الاسلام على قدميه فى بلاد العرب ، وأخذ يقوى وينتشر .. كان الاقباط والسوريون يكرهون الرومان بقدر ما يكره كل فريق منهما الآخر .. وكان اليهود يكرهون المسيحيين .. وهؤلاء يبادلونهم الكراهية !

لذلك وقعت مصر بسهولة فى أيدى الفرس حين أعلنوا الحرب ضد روما وزحفوا فاحتلوا دمشق ، ثم بيت المقدس ، وانحدروا الى مصر فى سنة ٦١٦ ميلادية . على أن الرومان لم يلبثوا أن هبطوا آسيا الصغرى فى سنة ٦٢٢ .. وفى سنة ٦٢٩ سار « هرقل » - امبراطور روما - الى بيت المقدس ليرد الصليب المقدس الذى كان الفرس قد اغتصبوه .. وفى ذلك الوقت بالذات ، سارت أول حملة اسلامية الى سوريا ، فكانت بدء صراع مروع بين الاسلام والمسيحية دام حتى سقوط القسطنطينية فى سنة ١٤٥٣ !

على أن تلك الحملة الاسلامية الاولى أوحت الى « هرقل » أن يوحد بين الشيع المسيحية فى وجه العدو الجديد .. ثم حاول أن يهدىء الخلافات عامة فى أنحاء الامبراطورية الرومانية ، **ولكن المصريين لم ينصاعوا لذلك ، بل هاج المسيحيون منهم ضد الوثنيين وهدموا معبد الاله « سيرابيس » ، كما وقعت فى عهد هرقل القطيعة بين الكنيسة القبطية والعالم المسيحى الكاثوليكى .. وحاول نائب هرقل أن يفرض سياسته قسرا ، فاحتدم بين المصريين والرومان صراع لم ينبع من عاطفة وطنية ، وانما انبعث عن عاطفة دينية** .. وشن الحاكم ، وكان يدعى « سيرس » (١) ، سلسلة من الاضطهادات ضد المسيحيين الارثوذكس ..

---

(١) المعروف فى كتب التاريخ العربية هو اسم « المقوقس »

معركة (العباسية) !

◆ **وفى** تلك الاثناء كان الاسلام ينتشر ويقوى حتى ساد بلاد العرب ٠٠ وفى عهد الخليفة « عمر » ، أوفد هذا جيشا يتراوح عدده بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف فارس عربى بقيادة « عمرو بن العاص » ، فى شتاء ٦٣٩ ـ ٦٤٠ ، فاستولى على « بلوزيم » ـ ميناء مصر الشرقية ـ وانحدر الى القنطرة ، ومنها الى عين شمس ، متغلبا على كل مقاومة ٠٠ واذذاك أدرك الرومان أنهم ازاء غزو حقيقى ! ودارت المعركة الفاصلة فى الموقع الذى يقوم فيه الآن حى (العباسية) ، فأوقع العرب الذعر والهزيمة بالرومان ، ولاذ منهم من بقى على قيد الحياة بحصن نابليون مع حاكمهم « سيرس » ـ وكانت تلك لحظة من لحظات التاريخ الحاسمة ! ـ ثم شرع « عمرو » فى مفاوضة « سيرس » ، الذى خيل اليه أن بوسعه الخلاص عن طريق « رشوة » الاعداء ! ولكن رسله عادوا اليه قائلين : « **رأينا قوما الموت أحب الى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب الى أحدهم من الرفعة، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، انما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، لا يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد منهم من العبد ، واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ، ويخشعون فى صلاتهم** »



الحاكم الرومانى « سيرس »

واستدعى « سيرس » وفدا من العرب ، راح يعرض عليه

وقومه المال ، ويهدد بقوة الرومان ، فأجابه رئيس الوفد (١) : « ياهذا ، لا تغرن نفسك ولا أصحابك ٠٠ أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم ، فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم ، وأشد لحرصنا عليهم ، لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا عن آخرنا ٠٠ وما منا رجل الا ويدعو ربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة ، وأن لا يرده الى بلده ولا الى أرضه ولا الى أهله وولده ، وليس لاحد منا هم فيما خلفه ، وقد استودع كل منا ربه أهله وولده » ٠

وأضبحت مصر ولاية عربية ٠٠

وعلى مر الزمن وتعاقب الخلفـــاء ، دخل كثير من المصريين الاسلام ، وأخذ عدد المسلمين يتزايد باضطراد ٠٠ ومرت مصر بفترة عابرة استقلت فيها عن خلافة بغداد ٠٠ ولا يهم القارىء العربى أن يعرف ما دار من أحداث حتى سنة ٩٦٩ ، حـين أنشئت العاصمة الحاضرة : (القاهرة) ٠ وكانت مصر قد آلت الى حكم الفاطميين ، اذ أوفد الخليفة « المعز » جيشا من مـائة ألف رجل ، بقيادة عبد صقلى يدعى « جوهر » فتح البلاد ٠٠ وليست بنا حاجة الى ذكر أحد من خلفـاء « المعز » اللهم الا « الحاكم بأمر الله » الذى أنشأ مذهب « الدروز » ، وقد تولى الخلافة فى سنة ٩٩٦ ، وكان مصابا بنوع من الخبل والتهوس ٠٠ وقد أوسع المسيحيين اضطهادا ودمر كنائسهم (٢) ٠

---

(١) عبادة بن الصامت ٠ ومما يذكر انه كان أسود ، وكان معه وفد من عشرة من البيض ، فسألهم المقوقس كيف قبلوا أن يكون الاسود مقدما عليهم فأجابوه : « انه وان كان أسود ، الا أنه أفضلنا » !

(٢) ذكر « جورجى زيدان » فى « تاريخ مصر الحديث » ، أن ما أوغر صدر الحاكم بأمر الله ضد المسيحيين هو ما أقدم عليه الروم - فى حـرب لهم مع المسلمين - من تدمير مساجد القسطنطينية ٠

الفصل العاشر : المماليك

◆ ما لبثت دولة الفاطميين أن أعوزتها الزعامة الصالحة ، وان أشاع الترف فيها فسادا وانحلالا ٠٠ وقد بلغت أقصى درجات الضعف فى الوقت الذى اشتد فيه نفوذ زعيم اسلامى جديد ، هو نور الدين ـ سلطان الشام ـ الذى اشتهر كمحارب وحاكم صالح ٠ وكان كل من نور الدين و « أمالريك » ـ ملك القدس الصليبى ـ يرمق مصر مدركا أهمية موقعها الستراتيجى ٠٠ الى أن استنجد به « العاضد » ـ آخر خلفاء الفاطميين ـ حين اشتد ضغط الصليبيين عليه ، فأرسل حملة من لدنه ، أمسكت بمقاليد الامور ٠٠ وعلا نجم « صلاح الدين » فى هذه الفترة حتى خلع عليه الخليفة « العاضد » وزارة مصر ٠٠ وما أن مات الخليفة بعد ذلك بشهرين حتى تولى صلاح الدين مكانه ، فعقد عزمه على أن ينشىء دولة قوية تستطيع أن تطرد الصليبيين وأن تسترد بيت المقدس ٠

وكأنما كان القدر يناصره ، فما لبث « نور الدين » وغريمه « اماريك » أن ماتا ٠٠ فوطد صلاح الدين فى الاعوام التالية سلطانه على مصر ، واستولى على بعض أجزاء الشام ٠٠ ثم استسلمت له القدس ، فأبدى لأهلها الامان والعفو ٠٠ واستغرقت الحرب ضد الصليبيين الشطر الاكبر من عهد صلاح الدين ، فلم يقض فى مصر سوى أعوام قليلة ٠٠ ولكن « القلعة » التى لا تزال تطل على القاهرة ، صورة مما استطاع أن يؤديه من أعمال ، قبل أن يموت فى سنة ١١٩٣ ٠ وظلت أسرته « الايوبية » تحكم البلاد حتى سنة ١٢٥٠ ٠ وكان المغول فى تلك الاثناء يزحفون من آسيا الشرقية بقيادة « جنكيز خان » وخلفائه ٠٠ حتى استطاع حفيده أن يستولى على بغداد ـ مركز الخلافة ـ فى سنة ١٢٥٨ ٠٠ ولكن « بيبرس » ـ وكان قائدا يعمل تحت امرة سلطان مصر يومئذ ـ هزم المغول وأجلاهم عن سوريا ، ثم اغتال مولاه السلطان وتولى الملك مكانه ، وأنشأ حكم المماليك فى مصر ، فظل هذا الحكم قائما ـ بمحاسنه ومساوئه ـ طيلة الخمسمائة والخمسين عاما التالية ! ٠٠ وكان سلاطنة المماليك يعملون على تعزيز



صلاح الدين الايوبى

مراكزهم بخلع ملكية الاراضى على الامراء من أنصارهم ، مما ضاعف من نفوذ هؤلاء الامراء ، وأغرى كلا منهم على أن يحيط نفسه بجيش من المماليك والعبيد ، فعاثوا فى البلاد فسادا ، وأصبحت مصر مسرحا للفتن .. وأخذ الامراء - بالرشوة والغدر - يغتالون سلطانا ، لينصبوا من بينهم آخر ، لا يلبث فريق من الحاسدين أن يغتاله بدوره ، ويقيم سواه .. الخ

وأعقب المماليك البرجيون المماليك البحريين ، وكانوا جميعا من الشراكسة ، فيما عدا اثنين من أصل يونانى .. وعلى الرغم من كل ما جرى من قلاقل وحروب ، فان تلك الحقبة من تاريخ مصر شهدت أروع آثار الفن الاسلامى ، وبلغ فن العمارة فيها أقصى درجات الكمال .. كما ازدهرت الفلسفة والآداب . ويقال ان العالم مدين بالصيغة النهائية لقصص « ألف ليلة وليلة » لهذا العهد ، اذ كان اطار هذه القصص - التى قيل ان بغداد كانت مسرحها - مقتبسا من المجتمع الذى عاش فى القاهرة فى زمن المماليك ..

غزو الاتراك لمصر

◆ وفى سنة ١٥١٧ احتل السلطان سليم العثمانى مصر ، ونقل الخلافة الى القسطنطينية - (وقد بقيت مصر ولاية عثمانية حتى حررها (١) الجيش البريطانى فى الحرب العالمية الاولى)

ولم يكن عهد العثمانيين عهد خير بأى حال من الاحوال ، فساءت أحوال مصر ، وسادتها الفوضى ، الى أن علا نجم بونابرت فى سنة ١٧٩٧ ، ورأى أن لا سبيل للتغلب على بريطانيا الا بغزو مصر ، ليقطع طريق اتصال البريطانيين بالهند !

١١ - نابليون بونابرت

◆ اقترب اليوم الثامن والعشرون من يونيو سنة ١٧٩٨ من نهايته ، وليس ثمة ما يوحى الى أهل القاهرة بأن الحياة التى عاشتها مصر قرونا ، كانت موشكة على تطور مفاجىء عنيف .. ولكن ليل ذلك اليوم كان يناقض نهاره .. فقد انتشرت الانباء بأن الاسطول البريطانى فى مياه الاسكندرية !.. وفى الصباح التالى ، أقبل رسول من الاسطول فسعى الى محافظ الاسكندرية السيد كريم ، لينبئه بأن الاميرال البريطانى انما جاء يطارد جيشا فرنسيا كان يمخر عباب البحر الابيض المتوسط تحت قيادة من يدعى « بونابرت » ، وانه يرجو

---

(١) هنا طغت النعرة البريطانية على المؤلف ، فاعتبر الاحتلال تحريرا !!!

السماح للاسطول البريطانى بالمكث فى انتظار تلك الحملة الفرنسية التى يعتقد أنها تدبر غزوا مفاجئا لمصر !

وخشى المحافظ المصرى أن يكون فى الامر خدعة ، فقال للرسول : « ولماذا تريدون أن تحاربوا الفرنسيين فى مياه مصر ، وأمامكم البحر الابيض المتوسط بأكمله لتسووا فيه منازعاتكم ؟ ·· عد فانبىء قائدك بأن مصر تابعة لسلطان تركيا ، وليس للانجليز ولا للفرنسيين شأن بها »

ولم يتوان « نلسون » عن الرحيل ، فقد كان همه الاكبر أن يعثر على نابليون ، وقد اطمأن الى أنه لم يدخل المياه المصرية ·· ولكن الاسطول الفرنسى لم يلبث أن وصل فى فجر أول يولية ·· وهبط منه الجنود ، فوقفوا أمام أسوار الاسكندرية ــ التى كانت قد فقدت رواءها وعظمتها ، وتحولت الى بلدة صغيرة ، فقيرة ، لا تملك قوة للدفاع عن نفسها !

ومن الاسكندرية زحف الفرنسيون الى القاهرة ·· وعند الاهرام واجهوا أول مقاومة ، ثم دارت معركة (امبابة) ·· وعلى أثر الهزيمة ، أوفد أهل القاهرة شيخين لمفاوضة نابليون ، فبادرهم قائلا : « اننى ما جئت لمحاربة المصريين ، بل جئت لتحريرهم من الطغيان »

ونجح الفرنسيون فى اظهار روح الود والاخلاص ·· كما ان مصر كانت فى حال من السوء لا تملك معها الا قبول الامر الواقع ··

خسوف جزئى لنجم بونابرت

◆ ما أن بلغت أنباء معركة الاهرام أسطول الفرنسيين ، الذى كان قد ألقى مراسيه فى خليج أبى قير ، حتى اطمأن ضباطه وشرعوا يعدون العدة للاحتفال بالنصر ·· ولكن سفن الاستطلاع التى كان نلسون قد أوفدها فى عرض البحر ، اكتشفت مربض الاسطول الفرنسى فى أول أغسطس ·· فما لبث غريمه البريطانى أن أقبل متسللا ، ثم أنقض عليه بغتة ·· وأبلى الفرنسيون بلاء حسنا ، ولكن نلسون انتزع منهم الظفر فى النهاية ، وبدد فى ليلة واحدة الخطط والاحلام التى كان يبنيها نابليون للسيطرة على الشرق ! كما أيقظ أوربا وجدد آمالها فى الخلاص من المخاوف التى كانت تبثها أطماع نابليون ··

خسوف كلى لنجم بونابرت

◆ وكان نابليون قد شرع يعمل على فرض الثقافة الفرنسية على مصر ، ولم يدر بنكبة أسطوله الا بعد أسبوع من معركة أبى قير ·· ولكنه بعد الصدمة الاولى سرعان ما تمالك نفسه · كان رغم انقطاع الاتصال بينه وبين فرنسا لا يزال يملك جيشا قويا يطمئن الى ولائه ، ويركن اليه ، ومن ثم تحول يسعى

لكسب ود المصريين على اختلاف طبقاتهم ٠٠ وتحبب الى مشايخ الازهر حتى لقد كان يصدر بياناته بعبارة : « لا اله الا الله محمد رسول عليه » ! ثم شرع يرسم نظاما لحكم مصر على هدى آرائه ومبادئه ٠٠ وشرع يفرض الاصلاحات فرضا ، غير عابىء بالتقاليد والعادات - اذ لم يكن يعبأ باستشارة أحد - فما لبث المسلمون من الاهالى أن شرعوا فى اخراج أسلحتهم من مخابئها ، رغم ما كان يعوزهم من قيادة وخطط ٠ ثم انفجرت شرارة التمرد فى أحد أيام الآحاد من شهر سبتمبر سنة ١٧٩٨ ٠٠ وبادرت القيادة الفرنسية بارسال قوة لاخماد الحركة ، ولكن مصرع قائد هذه القوة ، وتشتت أفرادها ، أذكى جذوة حماس الاهالى ٠٠ فتوالت حوادث الشغب والهياج بشكل يشبه ما حدث فى سنتى ١٩١٩ و ١٩٢٠ ضد انجلترا ، الى درجة تدعو الى الدهشة ٠٠ وسرعان ما تقاطر الفلاحون على القاهرة يشدون أزر الثائرين ، فأقيمت المتاريس في الشوارع لعرقلة الجنود الفرنسيين ، وخربت بيوت الضباط والموظفين منهم وعلقت رؤوس سكانها ٠٠ والف فى الازهر مجلس لتوجيه الثورة ٠٠ ولم يسترد بونابرت زمام الامور الا بعد أن صوب مدافعه من فوق المقطم نحو صحن الازهر ، فما لبث المعقل الحصين أن رفع راية بيضاء يعلن الهدنة ٠٠ وبينما خرج وفد من المشايخ يسعون الى قيادة الفرنسيين ، دخل الجنود حرم المسجد بأحذيتهم وخيلهم ٠٠

واخمد بونابرت الثورة ، ولكن سلطان تركيا - صاحب السيادة على مصر - أعلن الحرب على فرنسا ٠ فلم ينتظر بونابرت حتى يفاجئه العدو الجديد ، بل بادر بالزحف على بلاد الشام ٠٠ ولم يفسد عليه خطته سوى « سير سيدنى سميث » - الذى كان قائدا للاسطول البريطانى فى البحر الابيض - اذ سبقه الى (عكا) ، مستوليا فى طريقه على بعض سفن فرنسية تحمل مدافع الحصار والمؤن والذخائر !

وكان أمل بونابرت أن يثير اهالى لبنان وارمينيا المسيحيين ليسقط الدولة العثمانية ، ثم يزحف برا الى الهند ٠٠ لذلك استمات فى حصار (عكا) واحدا وخمسين يوما ، دون أن يقوى على اقتحامها ، فاضطر للعودة الى القاهرة وقد تضعضعت سمعته كقائد لم يكن يعرف الهزيمة !٠٠ وكانت قوة كبيرة من الاتراك قد نزلت بأبى قير ، فعول على أن يحقق ضدها نصرا يمحو خزى النكبة التى منى بها أسطوله ٠٠ وهزم الاتراك فعلا ، فلاذوا بالفرار ، حتى لقد حفلت صفحة الماء بالمئات منهم يسعون الى الاسطول البريطانى كى يحتموا به ٠٠ وكان بينهم شاب البانى فى حوالى الثلاثين من عمره يدعى ٠٠ محمد على !

وما لبثت أنباء الاضطرابات التى نشبت فى فرنسا ، أن حملت بونابرت على

ان يتسلل عائدا اليها من مصر خفية ـ بمفرده ـ تاركا زمام الحملة فى يد القائد « كليبر »

سير سيدنى سميث

◆ واذ ساء مركز الفرنسيين فى مصر ، دارت اتصالات بين « كليبر » وبين سير سيدنى سميث ، حول تمكين الفرنسيين من الانسحاب دون اراقة دماء ٠٠ فحبذ سميث الفكرة ، اذ كان ثمة جيش تركى كبير مقبلا تحت قيادة الوزير الاكبر ، وخشى سميث أن يلاقى ما لاقاه الجيش الذى سبقه ،ومن ثم تجاهل أوامر نلسون وحمل مندوبين من قبل كليبر على احدى سفنه الى العريش ، حيث اتصلا بقائد الجيش التركى ٠٠ وقام سميث بدور الوسيط الذى كان يعالج الموقف كلما تأزم ، حتى تم الاتفاق على اتاحة الفرصة للفرنسيين كى ينسحبوا فى مدى ثلاثة أشهر ٠ ووقع المندوبان الفرنسيان ومندوبان تركيان ما عرف باسم « اتفاقية العريش » ٠٠ وفى تلك الاثناء وردت أوامر حازمة لسميث من حكومته بأن يمنع انسحاب الفرنسيين ، الا كأسرى حرب !

ولكن القائد التركى لم يعلم بهذا ، فسار بقواته حتى اجتمع بكليبر فى (الصالحية) فوقعا معا الاتفاقية التى وقعها مندوبوهما من قبل ٠٠ ودخلت فرق من الاتراك بعد ذلك القاهرة ، فترك لهم الفرنسيون القلعة والحصون ، ولكنهم رفضوا احتلالها ، وآثروا أن ينصرفوا الى اللهو فى المدينة ٠٠ وأقام الفرنسيون لأنفسهم معسكرا مؤقتا بالقرب من موقع فندق « شبرد » القديم ٠٠ وفى خلال ذلك أخذ المماليك يخرجون من مخابئهم ، وسارت مظاهرات تلاميذ المدارس ٠٠ وفى هذا الجو المضطرب ، تلقى كليبر من سميث نبأ الاوامر البريطانية ٠ كما استقبل القائد التركى ضابطا انجليزيا حمل رسالة من الحكومة العثمانية تضمنت مثل تلك الاوامر ٠٠

وبادر الفرنسيون الى احتلال القلعة والحصون التى أبى الاتراك احتلالها ، ثم اخطر كليبر القائد التركى بوجوب الانسحاب الى (الصالحية) ، فلما أبى ، التقى الجيشان عند المطرية ، وهزم الاتراك ٠

٠٠ واغتيل كليبر بعد ذلك ٠ كما وصلت حملة بريطانية انضم لها الاتراك فاستسلمت لهم الاسكندرية والقاهرة ، بشرط تمكين الفرنسيين من العودة لبلادهم

وهكذا انتهت مغامرة بونابرت ٠٠ وكان من أهم نتائجها أن نبهت الانجليز الى ما لمصر من أهمية عسكرية ٠٠ وان جلبت الى مصر جد فاروق ٠٠ محمد على !

١٢ ـ فرعون مصر الحديثة !

مطامع محمد على

◆ **استغل** محمد على النزاع الذى دب بين المماليك والاتراك والالبانيين ـ الذين كانوا فى الجيش التركى ـ فجمع الاخيرين حوله .. كما انتهز الفوضى التى سادت البلاد فتودد الى الشيوخ والاعيان حتى نصبوه واليا ، وحملوا الباب العالى على الموافقة .

وكان أول ما فعل أن دبر مذبحة القلعة للخلاص من المماليك، وبذلك استتبت له السيطرة على البلاد ، فعمل على النهوض بها ، لا لمصلحة أهلها ، وانما لان أطماعه كانت تتطلب جيشا قويا ، وأسطولا شديد البأس ، وخزانة مفعمة بالمال ! ولعله استمد من تجاربه فى تجارة التبغ فى (قوله) خبرة بنى عليها اقتصاديات مصر .. اذ بدأ بابتياع محصول القمح من البلاد وباعه للاسطول البريطانى .. وألغى الملكية الفردية للاراضى ، وركز الموارد الزراعية للبلاد فى يده ، وأخذ يفرض على الفلاحين زراعة المحصولات التى تدر عليه ربحا ..

وفى سبيل انشاء الجيش الذى كان يصبو اليه ، أوفد بعثة الى السودان للبحث عن الذهب والرجال .. وأنشأ كلية حربية .. وانتزع الفلاحين من دورهم وحقولهم وأرسلهم مصفدين بالاغلال الى الثكنات ليجندوا .. وبدأت مصر جديدة تظهر وتنمو تدريجا ، وفى بطء .. وأخذ مركزها يزداد توطدا وأحوالها تزداد استقرارا ، فتطمئن محمد على الى اقتراب الفرصة التى كان يرجوها كى ينفرد بالسلطان ، ويفصل مصر عن الدولة العثمانية !

وسنحت له أول فرصة لتجربة جيشه فى سنة ١٨٢٢ حين ثار اليونانيون على الحكم العثمانى ، فاستعان به السلطان على

اخماد الثورة ، فى مقابل أن يمنحه جزيرة كريت ٠٠ وأفلح ٠٠ وشجعه ذلك على سلسلة الحروب التى انتهت به الى أن بسط سلطانه من أفريقيا الاستوائية حتى جبال طرسوس ، ورأى أن الوقت قد حان ليضرب ضربته ، ويقيم الامبراطورية المصرية التى كان يحلم بها ٠٠ وأثار هذا حربا بينه وبين الباب العالى ، وصلت قواته فيها الى أبواب القسطنطينية ٠٠ فبهتت أوروبا ، وخشيت الدول الكبرى على ميزان القوى ٠٠ فاضطر الى الانسحاب فى مقابل أن يكون حكم مصر وراثيا فى أسرته ، وأن يملك الجزء الجنوبى من بلاد الشام ما بقى على قيد الحياة ٠٠ وبعث هذا التراجع الذى بدد أحلامه ، حسرة فى نفسه اعتلت بسببها صحته ، فقضى ما بقى من سنى عمره فى قصر شبرا ٠٠ ومات فى الاسكندرية فى سنة ١٨٤٩

١٣ ـ قناة السويس

◆ **بعد** خمس سنوات من وفاة محمد على ، وصل « دليسبس » الى مصر ليعمل على تيسير المواصلات بين أوروبا والشرق بحفر قناة عبر برزخ السويس ٠ وكان « دليسبس » على معرفة طيبة بمصر ، اذ شغل مراكز قنصلية فى القاهرة والاسكندرية بين سنتى ١٨٣٢ و ١٨٣٧ ، كما كان وثيق الصلة بالامير سعيد ، نجل محمد على ٠ **وقد قدر له أن يطلع على تقرير كان أحد مهندسى نابليون ـ ويدعى «ليبير» ـ قد أعده أثناء الحملة الفرنسية ، عن قناة تصل البحر الاحمر بالبحر الابيض ، فأخذ يحلم بالفكرة ويدرسها ، حتى اذا تبوأ صديقه ـ سعيد ـ الحكم فى سنة ١٨٥٤ ، قدم لزيارته ، وزين له فكرة المشروع ٠٠ ولكن الباب العالى وقف فى وجهه ، لما كان يسود القسطنطينية من عدم الثقة بالاجانب ، كما عارضت الحكومة البريطانية المشروع خشية أن يثير ما اسمته « مسألة مصر » ٠**

على أن المهندس الفرنسى ـ الذى كان قد بلغ الخمسين من عمره ـ لم ييأس ، بل ذهب الى بريطانيا بعد عامين ، وعمل ـ رغم معارضة البرلمان والصحافة ـ على الترويج للفكرة فى جميع الاوساط ٠ واذ قنط من الحصول على عون من أية حكومة أجنبية ، اتفق مع بيت « روتشيلد » المالى ، وأغرى سعيد على الاذن له بتكوين شركة رأس مالها مليـونا فرنك ٠٠ ولكى يحمل كافة الدول الغربية الكبرى على المساهمة فيها ، خصص حصصا من الاسهم لكل دولة ٠٠ لكنه لم يتلق اكتتابات كبيرة من أية دولة فيما عدا مصر وفرنسا ٠٠ ولم تكتتب الحـكومة البريطانية ولا الماليون البريطانيون بسهم واحد !

وسار العمل فى المشروع ٠٠ وفى سنة ١٨٦٣ مات سعيد ، فخلفه اسماعيل ، الذى كان لا يقل عن « محمد على » عزما على جعل مصر دولة كبرى ٠٠ والذى صادفت مناسبة افتتاح القناة هوى من نفسه ، فدعا لحضورها ملوكا وأمراء ، وأنشأ قصر عابدين ، وشجع على بناء حى حديث حوله ٠٠ كما شيد مدينة الاسماعيلية ، فى منتصف الطريق بين السويس وبور سعيد ، لكى يبهر ضيوفه بمظاهر العظمة ٠

وافتتحت القناة فى ١٧ نوفمبر سـنة ١٨٦٩ ، بعد يوم وليلة حفلا بالمآدب والمهرجانات والحفـلات الباذخة ٠٠ وفى الوقت ذاته ، ولدت « المسألة المصرية » ، فان اندفاع اسماعيل واسرافه وبذخه ـ لاسيما فى سبيل الحصول على موافقة الباب العالى على أن يكون حكم مصر وراثيا لابنائه ـ كانت سببا فى تراكم الـديون على مصر ٠٠ حتى أشرفت الدولة فى نوفمبر سنة ١٨٧٥ على الافلاس ٠٠ وتوالت الفضـائح ـ وأهمهـا فضيحة بيع أسهم مصر فى قناة السويس للحكومة البريطانية ، وفضيحة « لجنة الدين » التى مكنت للاجانب من أن يمـدوا أصابعهم ، ثم أيديهم ، الى شئون البلاد !

خلع اسماعيل !

◆ ثم جاءت الضربة القاصمة فى ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ ، حين تلقى قصر عابدين برقية ، باللغة التركية موجهة الى « الخديو السابق اسماعيل باشا » ٠٠ وخشى رجال القصر والحاشية أن يقدموها لمولاهم ، ولكن شريف باشا - رئيس الوزراء - استجمع جرأته وحملها الى الخديو ٠٠ وبأعصاب صامدة ، وجأش رابط ، قرأ اسماعيل البرقية ٠٠ ثم أرسل يستدعى ابنه « توفيق » !

وأعلن تعيين «الخديو توفيق» فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٩ ٠٠ وكانت الغيوم تدلهم فى سماء مصر ، وكل الطبقات تئن تحت ما ترزح به من أعباء الضرائب ، والفلاحون يضيقون باستغلال المرابين والاتراك والشراكسة لهم ٠٠ والضباط المصريون فى الجيش ساخطون لما يلقاه الاتراك والشراكسة من محاباة ، دونهم ! ٠٠ الخ

واشتد فى مصر الشعور بأن كل المصائب التى يعانيها الشعب مردها الى الاجانب ٠ وفى سبتمبر سنة ١٨٨١ ، قاد عرابي قوة من ألفين وخمسمائة رجل وثمانية عشر مدفعا الى ساحة قصر عابدين ٠٠ فكانت أول خطوة فى الحملة ضد النفوذ الأجنبى ٠ وما أن حانت أواخر سنة ١٨٨١ حتى كان عرابى - لا الخديوى - هو الذى يمسك بمقاليد الامور !٠ وزادت الامور تحرجا حين أصر مجلس الاعيان على حقه فى أن يناقش الميزانية دون تقيد بسياسة المراقبين الاوروبيين ٠٠ وأعقب ذلك وصول الاسطول البريطانى والفرنسى الى مياه الاسكندرية ٠٠

◆ (وتغلب النعرة البريطانية على المؤلف فى تصوير الوقائع التى أعقبت ذلك ، حتى أدت الى ضرب الاسكندرية ، ثم الى موقعة التل الكبير ٠٠ فقد تجنب ذكر الاطماع البريطانية والدسائس التى حاكها قومه ، والذمم التى اشتروها بالرشاوى ليصلوا الى النصر الخسيس الذى مكنهم من احتلال مصر ! ٠٠ ثم يمضى فى تصوير الحملات التى سارت الى

السودان ، بالصورة التى تظهر بريطانيا ملاكا ، بريئا ، يضحى براحته فى سبيل الغير ! ٠٠ ومن ثم رأيت اهمال تلخيص هذه الفصول غير الامينة ، مؤثرا أن أعود فألتقط الخيط فى الفصل التالى)

١٤ ـ مصر الجديدة فى المخاض !

◆ ليس بوسع أى قلم أن يصف الوضع السياسى لمصر فى تلك الفترة ٠ فمع انها كانت ولاية عثمانية معترفا بها ، الا انها كانت محتلة بجيوش دولة أخرى ٠٠ ومع انها ـ من الوجهة النظرية ـ كانت تحت حكم الخديو ، الذى كان يحكم باسم سلطان تركيا ، إلا أن قوات الاحتلال لم تكن تملك تفادى المسئولية الكاملة عن استقرار الدولة وأمنها ٠٠ لذلك ظل « لورد كرومر » الحاكم الفعلى لمصر ! ومع ذلك فلم يكن بوسعه أن يجد عددا كافيا من المصريين المتعلمين الاكفاء لتولى المناصب الهامة ، فاضطر الى أن ينشىء الاداة الحكومية من « رؤساء انجليز ، وأعوان مصريين ! » ٠ وأخذ يضع الاسس لحكومة دستورية ، مع انه لم يكن يملك من السلطة شرعا أكثر مما يملك أى قنصل عام لدولة أخرى ٠ والأنكى من ذلك ، انه كان لابد من استشارة كل دولة أوروبية قبل اتخاذ أية خطوة هامة ٠٠ ثم كانت هناك الامتيازات الاجنبية

ولكن الصعاب لم تثن كرومر ٠٠ وكانت البلاد فى تلك الاثناء قد أصبحت تدر دخلا ، وأصاب الضرائب تخفيض كبير ، وخفت قبضة الدائنين ، وتوفرت الاعتمادات للمشروعات التى تستلزمها حاجة البلاد ٠٠ وأصلح نظام السجون ٠٠ وأخذت رؤوس الاموال الاجنبية تتدفق على مصر ، وانتعشت التجارة ٠٠ وفى السودان لم تكن مهمة كيتشنر ـ كحاكم عام ـ بأقل من مهمة كرومر فى مصر (كذا !)

فى تلك الظروف لقى الزعيم « مصطفى كامل » التشجيع الذى أوحى اليه بخطبه المثيرة الاولى ، فى الاوساط المعادية لبريطانيا فى باريس ٠٠ وكان يدين بالفضل فى دوره السياسى الى سيدة باريسية هى مدام « جولييت آدم » ٠٠ وعندما عاد الى مصر ، انشأ الحزب الوطنى ، وصحيفة تثير الخواطر ضد بريطانيا ! وأخذ ينشر آراءه بين الشبان المصريين المتعلمين وانصاف المتعلمين ٠٠

وكان تقدم البلاد تحت ارشاد كرومر سريعا ، حتى غدا واضحا أن من الممكن أن تتحول مصر بعد أمد غير طويل الى دولة مستقلة ، تحت حكومة دستورية أمينة ، بغير ما عون من بريطانيا ٠٠ وكان الرأى فى انجلترا ـ فى عهد حكومة الاحرار ـ يصر على أن ادخال النظم الديموقراطية أمر ضرورى يتطلب التعجيل بتحقيقه ، ولكن كرومر كان يرى أن طابع البلاد يتطلب التمهل

والتدرج فى ذلك .. فلما اعتزل منصبه فى سنة ١٩٠٧ ، استطاعت حكومة الاحرار أن توجه خليفته « سير الدون غورست » الى أن يعمل على تخفيف الرقابة والارشاد البريطانيين فى شئون الحكم ، الى أقل ما يمكن ، وتشجيع الوزراء المصريين على أن يصرفوا الشئون بأنفسهم وأن يتحملوا المسئوليات (١) .. وكانت النتيجة أن الاستقرار لم يلبث أن تعرض للخطر ، وأن أبدى الفلاحون امارات فقدان الاحترام للسلطات ، وعاد سوء استغلال النفوذ (!!)

عهد كيتشنر

• ومات « غورست » فى سنة ١٩١١ ، فوقع الاختيار على لورد كيتشنر ليخلفه . ولم يكن من دعاة ادخال النظم السياسية الغربية فى الشرق ، ومن ثم قرر أن يعمل وفقا لما تمليه آراؤه . وقد قال مرة : « ان الروح الحزبية لشعوب الشرق كالخمر القوية لاهالى أفريقيا غير المتمدينين » !.. ومن ثم انفرد بالحكم ، على الرغم من نمو نفوذ الحزب الوطنى تحت زعامة سعد زغلول باشا (!!؟)

وعندما قامت الحرب العالمية الاولى ، وكان مركزنا فى مصر دقيقا ، وثمة خطوة واحدة لا غنى عنها لتنظيمه .. وضعت مصر تحت الحماية البريطانية . واذ كان الخديو عباس الثانى فى تركيا ، فقد أعلن السلطان حسين خليفة له .. فلما مات سنة ١٩١٧ ، خلفه فؤاد ..

وعندما وقعت الهدنة فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، تذكر كثير من المصريين ما قيل عند بداية الحرب من أنها صراع فى سبيل « حقوق الامم الصغيرة » !.. وتجمعت الغيوم فى سماء مصر .. ونفى سعد زغلول الى مالطة ، وسارت المظاهرات فى كل مكان .. ثم انفجرت الثورة .. وأخذت تشتد عنفا وحدة . وأوفدت الحكومة البريطانية بعثة ملنر للتحقيق ، فقوبلت بالمقاطعة !

١٥ ـ الاستقلال

• وأخذت الحركة الوطنية فى مصر تتطور وتطرد .. حتى انتهت حكومة لويد جورج الى اعلان رفع الحماية عن مصر فى سنة ١٩٢٢ ، واعتبار مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، مع الاحتفاظ بأربع نقاط ، هى التى عرفت بالتحفظات الاربعة : سلامة مواصلات الامبراطورية ، والدفاع عن مصر ضد أى عدوان ، وحماية الاقليات ، والسودان ..

---

(١) وهكذا يغالط المؤلف الحقائق ويتجاهل الكفاح الذى كان بين الوزراء والتدخل البريطانى .

وصدر الدستور أخيرا فى أبريل سنة ١٩٢٣ ، وأجريت الانتخابات لأول برلمان فى يناير سنة ١٩٢٤ ، ففاز حزب الوفد بأغلبية ساحقة ٠٠ وفى الوقت ذاته ـ تقريبا ـ قامت حكومة العمال فى انجلترا ، فانتعشت فى نفوس الوطنيين المصريين آمال جسام ٠٠ لكن المفاوضات بين زغلول ومكدونلد لم تصب نجاحا ٠٠ وأعقب ذلك تجدد الاضطرابات ، واغتيال السردار « لى ستاك » ٠٠ ألخ

ثم توالت المفاوضات والاضطرابات ، بالتناوب ٠٠ وفى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ وقعت معاهدة التحالف التى أنهت الاحتلال ، ووفرت لمصر شبه استقلال، لاول مرة منذ الفتح العربى تقريبا ، واعترفت بقناة السويس كوسيلة لا غنى عنها للمواصلات بين ارجاء الامبراطورية البريطانية ٠٠ وأباحت بقاء قوة بريطانية محدودة فى منطقة القنال ، كما اعترفت باستمرار مبدأ الحكم الثنائى فى السودان ٠٠

وكان الملك فؤاد قد مات أثناء المفاوضات ، وخلفه ابنه فاروق ٠٠ وفى مايو سنة ١٩٣٧ تمت الخطوة الثانية فى سبيل استكمال مصر استقلالها وسيادتها ، فألغيت الامتيازات الاجنبية بموجب « اتفاقية مونترو » ٠٠

وقبل أن تنسحب القوات البريطانية من داخل البلاد الى منطقة القنال ، قامت الحرب العالمية الثانية ٠٠ ومرة أخرى حرصت بريطانيا ـ وعاونتها الولايات المتحدة بعد فترة من بداية الحرب ـ على أن تحول دون أية دولة أجنبية وغزو مصر ٠٠ وأخذ البارومتر السياسى فى البلاد يعلو وينخفض تبعا لموقف الفريقين المتحاربين ـ كما حدث عندما تقهقرت القوات البريطانية أمام روميل فى سنة ١٩٤٢ ـ اذ اجتاحت البلاد موجة من العداء لبريطانيا ، ورأت السلطات البريطانية ما جعلها تعتقد بأن فاروق اعتزم اسناد الوزارة الى على ماهر الذى كان يميل للمحور ، فعمدت السلطات العسكرية البريطانية الى الحيلولة دون ذلك ٠٠ ومن ثم حاصرت قصر عابدين فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، ووجهت انذارا الى فاروق بأن يعين النحاس باشا رئيسا للوزارة أو يغادر البلاد ٠٠ وانصاع فاروق ، فأجريت انتخابات فاز فيها النحاس وحزبه ٠٠

وفى سنة ١٩٤٥ ، كان شعور المصريين بالعداء نحو بقاء قوات أجنبية فى مدنهم قد بلغ أقصاه ٠٠ فثار هياج ، أذكى الوفد ضرامه ، وكان يومئذ فى المعارضة ٠٠ واذذاك أوفدت الحكومة البريطانية فى سنة ١٩٤٦ وفدا ليباحث الحكومة المصرية بشأن تعديل المعاهدة ٠٠ وأعلن « اتلى » فى مجلس العموم أن حكومته اقترحت سحب القوات البريطانية من الاراضى المصرية ، والمفاوضة لتعيين مراحل الانسحاب وآخر تاريخ له ٠٠ فكان أن شن حزب المحافظين معارضة شديدة لهذه الفكرة ٠٠

وكان يوم ٤ يوليو سنة ١٩٤٦ يوما مشهودا – على النقيض تماما من مثيله فى سنة ١٧٧٦ – اذ أنزل العلم البريطانى عن القلعة ، وانسحبت القوات البريطانية من المدن المصرية الى منطقة القنال ..

واستمرت المفاوضات بين « بيفن » والحكومة المصرية .. بينما دعا الوفد الشعب الى الجهاد لاستكمال سيادته ، فثارت الاضطرابات فى القاهرة ، واعتقلت الحكومة الكثيرين .. ثم تألف جيش للتحرير القومى رحل الى منطقة القنال فى أوائل سنة ١٩٥٢ ليجاهد ضد القوات البريطانية (١) .. وازداد الهياج عنفا ، حتى استحال الى فوضى من تدبير شيوعيين أجانب .. وقام حريق القاهرة !

وبعد ذلك بستة شهور ، أمسك فريق من الضباط بزمام الأمور ، واضطر فاروق الى النزول عن عرشه لابنه .. وبعد عام ، أعلن مجلس الثورة انتهاء الملكية وقيام الجمهورية ..

ومر عام آخر ، ثم وصلت بريطانيا ومصر فى سنة ١٩٥٤ الى اتفاق نظم جلاء القوات البريطانية خلال عشرين شهرا .. ووقعت الاتفاقية رسميا فى أكتوبر سنة ١٩٥٤ فى البهو الفرعونى بمبنى البرلمان بالقاهرة .

واذا كان عام ١٩٤٦ يمثل انبثاق فجر مرحلة جديدة من تاريخ مصر ، فان عام ١٩٥٤ يمثل اليقظة .. يقظة مصر من سباتها .

---

(١) يبدو أن المؤلف لم يسمع اطلاقا عن الغاء المعاهدة ، اذ لم يورد ذكرا لما سبق ذهاب جيش التحرير الى منطقة القناة .



مدرسة الوالدين

صعوبات التفاهم الزّوجي!

للباحثة الفرنسية
الدكتورة فرناند ايزانبير

تلخيص : كليم أبو سيف

اقرأ هذا البحث .. قبل أن تتزوج !

◆ كل انسان معرض لأن .. يتزوج !!

.. فهل يحتاج الأمر الى التفكير واعمال الذهن ، قبل الاقدام على تلك التجربة « المفروضة » على أولاد آدم وحواء ؟! .. وهل ينبغى على المرء أن يجرى « اختبارا » لمن سيكون له شريكا فى الحياة ، استهدافا للوصول الى فهمه وادراك عناصر شخصيته ، ومن ثم الاستقرار على رأى نهائى : اما المضى فى طريق الزواج الى غايته .. أو العدول عنه ؟!.. فاذا ارتأى المرء أن « لامفر من الزواج ! » .. وجاءت الليلة الكبرى .. فعلى أى وجه يكون تصرفه ومسلكه ، ازاء شريك حياته ؟! .. حتى اذا هدأت جذوة الأيام الأولى للزواج ، وروت فترة « الاشتياق » ظمأها .. على أى وضع تكون العلاقات بين الزوجين ، وأى شكل تاخـذه ، لتحافظ على ذكرى الايام الحلوة الأولى ؟!

تلك الاسئلة الدقيقة ، ذات الحساسية الخاصة ، وكثير غيرها ، يسوق اليك الاجابة عليها ، هذا البحث الذى أقدمه لك اليوم .. فتعال نعى تلك الدروس ، لنكون على بينة من الامر .. قبل أن نخطو خطوتنا الحاسمة .. ونتزوج !

الوقاية .. خير من العلاج .. قبل الزواج !

◆ اذا أردنا لاولادنا تربية صحيحة ، فانه يتعين علينا أن نعيش معهم ، وأن لا نغيب عنهم طويلا ، وهذا يوجب علينا بالتالى أن نكون على درجة من الاتزان بحيث لا ندع لمشاكلنا الخاصة ـ نحن الآباء والأمهات ـ سبيلا الى احداث أى اضطراب فينا قد يؤثر على أولانا وعلى اشرافنا عليهم .. وبغير هذا فاننا نصبح معرضين لمضاعفات كثيرة ، مبعثها تأثير مشكلاتنا الخاصة فى الاسلوب الذى نتبعه فى تربية أولادنا . فهذه أم ، تحس بأن انعدام عطف زوجها عليها ينغص عليها حياتها ، فاذا بها تتطلب من ابنها أن يتغالى فى حبها والعطف عليها ، ليعوضها بذلك عن عطف زوجها الذى افتقدته !.. وهذا أب يعجز عن فرض شخصيته على زوجته ، فيحـاول أن يثقل كاهل ابنه بالاوامر الصارمة عساه أن يظهر بذلك أمام زوجته بمظهر الرجل القوى صاحب السلطة فى منزله !.. وهذا أب آخر يضيق ذرعا برؤية أطفاله يروحون ويجيئون أمامه فى المنزل ، ويضيق بصياحهم وضحكاتهم على السواء ، وذلك بدافع الاحساس بالغيرة ، لان وجودهم يحتكر التفات زوجته ورعايتها ، وهو يريد هذه الرعاية وذلك الالتفات لنفسه !

ومما تقدم نستنتج أنه من الواجب العناية بالبحث فى اتفاق أمزجة الزوجين وعدم التنافر بين عقليهما وعقليتيهما ، على أن يكون ذلك « قبل مولد الاولاد » أى « قبل الزواج » .. والا تعرضنا لتلك المناقشات والمشاحنات التى كثيرا ما تقع بين الازواج ، والتى لا تتفق مطلقا مع الجو الذى يجب توفره لتربية الاولاد تربية سليمة صحيحة .

وهذا يقودنا الى أن نعرض الامور الاربعة الآتية :

أولا : فترة الخطبة

ثانيا : ما يجب على الشاب أن يعلمه عند الزواج

ثالثا : ما يجب على الفتاة أن تعلمه عند الزواج

رابعا : مسلك الآباء قبل الاقدام على تزويج أبنائهم

فترة الخطبة

• ان الذى يحدث أثناء فترة الخطبة عادة هو أن لا يهتم الخطيبان بمعرفة أحدهما الآخر المعرفة الدقيقة الواجبة . ومرجع ذلك الى أن أحد الخطيبين لايرى فى الآخر أثناء تلك الفترة الا الصورة التى طالما تخيلها وتمناها ، وحلم بها ، لا الصورة الحقيقية المجردة من الخيالات والاوهام . وتلك هى المخاطرة الاولى التى يتعرضان فيها معا لمفاجآت وخيبة أمل لم تكن فى الحسبان .

هذه الصورة الخيالية تجعل كلا من الخطيبين يفسر ما قد يبدو فى تصرفات الآخر من شذوذ وأخطاء خلال تلك الفترة ، بأنه نوع من الغرابة ، أو قل من الطرافة ، فى الامزجة أو التصرفات ، لا أنه خطأ أصيل فى الطبع ، أو شذوذ متمكن من نفس الطرف الآخر . ويستتبع ذلك أن تترجم النزوات والاهتزازات العصبية التى قد تصدر عن الخطيبين بأنها ناجمة عن الموقف غير الطبيعى الذى يوجدان فيه أثناء تلك المرحلة ، وأن موقف « الاشتياق » هذا هو الذى يسبب تلك الفورات ، فاذا ما تم الزواج فان كل الذى رأيناه يحدث أثناء فترة الخطبة سيزول ، وسوف تعود الاعصاب الى هدوئها ، والامور الى نصابها !

وقد يكون هذا صحيحا . الا أنه ليس من الحكمة أن نقيم دعائم أسرة على أسس من التخمين ، لان صقل الزوجين عملية دقيقة يجب لاتمامها أن يجتازا معا فترة عصيبة ، وهو يقتضيهما صبرا طويلا ، وتجاوزا من كل منهما عن كثير من حقوقه ، وذلك ليكتمل الانسجام والتوافق بين أخلاقهما .. وكل هذا لا يتم الا بعد عدة سنوات !

وهناك أنواع كثيرة مختلفة ، متباينة ، متضاربة من الزيجات . فمن الخطأ أن نحاول وضع قواعد عامة ثابتة للزواج ، أو أن نتخذ من حالات معينة قواعد ثابتة نطبقها على سائر الحالات ، فما يطبق على زوج قد لا يصلح تطبيقه على

زوج آخر . فسن الازواج أو الزوجات ، والاوساط التى نشأوا فيها ، وآراؤهم السياسية ومعتقداتهم الدينية .. كل هذه أمور تؤثر فى الحياة الزوجية ، ولكن من أشق الامور أن نجعل منها قواعد راسخة لا تتغير ، يصلح تطبيقها على الجميع . فبينما نرى ائتلاف زوجين ناتجا فى بعض الاحيان من توافق مزاجيهما وعقليتيهما ، اذا بنا نلاحظ أن اختلاف مزاجى زوجين آخرين وتباين عقليتيهما هما سبب هذا الانسجام الذى يخيم على حياتهما الزوجية !

على انه يجب أن لايغيب عن بالنا أن عنايتنا لاينبغى أن توجه الى الاخلاق الشخصية للزوج أو الزوجة فحسب ، بل يجب أن تتجه كذلك الى عادات كل منهما ، وذوقه الذى اكتسبه من الوسط المحيط به أو الاسرة التى نشأ فيها ، أو الصداقات التى يعقدها مع الآخرين ..

فاذا أنت جردت نفسك من تلك الصور الخيالية الزاهية التى تستحوذ على لبك أثناء فترة الخطبة ، فتعميك عن النفاذ ببصيرتك الى جوهر الطرف الآخر الذى سيكون شريك حياتك ، فمن يدرى .. فانك قد تجد نفسك ـ بعد الزواج ـ أمام حقائق قد تبدو لك مروعة ومنفرة الى حد بعيد !

زواج الهرب ! LE MARIAGE D'EVASION

• ما معنى هذا التعبير ؟! انه يعنى ذلك الزواج الذى يلجأ اليه الاعزب ، هربا من العزوبة ، وما فيها من متاعب ،ووحدة ، وملل .. أو هربا من الضغط الذى قد يكون واقعا عليه من الاسرة التى يعيش فيها !

هذا النوع من الزواج قل أن يحالفه التوفيق ، بل يكاد الفشل أن يكون من نصيبه دائما .. اذ لا يمضى طويل وقت حتى تظهر الحقيقة سافرة للزوج ، وهى انه أراد أن يتحرر من أسرة تحد من استقلاله وتسلب حريته ، ليقع فى براثن أسرة أخرى ترغمه على الحد من هذا الاستقلال من جديد !



وهناك عدد من الزيجات يزيد كثيرا على ما نتصوره ، يتم على أثر قراءة بعض المجلات ، أو بعد المراسلة الطويلة أو القصيرة !.. مثل هذا الزواج يعرض صاحبه لملاقاة مخلوقات خيالية ، تأخذ بعد الزواج فى التبلور رويدا رويدا ، حتى تظهر آخر الامر وقد اختلفت عن الحقيقة اختلافا عظيما !

وكثيرا ما يتزوج الشاب أو تتزوج الفتاة ، وليس عندهما الرصيد اللازم من العواطف التى هى بمثابة السياج المتين الذى يحمى الحياة الزوجية • فلا يتزوج الشاب ليصبح زوجا بحق ، ولا تتزوج الفتاة لتصبح زوجة بحق •• فالفتاة تتزوج وهى تحتفظ فى تلافيف نفسها بالرغبة فى أن تظل - رغم زواجها - الفتاة التى تتطلب من زوجها أن يكون لها بمثابة الأب لا الزوج ، فاذا أحبته فانما تحبه حب الاب الذى عرفته فى طفولتها أو الذى لم تسعدها طفولتها بمعرفته !•• كذلك يتزوج الشاب وقد احتفظ فى ثنايا نفسه بالرغبة فى أن يظل - رغم زواجه - الابن الذى يتطلب من زوجته أن تكون له بمثابة الأم ، التى كانت تحميه دائما وترسم له الطريق الى الحياة ، وتسبغ عليه العطف الذى يحتاجه لطمأنينة نفسه واستقرارها !

وكل هذه أخطاء كبيرة •• فالرجل يبحث عن امرأة •• لا عن طفل يصدر اليه أوامره ونواهيه ، أو عن أم تدلله وتحميه !

•• والمرأة تبحث عن رجل •• عن رفيق يؤنس وحشتها ويملأ حياتها ، لا عن رجل يدافع عنها ضد الآخرين !

ان المخلوقات البشرية تقترب من بعضها بعضا لتستمتع بالحياة مجتمعة •• فاذا رغب انسان فى الانفراد وحده بالمتعة ، بدأت أولى الخطوات التى تقوده الى خيبة الأمل وفصم أواصر الحياة الزوجية • ويستتبع ذلك أن تصبح العلاقة الجنسية بين الزوجين علاقة بهيمية تكون مثارا لمآسى عنيفة أو مهازل مخزية • وعندئذ يصاب الحب بنكسة لا شفاء له منها !

فاذا تزوجت وأنت تنوى الاستئثار لنفسك بأكبر قسط من المتعة فأنت على عتبة سوء تفاهم سيرين على حياتك الزوجية حتى نهايتها •• لأن الزواج الحقيقى انما هو الرغبة الصادقة فى اسعاد الشريك الاخر ، والسعادة الحقيقية هى التى تنعكس عليك أشعتها المنبعثة من سعادة الشريك الآخر ، وليست هى التى تنفرد بها وحدك وتتذوق طعمها بمفردك !

ان الشباب يزول بما فيه من جمال •• والمزايا المادية التى قد تكون من آثار الزواج تزول أيضا • أما صفات الانسان الاصيلة ، المتغلغلة فى أعماق نفسه ، وما يتحلى به من نشاط وقوة وحيوية وسخاء ، فهى باقية لا تزول لانها جوهره الحر الذى لا زيف فيه !

كيف يتم الانسجام بين الزوجين ؟

• لا يتم الانسجام بين الزوجين الا اذا عقدا العزم معا على الامور الآتية :

١ - أن يسيرا بالحياة الزوجية فى طريق النجاح • ولكى يتم لهما ذلك يتعين على كل منهما أن يصمد أمام الفشل الذى قد يلاقيه فيها ، وأن لاتثبط همته أو يدع اليأس يتسرب الى نفسه ، ولو أصيب بخيبة أمل أو مر بلحظات قاتمة !

٢ ـ أن يتفهم كل منهما عقلية الآخر ويستعرض آراءه الخاصة . فاذا حاول كل منهما أن يتمم الآخر ، فانه سوف يعثر فيه على ماينقصه .. ولكن بشرط أن لا تختلط آراؤهما ومبادئهما ووجهات نظرهما اختلاطا يطغى على رصيد كل منهما ، من آراء ومبادىء ووجهات نظر مستقلة ، ومثل عليا خاصة !

٣ ـ أن يساعد أحدهما الآخر فى مهمته فى الحياة ، وذلك بأن يجعله سعيدا، ويعاونه على أن يتمتع بقسط من الحرية ، وأن يفهم قدر نفسه !

هذا ويعتبر الزوجان مسئولين أمام أولادهما ، عن الاستيثاق من قوة صحتهما وسلامتها قبل الزواج ، لان من العسير أن يجد الزوجان ، بعد الزواج ، متسعا من الوقت للعناية بصحتهما .. واذا وجداه فقد يكون ذلك بعد فوات الأوان ! وللزواج التزاماته الكثيرة المرهقة ، التى قد لا تتوفر مع القيام بها مايحتاجه الزوجان من الراحة التى هى الدعامة الاولى للصحة الجيدة والمزاج الرائق . ومن ثم فعليهما أن لا يثقلا كاهليهما بالأعبـــــاء التى لا مسوغ لها ، والا حرما لذة تلك الراحة الضرورية لصيانة صحتهما

ولا يسع الخطيبان فى تلك الفترة الا التفكير فيما قد ينتجه زواجهما من أطفال. وهما يحسان بأنهما أمام مخلوق « مجهول » يحاول أن يشق طريقه الى الحياة .. وهذا « المجهول » الملثم بلثام الغيب ، هو الذى يدفع الفتى والفتاة الى الاقتراب أحدهما من الآخر ، والامتزاج أحدهما بالآخر . وان تصور مولد هذا الطفل ، لهو الاحساس الذى يستشعره الخطيبان دفعة قوية من دفعات الحياة ، تدفع بهما الى الامام ، وتفسيرا قويا يوضح لكل منهما مافى الحياة من جمال ،وحقيقة ما يكمن فى حبهما من قوة .. « خالقة » !

ان شعورا بعدم الرضى ، يستبد بالمرأة طالما هى لم تتمم رسالة الحب فى الحياة .. تلك الرسالة التى لا تتم الا اذا رأت نفسها وبجانبها وليدها الذى تعتبره أجمل تقدمة تمنحها ، لا الى زوجها فحسب ، بل والى الانسانية جمعاء !

وينمو الطفل ، ويتفتح كالزهرة ، اذا جاء الى هذه الدنيا وليد الرغبة فيه والشوق اليه !.. ومن الملاحظ أن نمو مثل هذا الطفل يفوق نمو الطفل الذى يأتى الى الحياة نتيجة ظروف قاهرة لا دخل لرغبة الزوجين فيها !

ان قدوم الطفل الى بيت أبويه لا يضيرهما فى شىء ، ولا يؤذى مشـاعرهما المتبادلة كزوجين ، بل انه ـ على النقيض ـ يعتبر الدعامة القوية التى يقوم عليها حبهما ، وهو المعين الذى يفيض عليهما فيغمرهما بالحب والعطف والحنان !

ما يجب أن تعلمه عند الزواج

◆ للمرأة كيان يختلف ، فى عناصره واتزانه ، عن كيان الرجل كل الاختلاف. فهى تجتاز فى كل شهر فترة « الطمث » ـ الحيض ـ التى تكون أثناءها ـ وقبلها بصفة خاصة ـ معرضة لانفعالات من الناحيتين العصبية والنفسية ، تجعلها أكثر

شعورا بالحاجة الى عطف الرجل • وسبب ذلك الاختلال العصبى والنفسانى التى تصاب به المرأة ، أثناء تلك الفترة ، هو أن « الطمث » دليل على أن «بويضة» الرجل اللقاحية لم تتقابل مع « بويضة » المرأة ، والا فلو تقابلا لحدث «الحمل» ولما واتاها « الطمث » !•• فالرجل أكثر استقرارا من المرأة من هذه الناحية ، ومن ثم يجب ، والحالة هذه ، أن لا يلقى باله الى ماقد يصدر من زوجته ، وخلال تلك الفترة على الاخص ، من اساءات ليس من السهل عليها أن تتجنبها !•• الا انه يخطىء مع ذلك اذا هو اصطنع مع المرأة أسلوب الترفع والاحتقار ، ازاء تلك الهفوات التى قد تصدر منها فى لحظات الضيق أو التعب ، لأن مبعث تلك الاساءات التى تصدر عنها قد لا يكون راجعـــا الى تلك الظاهرة الجسمانية فحسب ، وانما قائم فى دخيلة نفسها على شعور بعدم الرضاء ـ نحو زوجها ـ انطوت عليه نفسها !

لا تعبس فى وجه زوجتك !

◆ على أن أهم مايجب أن يفهمه الرجل ، هو أن الحساسية النسائية ، فى انطلاقها وتدفقها ، أقوى وأغزر من حساسية الرجل • فكلمة صغيرة تنم عن العطف والتشجيع تستطيع أن تهدىء من ثائرة يوم يبدو فى مطلعه أغبر عاصفا• وليس معنى ذلك أن يكتفى الرجل بقول كلمة رقيقة عابرة ، فقد تكون تلك الكلمة غير كافية لتبديد ما يخيم على جو البيت من غيوم !

ويميل بعض الأزواج الى الصلح مع زوجاتهم بعد فترات من العبوس ، لأنهم يستشعرون فيه شيئا من اللذة •• خاصة وان الصلح ينتهى آخر الامر بالقبلات ثم بالنسيان !•• ولكن على الزوج أن يعلم أن فترات العبوس هذه ليست الا تصدعات تهز قوائم بناء الحياة الزوجية !•• فالمعاكسات والمشاكسات التى تقع بين الأزواج ، تحدث أثرها المؤلم دائما ، وعلى الأخص اذا اضطرد وقوعها بانتظام • وقد يجد فيها الزوج طرافة ، فيحلو له أن ينتقد تصرفات زوجتهأمام أصدقائه فى بعض الأحايين ، دون أن يقصد من انتقاده هذا الى أى مرمى خبيث، بل كل مايرمى اليه هو الدعابة ليس غير !

حقيقة أن المرأة قد تأتى أحيانا فى بيتها تصرفات مضحكة أو أعمالا يجافيها التوفيق • ولكن على الرجل أن لا ينسى انها قد بذلت فى تلك الأعمال مجهودا صادقا مخلصا استغرق كل وقتها وجهدها ، بالرغم مما قد يعتورها من خطأ • ومن ثم ينبغى أن لا يجعل هذه الأعمال موضع سخرية ، وأن لا يجعل زوجته بالتالى موضع تندر أمام الآخرين !

ان أعمال المرأة اليومية فى بيتها تسير عادة على وتيرة واحـــدة • وكثيرا ما لا يقدر الزوج تلك المجهودات التى تبذلها زوجته لاتمام الاعمال المنزلية اليومية ، والمواظبة التى تستلزمها فى اتمامها حتى لا تتراكم ، وذلك بالرغم مما يحسه من أثر تلك الاعمال بالنسبة له ولأولاده • والزوجة من جانبها تترقب



عودته الى المنزل ، وترى فى هذه العودة الترويح الوحيد عن نفسها من مشاق يومهـا • فهى تنتظر فى لهفة رؤية علامات الرضى مرسومة على وجه الرجل الذى تعيش معه ، وتعـد كل شىء لارضائه • فمن القسوة اذن أن يعتبر الرجل تلك الأعمال ، أعمـالا طبيعية لاتستحق منه لفتة خاصة !

واذا كانت المرأة ، من جانبهـا ، لا تقدر المتاعب التى يصادفها زوجهـا فى عمـله ، فقد يكون مرجع ذلك الى أن زوجها لا يشركها معه فى أعماله • أما اذا أحاطها علما بظروف عمله اليومى فانها لاشك تزيد من احترامها وتقديرها لمجهوداته ، كما يزيد كذلك تقديرها لحاجته الى الهدوء والسكون والراحة اذا ما عاد الى بيته ••

ان المرأة وفية بطبيعتها ، الا اذا استثنينا أولئك اللواتى يتركن زمام قيادهن للغرائز ، أو للرغبة فى الحصول على المال !•• على أن خيانة المرأة ، كثيرامايكون مبعثها خيبة أملها فى زوجها ، ورغبتها فى العثور على شخص آخر تجد فيه مزايا الرجل الذى تصبو اليه ، والذى تظل وفية له فى أطواء نفسها !•• ونحن نعترف بأنه ليس من السهل أن يقتنع الرجل بمنطق المرأة فى هذا الصدد !

أما من ناحية الرجل ، فللوفاء عنده معنى آخر يتلخص فى اكتفائه بعدم خيانة زوجته جسديا مع امرأة أخرى •• وبعد ذلك فهو حر فى أن يبحث خارج منزله عن سائر أنواع المتع والمسرات ، حتى اذا عاد الى منزله بالغ ــ بحسن نية ــ فى اظهار حبه لزوجته من الناحية الجسدية ، وهو لايدرى أنها تتألم أشد الألم عندما تلاحظ أنه يخصها بالوفاء الجسدى ، ويوزع وفاءه الروحى على غيرها !

صعوبة « التأقلم الجنسى » بعد الزواج !

◆ والواقع أن الشاب الذى يكون قد مارس قبل زواجه ، حياة اللهو مع الفتيات غير المحصنات ، يجد صعوبة اذا حاول التغلغل فى عقلية الفتاة المحصنة! •• وكثيرا ما يخلط الشاب بين الفتاة «الوقور» وبين الفتاة « البكر » فيعتقد أن الصفتين ملتصقتان مع أن هذا ليس صوابا دائما • فقد تكون الفتاة وقورا ومع ذلك فهى ليست « بكرا » !•• كما أنها قد تكون « بكرا » ولكن ينقصها



« بتاح » اله (ممفيس) مرتديا معطفه الذى تبرز منه ذراعاه ، وهو يحتضن الملك « سيزوستريس » الاول (الاسرة الثانية عشرة ، حوالى عام ١٩٣٠ ق٠م)



رغم فراغ العينين الشاغرتين ، فان عذوبة الابتسامة التى تبدو على قناع الملك «تحتمس الثالث» تجعل من هذا التمثال تحفة من تحف فن النحت المصرى القديم (الاسرة الثامنة عشرة - عام ١٤٨٠)

الوقار !٠٠ فالخفة وعدم التدقيق فى هذه الامور قبل الزواج ، قد تنجم عنهما تلك الصعوبة التى يعانيها الزوج الشاب فى « التأقلم الجنسى » بعد زواجه !٠٠ ذلك انه قد يكون ، قبل الزواج ، قد استساغ طعم الشهوات الجنسية الفائرة المعقدة ، واعتاد عليها ٠٠ فاذا تزوج من فتاة مستقيمة الخلق ، « محتشمة » ، احس بخيبة أمل لقلة اختباراتها فى هذه الناحية ، الأمر الذى يدفعه الى المقارنة بينها وبين غيرها ، ومن ثم يتولد فى ثنايا نفسه حنين الى تلك العلاقات الشهوانية الجامحة القديمة ، التى طالما استعذب مذاقها قبل الزواج !

والفرق بين الرجال والنساء فى هذه الناحية يتمثل فى أن الرجال يقيمون وزنا كبيرا لهذه الأمور ، ويقارنون بين الأنواع المختلفة من النساء ، من الناحية الجنسية الحسية ٠٠ بينما لا ترى المرأة فى هذه العلاقات الا اسلوبا من أساليب التعبير عن حقيقة العاطفة الانسانية وجوهرها ٠٠ أما الناحية الجنسية فهى بالنسبة للمرأة ثانوية !

على أن هناك مسألة هامة أخرى ، وهى أنه يجب على الرجل أن يصارح خطيبته بماضيه ، ويكشف لها عنه ، وليثق ان تلك المصارحة لن تؤثر فى اخلاصه لحاضره ووفائه له ، كما أنها لن تؤثر فى تقدير خطيبته له ٠٠ فهى اذا عرفت ، أثناء فترة الخطوبة ، بماضى خطيبها ، فعلى الرغم من الألم الذى يستولى عليها - وهو أمر طبيعى - الا أنها مع ذلك تكون على استعداد لنسيان ماضيه ، بكل ما يحتويه ٠ وهى تفضل ذلك على معرفة هذا الماضى بعد الزواج ، على انه حقيقة تفرض عليها فرضا !

وعلى اية حال يظل كل من الفتى والفتاة فى مهاب عواطف شديدة تتقاذفهما ، قبل أن يقر قرارهما ويثبتا على حال ٠ وهما لن يصبحا صالحين للزواج ، الا عندما يستشعران معا رغبة قوية ، ملحة ، فى الامتزاج النهائى !

شباب اليوم ٠٠ أفضل من شباب الامس !

٭ ومن الأقوال الدارجة التى كان لها أكبر تأثير على الشباب فى الماضى قولان : الأول يذهب الى انه « يجب أن يجد الشباب متنفسا له ! » ٠٠ والقول الثانى هو أنه « يجب على الشاب أن يشبع ضراوة جوعه ! »

وقد بلغ من تأثير مثل هذه الأقوال على الشباب ، انهم ذهبوا يطبقونها عمليا!

أما شباب اليوم ، فهو كثيرا مايتوق الى الاحتفاظ بحيويته كاملة ، وطاقته الجنسية تامة ، مدخرا اياهما لحب كبير !٠٠ ويجب أن لا نخلط بين هذا الاحساس - أو هذه الرغبة فى الاحتفاظ بالحيوية والطاقة الجنسية وعدم تبديدهما - وبين الحياء الذى قد يستشعره بعض الشبان مع النساء ٠ فليس هناك تعارض بين الاثنين ٠ كما يجب أن لا نخلط بين ذلك الشعور وبين الخوف من الأمراض الذى قد يمنع بعض الشبان من « التنفيس » عن طاقتهم الجنسية ٠٠ لأن الرغبة فى الاحتفاظ بحيوية الشباب لحب كبير ، تبعث على القوة ، بينما كبت العاطفة الجنسية ، خوفا من الأمراض ، يسبب اختلال توازن الشبان !

احترسوا .. ليلة الزواج !

• قد يعتقد الزوج الشاب أن له الحق فى الحصول على كل شىء من زوجته ، وبذلك يرتكب شططا كبيرا . فهو يظن أن له أن يستمتع بكل لذائذ الجسد فى الحال ، ناسيا ان تلك المتع لم يحصل غيره عليها الا بعد تجارب استغرقت سنين طويلة . فهو يطمع – اذا ما اختلى بزوجته – فى مشاركة زوجية كاملة ، لا يعتورها أى نقص أو فتور من أية ناحية من النواحى ، بينما ان حواس المرأة الشابة لا تستيقظ الا بالتدريج . وعلى الزوج أن لا يبدى دهشته من هـذا التدرج ، مخافة أن تصدمه المرأة بنفورها وصدها ! .. أما سبب هذا التدرج فى حواس المرأة ، فهو أن العلاقة الجنسية كانت تقدم اليها وهى فتاة ، على أنها من الأمور المخجلة . ولذا فانها ، فى بداية زواجها ، ترضخ لهذه العلاقة لارضاء زوجها فقط ، ثم تأخذ حواسها فى التدرج رويدا رويدا ، وفى التيقظ شيئا فشيئا ، حتى تصبح العلاقة متبادلة وممتزجة أتم امتزاج !

ويحسن فى بعض الأحيان أن لا يتم « الاتصال الزوجى » فى يوم الزواج بالذات !.. لا لأن يوم الزفاف يكون فى العادة مرهقا بطقوسه وتقاليده فحسب، بل لسبب آخر أكبر أهمية وأبعد أثرا .. ذلك أن اتمام « الاتصال الزوجى » فى ليلة الزفاف ، بينما تلعب برأس الزوج نشوة الخمر ، أو اتمامه نتيجة الافراط فى التعبير عن فرحه وسروره ، قد يثير اشمئزاز الزوجة من ناحية ، كما قد يحدث أسوأ الآثار فى صحة وذكاء الطفل الذى يأتى ثمرة هذا الاتصال الجنسى العنيف !

ان أحاسيس المرأة أكثر انبساطا وانطلاقا ، وأطول أمدا فى حياتها العادية من أحاسيس الرجل . فهى تحس برابطة جسدية حقيقية مستمرة تربطهابزوجها، حتى وهو بعيد عنها . ولكنها قد تصدم أحيانا عندما ترى أن لحظاتها العذبة الهنيئة مع زوجها ، تنتهى دائما بنفس الصورة ، وبخاتمة واحدة لا تتغير !.. وقد يدفعها هذا الى أن تشعر شعورا داخليا بأن فى الحياة الزوجية أساليب أخرى ممتعة غير تلك الاساليب المتكررة ! .. ومن ثم فواجب الزوج أن يثبت لها ، من ناحيته ، أن للحياة الزوجية أساليب كثيرة «لا أسلوبا واحدا لا يتغير» !.. وعليه أن يسهر على حبه ويرعاه وينميه .. فالحب يختفى اذا اعتبرناه أمرا مقضيا وحقا مكتسبا .. وهو يزدهر وينمو اذا امتلأت رئتاه بالهواء وأفرد جناحيه للانطلاق ، ويترعرع ، اذا ترك الزوجان حياة العزلة وفتحا أبواب بيتهما للآخرين ، وحاولا أن يجعلا من سعادتهما ، لا جدولا صغيرا ، بل ينبوعا يفيض بالخير عليهما وعلى الآخرين سواء بسواء !

وفى العدد القادم ، أقدم لك الجزء الثانى والأخير من هذا البحث القيم ، وهو يتناول بالشرح مايجب على الفتاة أن تعلمه عند الزواج ، ومسلك الآباء قبل زواج أبنائهم .



دنيا الحب .. والسعادة !

للكاتب الألماني الأشهر "اميل لودفيج"

تلخيص : عبد المنعم محمد الزيادى

فتاة اليوم ٠٠ بين المال والشباب !

◆ يلقن بعض الآباء اولادهم وبناتهم ـ وخاصة فى بعض البلاد الشرقية ـ أن الحب جريمة « عظمى » ، وخطيئة لا تغتفر ، حتى اذا ما كبروا ، وآن لأكمامهم الغضة ان تتفتح ، لم يجدوا فى حنايا صدورهم الا قلوبا خاوية ، تنبض ٠٠ بالفراغ !

ولقد اختلفت آراء الكتاب والمفكرين فى « الحب » ٠٠ أهو طريق مفروش بالزهور ، يؤدى الى جنة السعادة ٠٠ أم هو منحدر شديد الوعورة ، يحف به الشوك ، وينتهى الى جحيم الشقاء والتعاسة ؟!

على أن الكاتب الالمانى الاشهر «اميل لودفيج» ، قد عالج هذا الموضوع من زاوية واقعية خاصة ٠ وقد قرأت حتى الآن فصلين من كتابه الذى أخصه لك : « دنيا الحب ٠٠ والسعادة » ٠٠ وها هو ذا يعود اليك اليوم ليحدثك ـ فى فصل جديد ـ عن الحب بين الأمس واليوم ، وعن زواج الحب وزواج المصلحة ، وفى مدى تفضيل فتاة اليوم للمال على الشباب !

٠٠ فتعال نجول معا فى ٠٠ « دنيا الحب ٠٠ والسعادة » !

عندما يخرج الحب عن طبيعته

◆ **يخرج** الحب عن طبيعته فى ثلاث حالات : فى التباعد (أو الحب الخيالى) ، وفى الغيرة ، وفى المغالاة أو التهالك على الحب !

الحب الخيالى :

وأسعد الناس هم المتباعدون (أو المحبون الخياليون) ، فالشاعر « جيته » كان متباعدا عن الحب ، مدبرا عن ميدانه ، ولهذا احتفظ بعد سن الاربعين بشباب قلبه ، وتطلعت نفسه الى الحب ، فتعلق وهو فى تلك السن بامرأة شغفته حبا فتزوجها ٠٠ وعاش هذا الرجل بعد زواجه نشطا ، قادرا ، منتجا ، بحيث يمكن الجزم بأنه لو لم يتزوج لما عاش كما عاش ، ولما أنتج ما أنتج ٠٠ رغم انه ظل متباعدا فى شبابه ، ورغم انه هجر وتباعد أيضا فى أواخر عمره !

وكذلك كان **بيتهوفن** ، من شيمته التباعد ٠٠ فهو لم يمارس الحب الجسدى الا لأنه كان يحب حبا بطريق المصادفة ، وفى صورته الخشنة الفطرية ، ومن ثم تسامت عواطفه الى أعلى

ذرى النشوة الروحية حين خلد حبه بأنغام الموسيقى ·· ولقد كان يعرف هذه الحقيقة ويعتز بها ، الا فى ساعات ضعفه التى كان فيها يحسد الشبان الذين يستأثرون دونه بالفتيات الحسان ، أو يسلبونه اياهن !

على أن العواطف التى يبذلها المتباعدون لا تقل – سواء من حيث الكم أو الكيف – عن العواطف التى يبذلها أهل الوصال واللقاء ·· **فالمحب الذى عاش حياته يتبع ظل امرأة تأباها عليه الظروف ، انما يعيش معها فى أحلامه وخيالاته ، آمنا شر غدر الايام ·· بل ان الاوهام التى يدثره بها خيـاله ، تحميه من خيبة الأمل التى تصدمه بها دنيا الواقع فى غير رحمـة !·· وما أكثر المذكرات الخاصة وقصص الحب التى تحدثنا عن عشاق يعيشون حياتهم فى عزلة ، فيبذلون من الرقة والحنـان وهم يقبلون يد امرأة فى لحظة خاطفة ، أو وهم يقضون سـاعات كاملة فى انتظار أن تكتحل أعينهم برؤية ظلها يخطر أمامهم من بعيد ·· يبذلون فى ذلك من الرقة أضعاف ما يبذل غيرهم من العشاق « الواقعيين » فى وصالهم الطويل السعيد !**

وقد عبر « جيته » عما يحسه المحب الخيالى ، بهذه العبارة : « ان الحب الذى أراه يوجه الى رجل آخر ، يبدو لى أجمل وأقوى سحرا من الحب الذى قد يوجه الى أنا ·· فعندئذ أستطيع أن ألمس سلطان القلب العاشق ، بل ألمس القوة والحرارة اللتين ينبض بهما قلب المحب ، دون أن يفسد حبى لذاتى جمال هذا المشهد ! »

الغـيرة :

◆ **وقد** تقترن الغيرة بالحب الخيالى ، أو تكمن بين طياته ، فليس أدرى بالغيرة ولا أشقى بها من الذى ذاق متعة أن يكون محبوبا !·· ونار الغيرة الصفراء ذات اللهب الاحمر تشيع فى النفس عواطف شتى : الرغبة ، والحسد ، والكبرياء ، والانتقام ·· وهذه العواطف جميعا تتكاتف لتـأكل قلب المحب وتنهشه !

وندر من الناس من وهب من الحكمة والفلسفة ما يلهمه فى تلك الساعة أن يسكن الى نفسه ليستطلعها سبب هذه العاصفة الهوجاء التى أثارتها الغيرة !٠٠ ولو أنصف المحب لسأل نفسه: ألم يتجاهل منذ زمن طويل رغبات المرأة وأمانيها ؟ ألم يدعها تفلت من بين يديه بحماقته وأنانيته ، وتستجيب للحب الرائع الذى يحيطها به شخص غيره ؟٠٠ انه الآن يلقى بالذنب كله على عاتق المرأة ، وهو يسعى فى الوقت نفسه للتصغير من شأن المنافس الغريم : من شأن مظهره ، وثيابه ، وسلوكه ، ومواهبه !٠٠ وهو اذ يرى نفسه قد حرم من حب كان يعنى فى نظره أكثر مما يتصور ويدرك ، لا يخطر له قط أن ينقص من تقديره لنفسه ، وينزل عن جزء من كبريائه ، لكى يتسنى له أن يرى أنه هو وحده المسئول عن القاء هذه الفتاة بين أحضان رجل آخر !

أما المرأة فتعانى من الغيرة أشد وأقسى مما يعانى الرجل ، فهى فى أوقات خلوتها وشرودها تحاول أن تتصور تلك المرأة الاخرى التى اجتذبت رجلها ، وتظل تفكر فى ذلك الشىء الخفى الذى اجتذب الرجل الى غريمتها والذى لو توفر لها لعاد الرجل اليها من جديد ٠٠ **ثم تتذكر التضحيات التى قدمتها للرجل خلال مدة عشرتهما ، وتكاد تنفجر من الغيظ لتذكرها أن فتاة أخرى ـ لانها تمتاز ببشرة مختلفة عن بشرتها ، أو شعر يختلف عن شعرها ، أو قوام يختلف عن قوامها ـ قد اجتذبت رجلها وأنسته كل تلك الذكريات التى كانت كفيلة بأن تربط بينهما الى الأبد !**

ولأن المرأة بوجه عام معتادة على البغضاء ، ولانها لا تملك أن تستخدم السلاح فى الانتقام ، فانها أمهر من يستخدم الحيلة والمكيدة للنيل من غريمتها ، والكيد لها ، وفضح أمرها ! ولكنها اذ تفعل ذلك فانما تتجه الاتجاه الخطأ ٠ وقد صور شكسبير فى براعة كبيرة غيرة النساء وحقدهن ، فى وصفه لحالة كليوبترا حين علمت بزواج أنطونيو فى روما !

التهالك على الحب :

◆ **أما** التهالك على الحب فهو أيضا يطفىء من بريقه ، ويقضى ـ الى حد كبير ـ على مقدرة الاستمتاع به . ولعل دون جوان هو المثل العتيد على صدق ما تقول !

على أن أمثال دون جوان نادرون فى زماننا هذا ، لانه ينبغى أن يتوفر لهم الثراء الفاحش ، والفراغ الطويل .. فى حين أن الازمة المالية العالمية التى عقبت الحرب ، والغـــلاء الفاحش ، لا يساعدان أحدا فى هذه الايام على أن يتمثل بدون جوان !

أما « دون جوان » الأنثى ، وأقصد المرأة التى لا غرض لها غير التلاعب بقلوب الرجال ، كما كان دون جـــوان يتلاعب بقلوب الغوانى ، فلعلها كانت على مر الزمن أقل وجـــودا من « دون جوان » الرجل ! فسر سحر المرأة دائما أنهـــا لا تسعى وراء محبها ، وانما تدعو الرجل فى صمت وســـكون الى أن يسعى وراءها ، ويجد فى اثرها !

الحب بين أمس واليوم !

◆ **واذا** كان علينا أن ندرك ، حق الادراك ، التغـير الحديث الذى طرأ على الحب ، فلسنا نحتاج الى أكثر من أن نقارن بين مشاكلنا وتلك المشاكل التى عرض لها « ستندال » فى كتابه الرائع المثير « فى الحب » ، الذى روى فيه الكثير من مغامراته الخاصة ومغامرات أصدقائه .. فهو يبدو عصريا جدا فى مطالبته بحرية الفتاة والمرأة ، ولـــكن فهمه لطبيعة الحب والعـــواطف المتصلة به كما حدثنا عنها ، يؤكد تأكيدا قاطعا انه كان متأثرا الى حد بعيد بالتقاليد الاجتماعية السائدة فى زمانه . فما الذى تغير ما بين عام ١٨٤٠ وعام ١٩٤٠ من الأسس الاجتماعية التى يقوم عليها الحب ؟

أولا : النظام الاجتماعى .. فهذا المجتمع ـ الذى كان يحيا وفقا لاهواء عشرات من المركيزات واللوردات الذين يعتقدون انهم حكام الدنيـــــا ! ـ كان من قوة التأثير بحيث أن قصر

بكنجهام كان يعزل السفير اذا تزوج من مطلقة !٠٠ بل ان تأثير هذا المجتمع تجلى منذ أعوام قليلة ماضية عندما نزع التاج من على رأس ادوارد الثامن الذى آثر الحب والزواج من مطلقة عادية من أفراد الشعب (مسز سمبسون) على تاج الامبراطورية البريطانية ، فاستحق أن يلقب بأعظم (جنتلمان) فى العالم !

وبينما نرى « ستندال » يقرن معظم أمثلته التى أوردها بأسماء لماعة من ذوى الحسب والنسب واللقب ، لان أخلاق هؤلاء - أو بالاحرى انعدام أخلاقهم - كانت لها كل القوة الرمزية فى ذلك الوقت ، من حيث التأثير على المجتمع ، نجد من يقابل هؤلاء عندنا اليوم ، وهم كواكب السينما ونجومها ، وأبناء الملوك غير المتوجين !

السيارة غيرت تقاليد الحب ؟

◆ وهناك فارق آخر بين مجتمعنا والمجتمع القديم ، هو أن الصناعة والعلم قد أشاعا الحركة فى عش الغرام الهادىء ، وأصبح من الميسور حتى لأبناء الطبقة المتوسطة أن يتنقلوا من مسكن الى مسكن ، ولا يستقرون على حال ! ٠٠



كما ان السيارة حررت المرأة ، أو بتعبير أدق منحتها مزيدا من الحرية ، ففى طفولتنا كان الخطيب يعاشر خطيبته ثلاث سنوات دون ان يجرؤ أو يجد الفرصة لانتزاع قبلة منها ! ٠٠ وفى أوائل القرن العشرين كان من المحال أن يصطحب خطيب خطيبته الى دار السينما أو الملاهى ٠٠ أما اليوم فالفتاة يسعها أن ترتحل وحدها الى أى مكان تشاء ، ومع رجل ليس بخطيبها ، وان تقود السيارة بنفسها ، وان تقبل أى رجل تشاء !٠٠ كما صار فى وسع الرجل اليوم أن يخاطب خطيبته بالتليفون عبر المحيط ٠٠ وفى وسع

المرأة أن تصل الى مكان رجلها فى أسرع وقت ممكن ، بالطائرة ‥ وبالاختصار ، لم يعد المال أو الجاه اليوم ضروريا للحب ! (١)

وعامل آخر كان يؤثر على نمو الحب فى الماضى ، ذلك هو الأدب أو القصص ، التى كان يختار لها أبطال من ذوى الأخلاق الرفيعة المثالية ، حتى أن المحبين كانوا ينمون نزعتهم العاطفية ويرقونها عن طريق هذا الأدب الرفيع . لكن هذا العامل قد انعدم اليوم ، فلم يعد القلب يستقبل نفحاته أو يتلقى ارشاداته من كتب !‥ وقصص اليوم ، أو أدب اليوم ، قد يدفع الفتيان والفتيات الى أن يتجسسوا ويتآمروا (٢) ، ويصبحوا من الاخصائيين فى حرفة من الحرف ، ولكنه لا يلقنهم شيئا عن الحب !

على أن هذا العامل ليس بذى أهمية قصوى ، فالحب يعلم نفسه بوسائل أخرى : ففى الماضى كانت سترة الجندى المزركشة اللماعة تجتذب أعين الفتيات وقلوبهن ‥ اما اليوم ، حيث صار الجنود الذين يرتدون ستراتهم الرسمية يعدون بالملايين ، فلم يعد لأحدهم تأثير على قلب المرأة أو الفتاة ، اللهم الا أن يكون قائد غواصة ، أتى من ضروب البطولة والجرأة والشجاعة ما أثار خيال المرأة !

هل تفضل نساء اليوم المال على الشباب ؟

◆ وقد كان للفتوة والحيوية دائما أثرهما الكبير فى نفس المرأة ، ومن ثم كان اعتداد الرجل برجولته ، واعتزازه بها ‥ لكن المرأة اليوم أصبحت تتجاوز عن التجاعيد التى تلوح فى وجه الشيخ اذا كان يعلو فى المركز أو المنصب أو الجاه ، أو اذا امتاز على الشباب بالظرف وخفة الروح !

وفى الماضى كان الرجال يقتتلون ليحظوا باعجاب المرأة ! ‥ أما اليوم فان الرجل الذى يفوز بجائزة الزحلقة على الجليد ، أو سباق السيارات ، لا يفوز من المرأة ببعض الاهتمام الذى يحظى به منها العالم الفائز بجائزة نوبل ! ‥ بل ان المرأة اليوم أصبحت من بين العوامل التى على الرجل أن يتفوق عليها ، لأنها ـ لأول مرة فى التاريخ ـ أصبحت تنافسه فى عمله وفى مجال اكتساب رزقه !

وثمة فارق آخر بين أمس واليوم : فحق الوالدين فى تقرير مصير ابنتهما ،

---

(١) وهنا أيضا ينبغى ملاحظة اختلاف التقاليد بين بلد المؤلف وبين بلادنا العربية .

(٢) ومرة أخرى ، يغلب على المؤلف هنا الجو « الاقليمى » الذى ساد المانيا أو أمريكا نتيجة للحروب العالمية ، وتقدم الصناعة ، وازدياد النزعة المادية !

وتهديدات الكنيسة ، والخوف من العار ، كل هذه العوامل كانت تضع المرأة فى مصاف « الحريم » الذى اشتهر عن الشرق ‥ ومن ثم كان عقوق الآباء ، والفضيحة ، هما محور القصص الغرامية فيما مضى ‥ أما اليوم ، فالانتحار بسبب الحب قد يروقنا اذا شاهدناه على « الشاشة » ، عندما يرتدى الممثلون ثياب أبناء العصور الماضية ‥ وأما الفضيحة ، وعقوق الأبناء ، فيوشكان ان يصبحا « غير ذوى موضوع » ، لان كل فتاة أصبحت حرة من القيود « المادية » و « القضبان » التى تحول بينها وبين الفرار من الرجل الذى تختاره ‥ ولأنه لم يعد مألوفا أن يقف الوالدن فى طريقها ، الا بالقدر الذى يبذلان لها فيه النصيحة ‥

أما حديث الرجل للنساء فيما مضى عن الأشياء التى كانت بعيدة عن متناول بصرهن وسمعهن ، كالفروسية ، والحملات الانتخابية ، وغيرها ‥ فلم يعد يثير اهتمام المرأة !‥ وبدلا من انشغال الفتيات فيما مضى بالعزف على البيانو أو رسم اللوحات ، أصبحت الفتاة تستلقى اليوم فى عرض الطريق تحت سيارتها لتربط جزءا من أجزائها الدقيقة !‥ والمرأة التى كانت تبدأ يومها باحتساء فنجان من الشيكولاته الساخنة وهى متدثرة فى فراشها ، أصبحت تبدأ يومها الآن بمزاولة الرياضة فى ثياب الاستحمام ، ثم تأخذ حماما باردا !

هل الزواج يقتل الحب ؟

◆ ومنذ خمسين عاما ، كان الحب يبدأ سلبيا من جانب المرأة ، أو فى شىء كثير من الحذر والتردد ، حتى انها كانت عن غير قصد منها تدع عشيقها ينتظر طويلا ‥ أما اليوم فان رقصة واحدة من رقصات « التانجو » كافية جدا للمرأة كى تقول للرجل ، أو للرجل كى يقول للمرأة ، كل ما يريد ‥ أو تتأهب هى لتمنحه كل ما يريد ! ‥ فلقد انقضى زمن السهاد ، وعهد أحلام اليقظة ، ووقت التساؤل ، والتوقع ، والشك ‥ اذ أصبح كل شىء يمكن نيله اليوم بأسرع ما يمكن ‥ ونتيجة لهذا كله لم يعد قصب السبق يغرى ببذل الجهد ، بل لم تعد له قيمة اطلاقا ! ‥ والواقع ان المدنية عملت كل ما يمكن عمله لتجريد الحب من ملاذه ومثيراته ومباهجه !

وليس معنى الزواج القضاء على الحب ، وان كان من الصعوبة بمكان تجنب هذا المصير !‥ وهى مشكلة لا يبدو ان لها حلا معلوما ، مشكلة تحويل نار متأججة الى نور هادىء مضىء ! ‥ أو بعبارة أخرى ان المشكلة تتلخص فى معرفة الجواب عن هذه الأسئلة المحيرة : كيف يتسنى للانفعال الأول لأيام ما قبل الزواج أن يبقى ويتجدد على مر سنى العمر ؟‥ وكيف يتسنى لتلك الحالة النفسية البهيجة التى لازمتنا خلال نزهة لطيفة فى حديقة غناء ، فى

فجر يوم من أيام شهر ابريل ، أن تحتفظ ببهجتها ورونقها عبر أيام الصيف القائظ الى نهاية الشتاء القارس المجدب ؟ .. أليس هذا امتحانا عسيرا لمقدرتنا على الاحتمال والصمود لتقلبات الجو وتذبذب مقياس « البارومتر » القلبى عاما بعد عام ؟!

نعم ، كيف يتأتى لزوجين آدميين يختلفان نشأة وطبقة ، وقد تربيا فى ظل عقائد وتقاليد وتعاليم مختلفة ، وبالاختصار لم يجمعهما الا أنهما من جنسين مختلفين : ذكر وانثى .. كيف يتأتى لهذين الزوجين الآن أن يصمدا أحدهما الى جانب الآخر فى وجه المخاطر والأقدار طيلة حياتهما ؟! .. ان الزواج لأشبه بالمسرح : كلاهما يتطلب النظام والدقة من حيث المواعيد ، والواجبات، والحقوق، والممنوعات.. ولهذا يشب الخلاف دائما بين المخرج والممثل، أو بين الزوج والزوجة !

زواج الحب .. أم زواج المصلحة ؟

◆ وهنا قد يقول قائل : « أو ليس من الأفضل اذن ، أن يخضع المرء فى زواجه لأحكام العقل ، ويقدر الظروف والملابسات حق تقديرها ، فينحى عامل العاطفة الجنسية جانبا وينتصح بنصح المنطق ؟! .. أليس تقدير العريس - أو العروس - لثروة الآخر ، ودخله ، وصفاته ، ومميزاته ، وميوله ، وأهوائه ، أساسا سليما يقوم عليه الزواج ؟ ألم تسمع بزيجات قامت على أساس العقل والادراك السليم فنجحت ووفقت ؟! .. أليس من الأنسب ، فى هذه الحياة ، أن يفرض العقل سيطرته على معظم ساعات يومنا بدلا من أن يفرض الحب سيطرته عليها ؟

ان هذه المناقشة التى تكاد تبدو مقبولة معقولة، يكفى التفضيل الشخصى وحده لتقويضها ! .. فمحور البحث هو : هل يريد الزوجان أن يستخدما قوتهما فى اقامة صرح حياة منتظمة دقيقة كالساعة ، أم هل يريدان أن يرتفعا بحياتهما الى مرتبة أعلى وأسمى من مراحل الانسانية ، حتى لو تضمن ذلك خطرا كبيرا ؟!

ان الاختيار بين الأمرين موكول اليهما وحدهما ، ففى الزواج ، عندما يصبح الاتصال الجنسى مجرد « عادة » ، كتناول الغداء ، أو كعطلة آخر الاسبوع ، يسع حياة الزوجين أن تسير فى هدوء وطمأنينة أكثر مما لو كان اتصالهما مشفوعا طيلة الوقت بادراكهما انهما ينتميان الى جنسين مختلفين .. فالشىء الأوحد الجديد فى الزواج هو أن يصبح فى مقدور الزوجين أن يفضى أحدهما بسره للآخر .. لقد أحسا مائة مرة قبل الزواج انهما ينتميان أحدهما للآخر ، لكن هذا الاحساس لم يكن يخرج عن كونه احساسا ، وكثيرا ما كان يشاطرهما اياه بعض الأصدقاء المفضلين ! .. أما بعد الزواج ، فلمجرد أنها

أصبحت تحمل اسمه ، تتغير الحال فجأة : يقصدان فندقا ، فيدخلان معا غرفة واحدة ، ويزيح كل منهما الستار للآخر عن أسراره .. فاذا قدمهما صديق الى آخرين ، قدمهما معا .. وتأتى أوقات تشير فيها المرأة الى الرجل وتقول لمن حولها : « زوجى » ! .. ويدخلان المجتمع على أنهما (فلان وعقيلته) ، ويظهران معا أمام الناس وكأنما يقولان دون خشية انهما يحبان أحدهما الآخر وينتميان أحدهما للآخر .. وهذه الجرأة المتناهية فى جميع تلك التصرفات ، لا تخفف من وطأتها غير السعادة .. فالسعادة وحدها هى التى تجعل حديث الزوجين عن الطفل الذى يتوقعانه ، محتملا مطاقا ! .. بل انهما ليتحدثان عنه فى جرأة ومباهاة ، وكأنه لم يعد سرهما وحدهما ، بل سر الناس جميعا !

« اللياقة » ، اكسير السعادة الزوجية !

◆ وليس هناك الا كلمة واحدة يسمها لو طبقت ان تحفظ التوازن بين هذين الطرفين الأقصيين : بين ساعات خلو الزوجين أحدهما للآخر يتطارحان الغرام ، وبين ساعات ظهورهما أمام الغرباء معا على تلك الصورة التى تكاد تكون مجردة من العقل .. وهذه الكلمة هى « اللياقة » ، أى مجموعة فضائل الصبر ، والاحتمال ، والذوق ، وحسن التقدير !

فالزواج يشبه احدى روايات شكسبير التى يتعاقب فيها الشعر والنثر أحدهما بعد الآخر .. وحفظ التوازن واستمرار النغم الواحد خلال الرواية كلها يتوقف على مقدرة الكاتب وفنه .. كذلك التوازن فى الزواج يمكن ايجاده لو أن كلا من الزوجين أنكر ذاته ، وبمعنى آخر لو أن نوع الحب الذى بينهما توحد وأصبح متجانسا لا يختلف فى شىء .. فاذا أرادا أن يكونا نفسين فى جسد ، أو قلبين ينبضان على وتيرة واحدة - كما طالما زعما قبل ان يتم زواجهما - فاللياقة هنا كفيلة برعاية اتحادهما وصون حبهما .. واللياقة وسيلة ناجعة للاحتفاظ بالحب فى صورته المادية أيضا - لا الروحية فحسب - فالثقة بالنفس ، أو قل الأنانية ، لا تفتأ تبدى نفسها فى الحياة الزوجية ، فتجعل كلا منهما يحاول أن يتناول بالنقد أعمال الآخر .. ورب امرأة مثقفة أو ذات مهنة رفيعة قد تزوجت بمن هو دونها مركزا وثقافة ، فيغلبها اعتزازها بنفسها أحيانا ويأخذ الندم على أنها أزاحت الستار عن شخصيتها لهذا الرجل الذى لا يدانيها فى شىء مما وصلت اليه فى الحياة ، فتعول على الانتقام لعلمها وذوقها ومركزها من هذا الرجل الذى أحبته فى وقت ما ! .. وهنا تأخذ الرجل العزة بنفسه فيحاول أن يفرض سلطانه على المرأة ، ليشعرها بأنها رغم كل ما وصلت اليه ، فانما هى امرأة !

مثل هذا النزاع لا سبيل الى علاجه الا باللياقة من جانب الطرفين ..

فاللياقة تشيع جوا خاصا من التظرف ، والصراحة ، والتساهل ، يحول دون انفجار الزوجين أحدهما فى وجه الآخر اذا ما وضع أحدهما حذاءه فى غير عناية ، أو جذب ستارة النافذة بطريقة شاذة ، أو ما الى ذلك ٠٠ ثم هى فوق كل شىء تحول دون انفجار الزوجين بسبب اختلافهما من الوجهة الجنسية ، الاختلاف الذى تتحطم عليه فى الاغلب معظم الزيجات ، ويقضى قضاء مبرما على الحب ، وان تسترت حقيقة الحال تحت أسباب واهية أخرى !

من المسئول عن الخلافات الزوجية : الرجل أم المرأة ؟

◆ وفى اعتقادى أن النزاع والخلاف بين الزوجين مرجعه الى الرجل ! ٠٠ صحيح أن المرأة قد تكون مسئولة الى حد ما ، ولكنها لا تكون أبدا المسئولة الوحيدة عن قيام الخلاف ٠ فالرجل يملك ان يحطم وحده صرح الزوجية بشتى الطرق والأساليب : قد تكون الطريقة التى يقص بها على زوجته دعابة جنسية بقصد اثارتها ، كافية لأن تلقى فى روع الزوجة أنه شخص فاسد الخلق لا يؤمن جانبه ٠ أجل ، فالحد فى حياة الزوجين بين الشئون الداخلية والشئون العامة لا يعدو سمك شعرة ، وكثيرا ما تثير ضحكة واحدة من الرجل شكوك المرأة وتجعلها تصمم على فصم عرى المحبة بينهما !٠٠ وما دامت الطبيعة قد منحت الرجل حق البدء بالتقرب من المرأة ، فعليه كذلك أن يكون البادىء بمواجهة الصعوبات التى تنجم عن الزواج ، وبتذليلها ٠٠

وفضلا عن هذا كله فهناك عاملان فى كل زواج لا يمتان بصلة الى الحب ولا ينشآن عنه، ومعذلك فلهما خطرهما وشأنهما ٠٠ هذان هما المال والبنون :

ولما كان الغالب أن أحد الزوجين يكتسب مقدارا من المال أكثر من الآخر ، فان نوعا من التعالى الخلقى يطرأ عليه ! ٠٠ ويقول البعض أن خير علاج لهذه الحالة هو أن يشتغل الزوجان ، وأن يتكفلا معا بالانفاق على بيتهما ، لكى ينعدم التكبر أو التعالى من جانب أحدهما ٠٠ لكن هذا ليسحلا مقبولا ، اذ أنه كفيل بأن يفقد المرأة الاحساس بأن هناك من يقوم عليها ، كما انه يسلب الرجل الاحساس بأنه قوام على المرأة ٠٠

واذا كان عمل الزوج يقتضيه البقاء بعيدا عن بيته من التاسعة صباحا الى السادسة مساء ، واذا كانت زوجته لا تعلم عن عمله شيئا اللهم الا قيمة المرتب ، الذى يقبضه ، فهناك خطر - وان خفى عن أعين الزوجين - يكمن فى مثل هذا الزواج ! ٠٠ فليس الزوج بمعصوم - فى مثل هذه الحال - عن أن يلحظ وجود فتاة فى المصنع الذى يشتغل به مثلا ، ويجد لها قواما تشتهى عينه التطلع اليه ! ٠٠ أو أنه ليس بمعصوم عن أن يقع بين براثن احدى اللواتى يجدن ازالة التجاعيد من جباه الرجل ٠٠ فامثال أولئك النسوة يصعب أن يتفاداهن الرجل اذا كانت زوجته من الطراز الساكن ، البليد ،

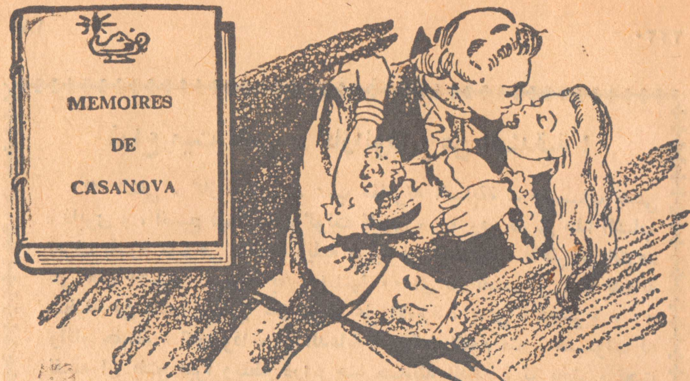


السلبى الاتجاه !

ومن ناحية أخرى نجد أن المرأة التى تتحدث الى الرجل فى شئون عمله وشئون المجتمع عامة ، يتلمس فيها فهما وادراكا ، ويتبادل معها مناقشة مهذبة مستنيرة ، فتحتفظ بجاذبيتها للرجل .. ومثل هذه المرأة يسعها أن تتنقل كيف شاءت من المجال الروحى الى المجال الغريزى ، فلا يملك الرجل الا أن يظل أسير سحرها ! .. فهذه المرأة التى ناقشته قبل أن ينام عن الوزير الجديد ، أو عن التقدم الحديث فى صناعة النسيج ، لا شك تصبح جاذبيتها الجنسية للرجل أقوى من جاذبية تلك المرأة التى ظلت طول النهار مستلقية على أريكة تتصفح مجلة فى السينما أو فى الأزياء !

ويبدو أن المال والسلطان والجاه ، على ما هى عليه من اغراء واغواء ، لا تفيد الغرام ولا الخيال ولا الرومانتيكية شيئا .. فاذا لم يكن الزواج قد تم بوحى من الاختيار الشخصى وحده ، وبعيدا عن اغراء هذه العوامل ، فان الزوج لا يأمن قط جانب زوجته التى اشتراها بماله !

وفى العدد القادم ، نواصل معا سياحتنا فى .. «دنيا الحب .. والسعادة !»


MEMOIRES
DE
CASANOVA



ذراع ميت تقصى « كازانوفا » عن البندقية !

◆ التقى « كازانوفا » ـ عقب مغامرته السابقة ـ بشاب يدعى « فابرى » ، أصبح فيما بعد « كونت فابرى » •• وعن طريق هذا الشاب تعرف بأسرة تقيم فى ضاحية ريفية قريبة من البندقية ، فأكثر من التردد على هذه الاسرة ، وسعد بحب ابنتها •• الى أن تعرض يوما لدعابة سخيفة من شاب يونانى كان يتردد على الاسرة ، يدعى « ديمتريو » •• وأثار حفيظة « كازانوفا » أن الدعابة أضحكت القوم منه ، فسولت له نفسه أن يفتح قبرا ويقطع ذراع جثة حديثة الدفن ، ثم يختبىء تحت فراش غريمه •• واذ اطمأن الى استغراقه فى النوم ذات ليلة ، دس الذراع المبتورة فى أحضانه ! •• وكاد الشاب أن يجن ذعرا حين فطن الى الذراع ، فرفع الأمر الى القضاء • واتهم « كازانوفا » بانتهاك حرمة المقابر ، فنصحه الشيخ الذى تبناه بأن يغيب عن البندقية عاما ••

والآن ، تعال نواصل قراءة مذكرات العاشق الأعظم ••

مبارزة •• بسبب عشيقة قديمة !

◆ غادرت البندقية ذات مساء ، فلم ينقض يومان حتى بلغت (مانتوا) • وكنت وحيدا ، أحمل الكثير من الثياب والجواهر والمال •• ومع انى لم أكن أعرف أحدا هناك ، الا انى كنت أحظى بجرأة وصحة الشاب الذى لم يجاوز الربيع الثالث والعشرين من عمره •• لذلك نزلت فى فندق كبير ، وبعد أن تناولت عشاء فخما ، خرجت للنزهة ، ثم ذهبت الى المسرح •• وشد ما كان اغتباطى حين شاهدت « مارينا » ـ صديقتى القديمة التى رويت مغامرتى معها فى حلقة سابقة ـ تؤدى لونا من الرقص المرح ، بين تصفيق المفتونين بجمالها • ولما كان حسنها قد نضج ، فقد عولت على أن أجدد علاقتى معها ، واستأجرت من أرشدنى الى دارها فى نهاية السهرة •• فوجدتها تجلس الى مائدة العشاء مع شخص •• ولكنها لم تكد ترانى حتى قفزت من مكانها وأخذت تحتضننى وتغرقنى بالقبلات •• فقابلت استقبالها بمثله ، بعد اذ اطمأننت الى انها لم تكن تعبأ بجليسها • واجلستنى الى جوارها ، فسألتها عن زميلها وقد ساءنى ان لم يبادر بتحيتى ••

وأجابت : « انه «كونت شيل» من روما •• وهو عشيقى ! »

فتحولت الى الرجل أهنئه بحظه وأداعبه قائلا : « لا يسوؤنك هذا اللقاء الحار بيننا ، فان مارينا ابنتى » !

فأجاب : « بل هى عاهرة » !!

قالت لى الفتاة فى لهجة لاذعة : «صدقه٠٠فانه النذل الذى يأتينى بالرجال»!

وقذفها الوغد بسكين فتحاشتها ، واذ جرى وراءها ، شهرت سيفى فى طريقه ٠٠ واتفقنا على أن نلتقى فى كازينو « بومى » فى اليوم التالى لنسوى حسابنا ٠٠ واذ هممت بالانصراف ، تشبثت « مارينا » بى ، وألحت فى أن أصحبها معى ، فأنزلتها فى حجرة ملاصقة لحجرتى فى الفندق ٠ وأمرت بعشاء ، ثم سألتها عن قصتها مع « الكونت شيلى » ، فروت لى أنه مقامر محترف ، ينتحل لقب « الكونت » ، وقد استدرجها بلقبه المزعوم حتى أصبحت عشيقته ، فأخذ يستغلها فى غش ضحاياه فى الميسر ٠٠

واختتمت قصتها قائلة : « سأكون لك وحدك منذ الليلة ، اذا كنت لا تزال على ما كنت عليه فى(كورفو)من عزوبة ، وكنت لا تزال تحبنى » ٠٠ فلما اطمأنت الى حبى ، راحت تؤكد لى أن ذلك الوغد لن يفى بوعده للمبارزة ٠٠ ولكنى لم أشأ أن أركن الى تأكيدها ، بل وضعت كل ما أملك من مال ومجوهرات فى جيبى ، وذهبت الى « الكازينو » ٠ ولم يكن « الكونت » الزائف قد وصل بعد ٠ على أننى صادفت فرنسيا مليحا طاب لى أن أتحدث اليه ٠ وما لبث أن جاء الشقى ومعه شخص يحمل سيفا طويلا ، ويبدو عليه مظهر الاشقياء ٠٠ وذهبنا الى بقعة مناسبة ٠٠ وبينما انهمكت فى مبارزة غريمى ، تحرش زميله الشقى بالفرنسى معيرا اياه بأنه يحترف الرقص ، فسرعان ما أخذا يتبارزان هما الآخران٠٠ وانتهى الصراع بتغلبى والفرنسى على النذلين ٠٠

((وتوثقت العلاقات بين « كازانوفا » والفرنسى الذى تبين انه راقص مشهور يدعى «باليتى» ، لم يلبث أن أعجب بمارينا ، وابتكر رقصة بديعة يظهران فيها معا ٠٠ واذ رأى « كازانوفا » ان أمامهما مستقبلا فى (ميلان) ، تركهما يرحلان معا ، وبقى فى (مانتوا) ٠ وحدث ذات مساء ، ان تأخر فى الخارج دون أن يكون معه مصباح ، وكانت القوانين تحتم على كل من يسير فى الطرق أثناء الليل أن يحمل مصباحا ، ومن ثم قبض عليه أحد رجال الشرطة ٠ وكان ضابط البوليس شابا لطيفا ، مرحا ، لم يملك أن يطلق سراحه ، ولكنه استبقاه كضيف ، ودعاه الى عشاء بهيج ، انضم اليهما فيه ضابطان آخران ، وامرأتان متبذلتان ٠ حتى اذا فرغوا من العشاء ، انتظموا حول مائدة للمقامرة ٠٠ وخرج « كازانوفا » فى نهاية السهرة وقد ربح فى الميسر ، ولكنه أصيب بعدوى مرض من احدى المرأتين ، قضى ستة أسابيع قبل أن يبرأ منه !)

مغامرة ٠٠ من نوع جديد !

◆ وقضيت عيد الفصح فى (مانتوا) ٠ وبعد افتتاح موسم الاوبرا ، تبينت أن كيس نقودى ما زال مفعما بالمال ، فقررت أن أرحل الى (نابولى) لأزور عزيزتى « تيريز » و « دونا لوكريسيا » ، و « دون انتونيو كازانوفا » ، وصديقى الشاعر الصغير « بالو » وأباه ٠٠ ولكننى فى الليلة السابقة على الرحيل ، ذهبت الى « الاوبرا » فاذا بى أصادف ما جعلنى أعدل عن الرحلة ٠ ففيما كنت أتهيأ لمغادرة دار المسرح ، اقترب منى شاب بادرنى ـ دون أى تعارف أو مقدمات ـ بأن من الخطأ أن أقضى شهرين فى « مانتوا » دون أن أشهد مجموعة التاريخ الطبيعى التى يقتنيها أبوه ٠٠ « دون أنطونيو كابيتاني » ٠٠ النائب الاسقفى ٠

وواعدته على أن يوافينى فى الصباح التالى ٠٠ وبالفعل جاء فصحبنى الى حيث التقيت بأبيه الذى أدركت لأول وهلة أنه كان ذا نزوات تهوسية ٠ كانت مجموعته تتألف من كتب فى السحر ، وبعض التمائم والعملات القديمة ، ونموذج لسفينة نوح فى مستقرها على جبل « أرارات » بأرمينيا ، وبضع ميداليات نقشت عليها صور « سيزوستريس » و « سميراميس » ، وخنجر قديم غريب الشكل قد علاه الصدأ ٠

ولم أتمالك أن سألته عن علاقة هذه الاشياء بالتاريخ الطبيعى ، فطفق يلقى على شرحا طويلا مليئا بالمعلومات المشوشة ، حتى انتهى الى الخنجر فزعم أنه عين الخنجر الذى قطع به القديس بطرس اذن مالك !

وهتفت : « وكيف لم تصب ثراء وأنت تملك هذا الخنجر ؟ ٠٠ ان لذلك طريقتين : أولاهما ، انك بهذا الامتياز تملك حق الاستيلاء على الكنوز الدفينة تحت الارض ، فى البلدان الخاضعة لسلطان الكنيسة ٠٠ والثانية ، ان بوسعك أن تبيع الخنجر للبابا ، اذا كنت تملك الدليل على أصله » !

ـ تقصد « الرق » القديم الذى كتب عليه أصله ؟ ٠٠ اننى أملكه ٠٠

ـ اذن ، فلست أشك فى أن البابا على استعداد لأن يعين ابنك كاردينالا فى سبيل اقتناء هذا الخنجر ٠٠ هل لديك غمده ؟

ـ لا ٠٠ على اننى لا أراه ضروريا ٠٠ ثم اننى صنعت له غمدا !

ـ لاقيمة لهذا ، اذ لا بد من عين الغمد الذى غيب فيه القديس بطرس الخنجر ٠٠ ان هذا الغمد موجود ، وهو فى حوزة شخص على استعداد لأن يبيعه بثمن معقول ، أو أن يبتاع الخنجر ٠٠ اذ لا جدوى ولا قيمة لأحدهما بدون الآخر ٠٠

ـ وكم يطلب ثمنا للغمد ؟

ـ ألف قطعة ذهبية من عملة البندقية

ـ وكم تراه يدفع ثمنا للخنجر ؟

ـ ألف قطعة ٠٠ لأن كلا منهما يعادل الآخر فى القيمة ٠

وتولت الرجل دهشة مشوبة بالحماس ، ففتح درجا أخرج منه مخطوطا قديما كتب باللغة العبرية ، واشتمل على رسم دقيق للخنجر ٠٠ فتظاهرت بالدهشة ، وازددت تحمسا فى نصحه بشراء الغمد ، ولكنه قال :

ـ لا داعى لأن أشترى الغمد ، أو أن يسعى صديقك الى شراء الخنجر ٠٠ اننا نستطيع أن نتشاطر حق التنقيب عن الكنوز الدفينة

فقلت له ان الطلسم الذى عقد بمقتضاه السحر الذى أخفيت بقوته الكنوز تحت الأرض ، يحتم أن يكون الخنجر والغمد فى حوزة شخص واحد ٠٠ فاذا قدر للبابا أن يملك الاثنين ، فسيغدو بوسعه ـ بطريقة سحرية أعرفها ـ أن يقطع احدى أذنى كل ملك مسيحى تخالجه الرغبة فى العدوان على حقوق الكنيسة!

« كازانوفا » ٠٠ الساحر المزعوم !

◆ واذ أبدى ميله لبيع الخنجر ، وعدته بأن آتيه بالثمن فى منتصف النهار التالى ، على أن يكون النصف نقدا ، والنصف الآخر بمقتضى سند قابل للدفع بعد شهر واحد ٠٠ وغادرته وقد ازددت شوقا الى المضى فى الدعابة الخادعة حتى النهاية ٠٠ وبالفعل عدت اليه فى اليوم التالى ، فكان أول ما بادرنى به أنه علم أن ثمة كنزا هائلا مدفونا فى بقعة من الاراضى الخاضعة للبابا ، ومن ثم فقد رأى أن من الافضل أن يشترى الغمد ٠ واذ اطمأننت الى أنه عدل عن بيع الخنجر ، أخرجت كيسا مملوءا بالعملة الذهبية ، وقلت اننى كنت متأهبا لشراء الخنجر ٠٠ واذ ذاك قال ان رجلا يقيم فى أراضى البابا قد أرسل له خطابا يعرب فيه عن يقينه بأن ثمة كنزا تحت أرض قبو داره ٠٠ وقرأ على ابنه بعض فقرات من الخطاب محتفظا بباقى المعلومات ، ولكنى استطعت أن ألمح اسم قرية الرجل ، وهى (شيزينا) ٠٠ وعاد صاحب الخنجر يقول :

ـ ان كل ما تمس اليه الحاجة الآن ، هو أن تتيح لى فرصة الحصول على الغمد بضمان منك ، لأننى لا أملك مالا ٠٠ واذا أرشدتنى الى الساحر الذى يعرف كيف يفك السحر عن الكنز ، تقاسمت واياه الثروة

قلت له : « أنا الذى أعرف السحر ، ولكن لا سبيل الى الاتفاق ما لم تدفع لى خمسمائة قطعة ذهبية فورا ، أو أن تبيعنى الخنجر »

واذ رفض الرجل ، هددته بأن بوسعى أن أنتزع الخنجر منه بقوة السحر ، فلما تحدانى قلت له : « اذن ، فسيكون الخنجر فى حوزتى غدا ، واذ ذاك لا تطمع فى أن تراه ثانية »

يزور وثيقة عن الكنز الموهوم !

◆ وتحدى الرجل مرة أخرى مقدرتى على الاتصال بالارواح ، وطلب برهانا،

فتظاهرت بأننى أستغرق فى غيبوبة ، حتى اذا أفقت قلت له ان الارواح أنبأتنى بأن الكنز غير بعيد عن (روبيكون) ، وهو مجرى قديم لنهر غاض ماؤه ، فرجع وابنه الى كتاب تبينا منه أن هذا النهر كان يجرى يوما على مقربة من قرية (شيزينا) .. واذ ذاك استولت عليهما دهشة طاغية .. بينما انصرفت من لدنهما .

ولم يكن فى نيتى أن أغتصب خمسمائة قطعة ذهبية من الاحمق وابنه ، وانما كانت خطتى تتمثل فى أن آخذ منهما المبلغ فأدفنه فى دار احمق آخر ، ثم أتظاهر بالكشف عنه ككنز قديم ، وأضحك من ثلاثتهم ، فقد تولتنى رغبة فى أن أتظاهر بالدراية بالسحر . وما أن فارقتهمـا حتى يممت شطر مكتبة عامة ، فاستعنت بكتاب قديم فى اختلاق وثيقة مزورة جاء فيها :

« ان الكنز مدفون على عمق سبع عشرة عقدة ونصف العقدة من سطح الأرض ، وقد ظل فى مكانه هذا ستة قرون . وتقدر قيمته بنحو مليونى قطعة ذهبية ، وهو فى صندوق كان « جودفرى دوبوييون » قد أخذه من « ماتيلدا » كونتة توسكانى ، فى سنة ١٠٨١ ، عندما أقدم على مساعدة هنرى الرابع فى التغلب على الاميرة . وقد دفن الصندوق بيديه قبل أن يخرج ليشترك فى حصار بيت المقدس . ونمى الى جريجورى السابع ـ الذى كان ساحرا ماهرا ـ أمر الكنز فأصر على أن يستولى عليه ، ولكن الموت حال دون تنفيذ عزمه . وفى وسع ساحر أن يكشف عن الكنز فى ليلة يكون فيها القمر بدرا ، بأن يقف وسط الدائرة السحرية ، فيرتفع الكنز الى سطح الارض »

الساحر المسحور بفتنة عذراء ريفيـة !

◆ وصح ما توقعت ، اذ أقبل الرجل وابنه فى الصباح الباكر ، فأطلعتهما على تلك السطور ، واظهرت استعدادى لأن أنزل لهما عن ربع الكنز اذا هما ابتاعا غمد الخنجر ، وعدت الى التهديد بالاستيلاء على الخنجر ذاته .

وشيئا فشيئا ، استولى الطمع تماما على نفس الشيخ المأفون فاتفقنا على أن يعهد بالخنجر الى ابنه على أن يصحبنى هذا الى (شيزينا) حيث يقوم بيت صديقهما الذى زعم أن الكنز مدفون تحت داره .. ورحلت مع الابن ، فتلقانا الفلاح بالترحاب .. ووعدت الرجل بأن يكون له مثل نصيب « كابيتانى » .. أى ربع ثان من الكنز . ثم طلبت أن يفرد لى وحدى حجرة ذات سريرين ، تتصل بها حجرة داخلية مجهزة بأدوات الاستحمام .. فى الطرف الاقصى من الدار ، على أن تزود بمنضدتين صغيرتين وثالثة كبيرة ، وأن يبحث لى عن فتاة عذراء ، تجيد الحياكة ، وتتراوح سنها بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، على أن تكون أمينة على السر ، حتى لا يتسرب الى السلطات شىء من أعمالنا .. وأضفت قائلا : « لسوف نقضى ليلتنا فى فندق القرية ، على أن أحتل حجرتى

هنا غدا ، فأوفد خادما أمينا فى الصباح لينقل متاعى ٠٠ ولن يلزمنى سوى وجبتين فى اليوم ، وأعدك بأن أدفع نفقات اقامتى لديك اذا لم نوفق الى استخراج الكنز ٠ وأرجو أن تضع فى البيت مائة شمعة جديدة وثلاثة مشاعل تكون رهن أمرى »

وانتقلنا فى اليوم التالى الى ضيافة الفلاح الغنى ، وكان يدعى « فرانتسيا » ، فأولم لنا الساذج مأدبة فخمة جعلتنى أنصحه بالاقتصاد ٠٠ وبعد العشاء ، قال لى أنه لا يجد عذراء يأتمنها على السر ـ وفقا لتعليماتى ـ خيرا من ابنته الكبرى « جافوتى » التى تجاوزت الرابعة عشرة من عمرها ، فقلت له :

ـ لا بأس ٠٠ والآن ، ما الذى يجعلك تعتقد أن الكنز مدفون تحت دارك ؟

ـ هناك أولا حكايات تناقلت فى أسرتنا من أب الى ابن خلال الاجيال الثمانية الاخيرة ٠٠ وهناك ـ ثانيا ـ أصوات غريبة نسمعها فى الليل منبعثة من تحت الارض ٠٠

وأظهرت اقتناعا ، ثم تماديت فى تمثيل دور الساحر ، وما لبثت أن أخرجت مفكرتى وأوهمتهم أنها كتاب سحرى دعوتهم لكى يقسموا عليه بأنهم طاهرون ، أوفياء ، كما جعلت «جافوتى» تقسم بأنها عذراء ٠٠ حتى اذا لاحظت ماعتراها من خجل ، رحت أشرح لها قيمة ذلك بالنسبة للعمل العظيم الذى كنت مقدما عليه ٠٠ ثم دعوت رب البيت و « كابيتانى » و « جافوتى » الى اتباع نظام يوجب أن يتناول كل واحد منهم عشاءه معى ليلة ، متبعين فى الدور ترتيب أعمارهم ، وعلى أن لا يتناول من يكون عليه الدور طعاما طيلة اليوم السابق على ليلة عشائه معى ، ثم أن يسمح لى بأن أغسل جسمه فى الغرفة الملحقة بغرفتى قبل العشاء بنصف ساعة !٠٠ كما اشترطت أن تنام « جافوتى » فى تلك الغرفة فى كل ليلة ٠ ثم أعددت قائمة بلوازم دعوت « فرانتسيا » الى أن يبتاعها لى بنفسه ، وكان بينها قطعة من الكتان يتراوح طولها بين ٢٠ و ٣٠ ياردة ، وخيط ، ومقص ، وابر ، وورق ، وريش للكتابة ومداد ، وبعض الاعشاب والعطور ، وقدر من زيت الزيتون ، وغصن من شجر الزيتون يبلغ طوله ١٨ بوصة !



وقبل ظهر اليوم التالى ، كان الرجل الطيب قد أحضر كل هذه الاشياء ،

فدعوت « جافوتى » الى غرفتى ، وأمرتها أن تقطع القماش الى سبع قطع ، أربع منها طولها أربعة أقدام ، وقطعتان طولهما قدمان ، والقطعة الباقية تحاك على شكل «طرطور» للثوب الذى سأرتديه حين أقوم بالعملية الكبرى • وطلبت اليها أن تتناول الغذاء فى حجرتى ، وأن تلزمها طيلة يومها ، فلا تبرحها الا حين يفد أبوها ليتناول العشاء معى • ثم تعود بمجرد انصرافه ، وتلج الغرفة الداخلية فتنام •

وسارت الامور كما أهوى •• وفى المساء ، تركنى الرجل الساذج أغسل جسمه ، ثم تناول العشاء معى فى نهم ، قائلا انها المرة الأولى التى استطاع أن يصوم فيها عن الطعام يوما كاملا •• وتحت تأثير النبيذ ، نام ـ بعد أن غادر حجرتى ـ نوما عميقا حتى الصباح ••

« كازانوفا » يطهر العذراء !!

◆ وظلت « جافوتى » طيلة اليوم التالى منهمكة فى الحياكة فى غرفتى فلم تبرحها حتى أقبل « كابيتانى » للعشاء ، ففعلت به ما فعلت برب البيت فى الليلة السالفة •• حتى اذا كانت الليلة الثالثة ، حان دور « جافوتى » •• وقبل العشاء بنصف الساعة ، قلت لها :

ـ الآن اذهبى الى الحمام ونادينى اذا ما اصبحت على استعداد كى أطهرك كما طهرت أباك و « كابيتانى » ••

وغسلت كل جزء من جسمها وأنا أتمتم بكلمات غير مفهومة •• وكان قوامها بديعا ، فلاقيت عناء شديدا كى لا أكشف انفعالاتى • وتعمدت أن أجرى راحتى طويلا على المواضع الحساسة ، حتى اتقدت الدماء فى عروق الفتاة •• وكان كبح جماح نفسى من أقسى الواجبات !

واذ كانت صائمة طول يومها ، فقد أقبلت على الطعام فى نهم ، وأسرفت فى احتساء النبيذ حتى تورد وجهها • وقلت لها اذ فرغت من العشاء : « ترى هل تضايقت يا عزيزتى جافوتى مما اضطررت الى عمله الليلة ؟ »

فأجابت : « أبدا •• بل اننى ارتحت اليه » !

ـ اذن ، أرجو أن لا تجدى مانعا من أن تغسلى جسمى ليلة غد كما فعلت بك اليوم •• وفى المستقبل ، آمل أن تنامى فى غرفتى ، حتى أتأكد من أننى سأجدك ليلة العملية الكبرى كما ينبغى أن تكونى ••

ومنذ تلك الساعة اطمأنت الفتاة الى ، وأصبحت تبتسم لى ، فقد فعلت الطبيعة فعلها فى ذهن الفتاة العذراء •• وأوت فى تلك الليلة الى أحد السريرين اللذين فى غرفتى فى غير حياء ، اذ لم يعد لديها ما تخفيه عنى بعد أن وقفت أمامى عارية فى الحمام !•• وكان من أقسى الامور على نفسى ، الا التمس

المتعة قبل ليلة ٠٠ العملية الكبرى !

وقضت يومها التالى فى الحياكة ٠٠ حتى اذا ما اقترب موعد العشاء ، ذهبت الى الحمام ، وما أن جلست فى المغسل حتى ناديتها ، فأقبلت تغسل جسمى ٠٠ وكانت لمساتها لطيفة ، أنعشتنى ، ولكننى حرصت على أن أكبح عواطفى !

بدء التجربة الكبرى !

◆ ثم حان اليوم الذى كان مقدرا للقمر أن يكتمل فى ليله ٠٠ وفى النهار ، استخدمت الورق فى عمل دائرة كبيرة ، وأخذت أرسم عليه بالمداد أشكالا غريبة ٠٠ حتى اذا أقبل الليل ، ارتديت الثوب الذى صنعته يدا عذراء طاهرة ، وتناولت عصا الزيتون فى يدى اليمنى والخنجر فى يدى اليسرى ، وحملت الدائرة الورقية ثم خرجت الى ساحة الدار بعد أن سألت « فرانتسيا » و « كابيتانى » أن يقفا فى الشرفة حتى لا يسترق أحد النظر الى ٠٠ ثم وضعت الدائرة الورقية على ارض الساحة ، وأوقدت نارا فى بعض الاعشاب العطرية ، ورحت أدور حول الدائرة عدة مرات ، ثم قفزت فى منتصفها ، وأنا لا أكف عن التمتمة والهمهمة ٠٠ وبقيت جامدا بضع دقائق ، ثم سمعت رعدا قاصفا ، فرفعت بصرى ، واذا السحاب ينعقد فى الغرب ، ولا يلبث أن ينتشر سريعا ، والبرق يسرى فى أرجائه ٠٠ كانت ثمة عاصفة تقترب ٠٠ وشعرت بالخوف يسرى فى جوانحى ، وقد خيل الى أن الله قد غضب على لقلة ايمانى ، ولفجورى وجحودى ٠٠ وأخذ خوفى يزداد باشتداد الرعد وتوالى البرق ٠٠ قط لم أعرف معنى الخوف كما عرفته فى تلك الليلة !



وما لبث المطر أن تدفق غزيرا ٠٠ وكأنما غسل سيله الخوف عن نفسى ٠٠ وأدركت أن الله قد شاء أن يمهلنى ، وأن هذا الخوف لم يكن سوى لون من الانذار !

وكنت أعرف من البداية أن فشلى سيفتضح للجميع ، ولكننى كنت قد دبرت الأمر ٠٠ فما لبثت أن خرجت عن الدائرة ، وسعيت الى غرفتى ، حيث أقبلت « جافوتى » تجفف جسمى من البلل ٠٠ ثم دعوت « فرانتسيا » و « كابيتانى »

فقلت لهما ان العاصفة أفسدت العملية ، ولكننى اتفقت مع حراس الكنز السبعة من الجان على أن نرجىء استخراج الكنز ٠٠ ودفعت الى « فرانتسيا » بالورقة التى كنت قد كتبتها فى المكتبة العامة فى (مانتوا) قبل حضورى ، قائلا انها خلاصة المعلومات التى أفضى لى بها الحراس السبعة !

السماء تنقذ الحمل من الذئب !

◆ وشعرت برهبة لم يسبق لى بها عهد ٠٠ خيل الى أن السماء كانت تنذرنى كى لا أمس الفتاة العذراء الساذجة ، لذلك وجدتنى أتأمل مفاتن جسمها حين نامت ، دون أن تهتز جارحة من جوارحى ٠

واذ تنفس الصباح ، كان أول ما شغلنى ، هو أن أبتعد عن الدار بأسرع ما أستطيع ، لا سيما وقد خشيت أن يتسرب شىء من قصتى الى السلطات ٠٠ وكانت عقوبة من يزعم السحر أن يحرق حيا !٠٠ لذلك أمرت « كابيتانى » أن يبادر بحمل متاعنا الى فندق البلدة ٠ ثم التفت الى « جافوتى » التى كانت بادية الأسى ، فأكدت لها اننى عائد ، وقلت لها اننا وقد اتممنا الاجراءات الأساسية ، لم نعد بحاجة الى أن تظل عذراء ، بل لها أن تتزوج اذا شاءت !

وفى الفندق ، رددت الخنجر الى « كابيتانى » وافترقنا ٠٠ دون أن يتكبد أحد منا أية خسارة ٠٠ وهكذا تدخلت السماء لتصدنى عن وزر لعل عبئه كان يلازمنى طيلة العمر لو اننى ارتكبته !

« يتبع »



« أبوللو » ٠٠ ينتقم من معارضيه !

◆ رويت لك فى العدد الاسبق من «كتابى» ، بعضا من قصص «أبوللو» ، اله الموسيقى ، الذى كان يجد متعة كبيرة فى خدمة البشر ، كما رويت لك بعضا من مآسيه التى أصابته بندوب كثيرة فى قلبه ٠ أما اليوم ، فأقدم لك «أبوللو» الغيور ، الذى لايلتفت الى النساء ، ولا يروى ظمأهن الى حبه ٠٠ ويدافع عن لقبه ـ كاله للموسيقى ـ وينتقم من خصومه ومعارضيه أشنع انتقام !

٠٠٠ فتعال نقرأ معا هذه الاسطورة :

زهرة ٠٠ « عباد الشمس » !

◆ كانت قيادة عربة الشمس من أهم الواجبات الملقاة على عاتق « أبوللو »٠٠ فقد كان عليه ان يقودها ، كل يوم ، عبر السماء اللازوردية ، وبلا توقف ، حتى يصل الى الزورق الذهبى الذى كان ينتظره فى نهاية رحلته الطويلة ، ليحمله سالما فى طريق العودة الى قصره ٠

وكانت هناك عذراء صغيرة ، رائعة الجمال ، تدعى « كلوتى » ، لا تكف عن مراقبة رحلة « أبوللو » اليومية ، فى شىء من الاصرار الغريب !٠٠ فما أن يغادر اله الموسيقى ـ أبوللو ـ قصره فى الصباح الى أن يعود اليه فى المساء ، كانت « كلوتى » تتبع خط سيره بنظرات حالمة ، وهى تفكر فى «الرب» صاحب الشعر الذهبى ، ويملأها الشوق اليه والحنين الى حبه !٠٠ ولكن بالرغم من كل هذا الوجد الذى كانت تكنه لأبوللو ، لم ترق فى عين « الرب » ولم تحظ باعجابه ، الأمر الذى أدى بها الى الذبول والانطواء ٠ وأخيرا ، أشفقت عليها

الآلهة فمسختها زهرة من زهرات « عباد الشمس » !

بيد ان « كلوتى » - فى صورتها الجديدة - لم تنس الحبيب الذى فتنها ، وأدار رأسها • ولذلك نراها ، بعد أن صارت رمزا للثبات ، لا تكف لحظة عن ملاحقة القرص الوهاج - الشمس - وهو يشق طريقه كل يوم ، فى رحلته عبر السماء ، بوجه شاخص الى أعلى !

« أبوللو » يسلخ منافسه حيا !

◆ وكان أبوللو - كبقية زملائه من الآلهة - يبدو تارة أشبه بالبشر فى الكبرياء وحب الاساءة ! •• وقد كان يغار بصفة خاصة على سمعته كاله للموسيقى ، الى حد انه انتقم ذات مرة انتقاما فظيعا من لاعب مزمار يدعى « مارسواس » • وتقول الاسطورة الاغريقية ان « مارسواس » هذا ، كان قد عثر على المزمار الذى كانت « أثينا » - ربة الحكمة - قد اخترعته ، ثم تخلصت منه بعد ان اكتشفت ان النفخ فيه يشوه ملامح وجهها ! •• وقد مهر « مارسواس » فى استعمال هذا المزمار ، لدرجة انه تحدى « أبوللو » • وقبل الأخير التحدى ، على شريطة ان يكون للمنتصر مطلق الحرية فى ان يتصرف مع المهزوم كيفما أراد • فلما صدر حكم ربات الفن مؤيدا « أبوللو » ، شد « الرب » وثاق « مارسواس » الى شجرة وسلخه حيا !

ملك •• وله أذنا جحش !

◆ كان من المنطقى - بعد هذا « الدرس » الذى لقنه « أبوللو » لمارسواس - أن يتعظ معارضو اله الموسيقى ، ويحسبوا حسابا لغضبه وثورته • الا أن « ميداس » ، ملك (فروجيا) ، شق عليه ان يستأثر « أبوللو » بلقب « رب الموسيقى » ، فانتهز فرصة احتكام « أبوللو » و « پان » - رب الغابة - اليه ، ليقوم بدور القاضى فى مباراة موسيقية بينهما ، وأصدر حكما يؤيد فيه موسيقى « پان » ويفضلها على موسيقى « أبوللو » • ودفع الثمن غاليا ! •• فقد عاقبه « أبوللو » بأن حول أذنيه الى أذنى جحش ! •• وبتأثير الخجل الذى سيطر على « ميداس » ، صار يخفى أذنيه تحت قبعة كبيرة •• الا انه لم يستطع اخفاءهما على حلاقه الذى تعهد بعدم افشاء هذا السر ، حتى لا يتعرض لانتقام « ميداس » الذى هدده بالموت ان هو أذاعه !

وشعر الحلاق بمرور الأيام ان السر يثقل نفسه ، وان من المتعذر عليه ان يتمكن من كتمانه بين طيات قلبه ، فتسلل الى احد الحقول ، وحفر حفرة عميقة همس فيها بالسر ثم أهال عليها التراب ، وقفل راجعا ، بعد اذ أحس بالراحة تعود الى نفسه ! •• الا أنه كان واهما ، اذ سرعان ما نمت الاعشاب فوق الحفرة ، وصارت - كلما هبت عليها الرياح - تخرج أصواتا تردد : « ان لميداس الملك آذان جحش » !!

وسمع المارة فى هذا المكان ما كانت تردده الأعشاب ، فأذاعوه على الملأ ! ٠٠ وهكذا لم يعد السر مكتوما ، بل ذاع وانتشر ، وأصبح معروفا لدى الجميع !

الصياد الذى غازل النسيم فماتت زوجته !

◆ أحب « كيفالوس » الصياد احدى حوريات (ارتيميس) ، تدعى « بروكريس » ، وهام بها وجدا ٠ ولما لم يستطع صبرا على شوقه ، تزوجها ٠ وقدمت العروس لزوجها ـ برهانا على حبها ـ كلبا من كلاب الصيد اسمه « ليلايس » ، لا يخطىء فريسته ، ورمحا « مضمونا » لا يخطىء هدفه !٠٠

وعاش الزوجان يترعان فى كؤوس السعادة ٠ بيد ان هذا لم يرق فى عين « ايبوس » ـ ربة الفجر ـ التى كانت قد حاولت من قبل أن تحظى بحب « كيفالوس » ففشلت فشلا ذريعا ٠ ومن ثم وطدت العزم على أن تقضى على تلك السعادة الزوجية التى تجرى على مرأى منها ، فتثير فى نفسها مكامن الحقد والحسد والغيرة !

وكان « كيفالوس » يقضى أيامه فى القنص ٠٠ يخرج مع الصباح ، ويظل يمارس رياضته فى الغابة ، حتى اذا أقبل المساء ، عاد الى بيته وزوجته ٠ وقد كان من عادته ـ عندما يقبل الظهر فيشتد اللظى وتستعر حرارة الشمس ـ ان يخلد الى الراحة بعض الوقت فى مكان ظليل ، حتى اذا بسط جسده فوق الحشائش ، نادى النسيم ليرطب له جبينه المشتعل : « أيها النسيم العليل ٠٠ تعال !٠٠ ياربة النسيم الرطيب ، هلمى ٠٠ تعالى الى ! »

فلما سمعت « ايبوس » تلك الكلمات ، لم يدر بخلدها ان « كيفالوس » يخاطب الريح العابرة ، فسعت الى « بروكريس » ، وأنبأتها أن زوجها لايخلص لها الود ، وانه يطارح الغرام عذراء فاتنة ، يقابلها كل يوم ـ ساعة الظهيرة ـ فى مسالك الغابة المنعزلة ٠ وأعمت الغيرة بصيرة « بروكريس » ، وقررت أن تقتفى أثر زوجها !

واقتربت ساعة الظهيرة ، عندما توجه « كيفالوس » الى مكانه الذى اعتاد ان يستريح فيه ، وكانت « بروكريس » تختبىء على مقربة منه ٠ وما أن بدأ « كيفالوس » مناجاته قائلا : « أيتها النسمة العليلة ٠٠ تعالى » ٠٠ سقطت بروكريس مغشيا عليها ، وهى تتأوه بصوت خافت ٠ واذ ظن « كيفالوس » ان هناك حيوانا مفترسا يكمن فى الاحراش ، صوب رمحه الذى لا يخطىء الى قلب الاحراش ، وأطلقه ٠٠ فاتجه الى صدر زوجته واخترقه على الفور ، فأصاب منها مقتلا !٠٠ وهكذا ماتت « بروكريس » بين ذراعى « كيفالوس » ، وسط بكاء الحوريات ودموع أرباب الغابة

أمين سلامة



الحضارة اليونانية ٠٠ فى صحوة الموت !

◆ انتهى بنا «رينيه سيدللو» ـ فى الحلقة الماضية من «تاريخ العالم» ـ الى وصف انهيار امبراطورية اليونان ، وذكر ان مصر كانت البلد الوحيد الذى صان الحضارة اليونانية ، دون أن يؤثر ذلك فى طابعه القومى ٠٠ بل ان هذا الطابع طغى على الاسرة الحاكمة المنحدرة من أصل اغريقى ـ وهى أسرة البطالسة ـ فصبغها بالصبغة الفرعونية ٠٠ وهو يبدأ هذا الفصل باستعراض ما يمكن أن نسميه « صحوة الموت » ، التى سبقت تداعى هذه الحضارة !

الازدهار ٠٠ يؤدى الى الاضمحلال !

◆ ازدهرت التجارة فى كافة أرجاء شرقى البحر الابيض المتوسط ، كما تقدمت الملاحة وفنونها ، وعرفت نظم التأمين، والمصارف ، والائتمان (القروض) ، والفوائد المصرفية ، وتحويلات العملات الاجنبية ٠ وكانت الاذون المصرفية ـ « الشيكات » ـ رائجة الاستعمال ٠ ولكن الثروات أخذت تتضخم فى أيدى الأغنياء ، وكان استخدام العبيد سببا فى انخفاض أجور العمال الأحرار ، الأمر الذى جعل حياة الفقراء ضنكا ، وأدى الى تفكك الاسرة ، اذ اضطرت المرأة للنزول الى ميدان العمل ، واستطاعت أن تبلغ فى ذلك شأوا بعيدا ، حتى لقد كانت منهن من مارست المحاماة والهندسة المعمارية ٠ وتوطدت مكانة المرأة حين تولت كليوباترا الحكم ـ فى سنة ٨٠ ق ٠ م ـ بيد أن اشتغال المرأة بالاعمال ، صرفها عن انجاب الاطفال ، فأصبحت هناك أزمة تهدد بعض البلاد ـ كاليونان وجزر بحر ايجه ـ بسبب تناقص السكان !

وهكذا أدى ازدهار الحضارة اليونانية الى موتها ! ٠٠ فالى جانب تفكك

الاسرة بسبب الفقر ، كان ازدياد الثروة فى أيدى الاغنياء سببا فى اغراقهم فى الترف والفساد .. وآن لمشعل الحضارة أن ينتقل أخيرا الى أيد أخرى !

العالم مدين لليونان بالكثير !

◆ على أن ذكر اليونان لم يمت بموت هذه الحضارة ، اذ كانت « استاذا » علم الدنيا والبشرية معانى الجمال .. جمال الفن والعمارة ، وجمال الادب ، وجمال الفكر .. مما تتمثل صور منه فى انتاج هوميروس ، وايسوب ، وهيرودوت ، وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو طاليس ، وسوفوكليس ، ويوروبيديس ، واريستوفين ، على تباين ميادين انتاجهم ..

واقترن اعلاء شأن الجمال باعلاء شأن القوة والكمال البدنى ، فخلد اسم « هرقل » ، وظهرت الالعاب الاوليمبية التى كانت تقام مرة كل أربعة أعوام

ولم يكن للخير والصدق عندهم مذاهب ، ولا كانت لآلهتهم صفات الخلود والسمو ، بل انهم كانوا يصوغون آلهتهم من أوساط البشر ، فلم يحاولوا أن ينزهوها عن ضعف البشر وشهواتهم ! .. ولم تكن الحقيقة هدفا أسمى لفلاسفتهم ، ومن ثم نرى « أبيقور » يمجد الغريزة البشرية ، بينما كان « ديوجين » يسخر من الطيش البشرى .. ومع انهم كانوا متأخرين فى الحساب ، الا انهم أوتوا موهبة فطرية فى علم الهندسة والنظريات الهندسية ، وفى هذا المجال خلدت اسماء : اليس وفيثا غورس ، ويوكليد ، وهيباركس – الذى ابتكر علم حساب المثلثات – وابولونيس وارشميدس ..

كذلك ترك الاغريق ثروة فى علم الأحياء ، وما زال هيبوكراتس – أبو قراط – يعتبر « أب الطب » حتى اليوم . وتقدمت دراسة الارض والكواكب ، فعرفوا أن الارض تدور حول نفسها ، واكتشف « اريستارخوس » انها أيضا تدور حول الشمس ، وان الشمس مركز الكون الذى تؤلف الارض جزءا منه . وقد انقضى سبعة عشر قرنا قبل أن يعود الجنس البشرى الى ادراك هذه الحقيقة .

وفى الناحية المادية ، أعطى الاغريق واليونان الجنس البشرى أشياء أخذ التقدم العلمى والفنى يرقى بها على مر القرون نحو الكمال . من ذلك الترس وعجلة الساقية والطاحون الهوائية ، والساعة التى تسير بالضغط المائى ، والمرساة ، وكثير من أساليب رسو السفن على الشواطىء . ولعل من أهم ما تلقته الانسانية عن الاغريق ابتكار العملة المعدنية وسكها .. ولا يزال العلماء يستخدمون – بعد سقوط اثينا بألفى عام – أسماء اغريقية لأجهزتهم وأدواتهم العلمية !

الحضارة فى بلاد بوذا

◆ كان عبور الاسكندر (الاندوس) وبلوغه ضفاف (الجانجز) أول اتصال بحضارة الهند ، اذ كان الآريون قد فرضوا سلطانهم على أهل تلك البلاد قبل ذلك بوقت طويل ٠٠ وكانوا مثلهم يعبدون عناصر الطبيعة ، ويقدسون السماء والنار ، وكانت لهم كتبهم المقدسة « الفيداس » المكتوبة باللغة السنسكريتية ، وقد عدل كهنتهم - « البراهمة » - الدين البرهمى لمصلحتهم الخاصة ، فقسموا الناس الى طبقات ، وفصلوا الكهنة والمحاربين والفلاحين الذين ينحدرون من أصل آرى ، عن جمهور غير الآريين

وفى سنة ٥٦٠ (ق ٠ م) ولد لأسرة « ساكياس » النبيلة - شمالى (بناريس) - ولد لم يكد يبلغ التاسعة عشرة من عمره ، حتى نبذ الحياة الارستقراطية ، وأصبح راهبا ، لم يلبث استغراقه فى التأمل أن أوحى اليه بدين جديد ٠٠ ذلك الامير الراهب هو : « بوذا » ٠ وكان الدين الذى راح يبشر به ، يهدف الى الخير ، وضبط النفس ، والزهد ، والتقشف ٠٠ وسرعان ما انتشرت البوذية التى لا تعرف الفوارق بين الطبقات أو العناصر ، والتى تدعو الى مساعدة الضعيف ٠ وبعد انحسار المد المقدونى عن الهند - فى سنة ٢٦٠ ق ٠ م - اعتنق الملك « اسوكا » نفسه العقيدة البوذية ، فكانت هذه نقطة تحول ، اذ اجتاح الدين الجديد بلاد الهند ، وامتدت تعاليمه الى سيلان والهند ، كما سرت غربا حتى التقت بالحضارة الاغريقية غربى (الاندوس) ٠ وكان التقاؤهما هذا منبتا لحضارة جديدة امتزجت فيها حضارة الاغريق بتعاليم البوذية ٠٠ وزحفت هذه الحضارة الجديدة الى الصين ، لتكون الهاما لفنانيها ٠

صراع ٠٠ فى الشرق والغرب !

◆ وكانت الصين تحمل مشعل التقدم فى الشرق ، كما كانت تحمله بلاد اليونان فى الجانب الآخر ٠٠ بيد ان تأثير الحضارة الاغريقية على العالم ، كان يتسم باتصال مباشر لم يتح مثله لحضارة النهر الاصفر ٠ ومع ذلك فقد كانت الحضارتان تسيران جنبا الى جنب ، وفى تشابه يكاد يكون تاما ٠ فقد كانت مدن الصين - كمدن اليونان - فى حروب وتناحر ، ثم خرجت البلاد من هذه الفوضى لتنقسم على نفسها ، وتتمزق الى ممالك - أو أمارات - متنازعة ٠٠ وكان العهد الاقطاعى فى الصين شبيها بذلك العصر الذى ورد ذكره فى « الالياذة » عن اليونان : فى الصراع الذى كان يدور بين السادة كبار الملاك ، وفى ظهور المفكرين والفلاسفة ! ٠٠ وقبل ظهور سقراط بأمد طويل ، ظهر فى الصين - فى سنة ٥٠٠ ق ٠ م - « كونج فوتسى » ، الذى عرفه العالم باسم

«كونفوشيس» ، ينبىء الناس بأن عليهم أن يعرفوا أنفسهم اذا شاءوا أن تتحسن حالهم ويرقوا ..

عصر الانبياء والحكماء

◆ ومن المصادفات العجيبة ان القرن الذى تردد فيه صوت «كونفوشيس» شهد قيام أنبياء اليهود يدعون الى الايمان باله واحد ، وسمع «صولون» و «زوروواستر» و «بوذا» يحاولون أن يهدوا الناس الى خير السبل والأهداف !

على ان حكمة الصين ظلت فى قرارها طلسما ، وطقوسا تتمثل فى حركات سحرية وموسيقية .. ولم تحل هذه الحكمة دون استمرار السادة الاقطاعيين فى تناحرهم وحروبهم .. وأخذت فنون الحرب تتطور خلال معاركهم ، ووحشية المنتصرين تزداد ، حتى لقد كانوا يلقون بأطفال سباياهم فى الماء المغلى ، ويقطعون أوصال النساء !

وكما ظهر الاسكندر المقدونى فى اليونان ، ظهر «تشى هوانج تى» فى الصين ، فى سنة ٢٣٠ ق . م . فقضى على غرمائه تباعا ، ووفق الى بناء امبراطورية صينية راح يستغلها لمصلحته الخاصة . ففرض عليها نظاما اداريا مركزيا ، وقضى على الفردية الاقليمية بأن راح ينقل السكان من مواطنهم الى أصقاع أخرى فى الامبراطورية على نطاق واسع . ووحد القوانين والموازين والمكاييل والعملة التى كانت تسك من البرونز . ولعل من المدهش أن نعلم انه حدد كذلك عرض الطرق وعرض محاور عجلات المركبات ، كما وحد الكتابة .. ومع ذلك فقد كان يزدرى الفلاسفة !

وقد امتدت امبراطورية «تشى هانج تى» من النهر الاصفر الى النهر الازرق ، بل وتجاوزته . وفى سنة ٢١٥ ق . م . شيد سور الصين العظيم ليصون الامبراطورية من غدر أعدائه : قبائل «الهون» وهى قبائل رحالة تركية مغولية ..

وكما تفككت امبراطورية الاسكندر المقدونى بوفاته ، فان امبراطورية «تشى هوانج تى» انحلت بموته ، اذ لم يكن بين خلفائه من يقوى على المضى فى سياسته ، فسرعان ما ارتدت البلاد الى أحضان الفوضى ، فضعفت شوكتها بينما كان أعداؤها ـ من القبائل البربرية ـ يتربصون فى ارتقاب اللحظة المناسبة ليضربوا ضربتهم .

«يتبع»



فى أحد أبهاء المتحف المصرى يرى هذا التمثال الذى يمثل « راحوتب » وزوجته « نفرت » ، (من الاسرة الخامسة ، حوالى عام ٢٤٠٠ ق ٠ م) وترى الزوجة وقد ارتدت معطفا لاتبرز منه غير يدها اليمنى ، وعلى راسها شعر مستعار وشريط محلى برسوم الازهار



تمثال بمتحف القاهرة لراس ملكة من أسرة « حورمحب » ، (أواخر الاسرة ١٨ ـ حوالى ١٣٢٠) ، ويرى على راسها التاج المزدوج للوجهين القبلى والبحرى ، وقد بدت فى زى الالهة « موت »



مطبوعات

كتابي

يصدرها : حلمي مراد

أخيرًا.. تتاح للقارئ العربي

فرصة قراءة النص الكامل للقصة الجبارة التي اعتبرها «سومرست موم» و«اندريه موروا» احدى «أعظم عشر قصص طويلة في أدب العالم» !

مدام بوفاري

للروائي الفرنسي الكبير «جوستاف فلوبير»

القصة التي حوكم مؤلفها على اثر نشرها بتهمة افساد الأخلاق .. فبرأته المحكمة، ومجدته المحافل الأدبية في العالم كله !

اقرأها في عدد منتصف يناير بنصها الكامل - لأول مرة - مذيلة بمحاضر الجلسات التاريخية لمحاكمة مؤلفها .. ونصوص مرافعة الاتهام ضده .. ودفاع المجيد عن نفسه، وعن الأدب !



شركة فن الطباعة ٥٨١٤٩